هديتا المقتطف سنة ١٩٣٨

صقر قريش

تأليف الاستاذ علي ادهم

دراسة لحياة الامير عبد الرحمن الاول الملقب بالداخل مؤسس الدولة الاموية بالاندلس وقد نهج المؤلف في كتابة هذا الموضوع منهجاً موفقاً عصرياً فذكر حياة وتاريخ وسيرة الامير عبد الرحمن ورحلتهُ الى افريقية ويأسهُ من تأسيس ملك بافريقية ثم دخوله الى الاندلس وأعمالهُ الجيدة فيها ونشأ من أشعاره وقدرته الخطابية وقوة عزمه

١٣٠ صفحة كبيرة — ثمنهُ ١٠ قروش مصرية يضاف اليها أجرة البريد

نواحٍ كبيرة من

الثقافة الاسلامية

١ — التصوير واعلام المصورين في الاسلام للدكتور زكي محمد حسن

٢ — تأثر الثقافة العربية بالثقافة اليونانية للاستاذ اسماعيل مظهر

٣ — الاثر العلمي للحضارة الاسلامية واعظم علمائها للاستاذ فدري حافظ طوقان

٤ — الصلات بين العرب والفرس وآدابها في الجاهلية والاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام — ١٦٧ صفحة كبيرة و١٦ صفحة بالروتوغرافور

ثمنهُ ١٥ قرشاً مصرياً يضاف اليها أجرة البريد

ملحوظة : ارسلنا هاتين الهديتين الى جميع مشتركي المقتطف الذين سددوا اشتراكاتهم لآخر ١٩٣٨

بادر الى تسديد اشتراكك تملك الهديتان مع شكرنا

مؤلفات الامير شكيب ارسلان

يسألنا القراء عن مؤلفات عطوفة العلامة الامير شكيب ارسلان وأين تباع ؟ وها نحن نسردها فيما يلي ونذكر أثمانها :

	ص
حاضر العالم الاسلامي بمجلدين ضخمين	٨٠
الحلل السندسية في تاريخ واخبار الاندلس	٣٠
السيد رشيد رضا او أخاء اربعين سنة	١٥
أحمد شوقي بك او أخاء اربعين سنة	١٠
ديوان الامير شكيب ارسلان	١٠
آخر بني سراج في تاريخ الاندلس	١٥
الامام الاوزاعي	٨
اناطول فرانس في مباذله	١٢
تاريخ غزوات العرب وفتوحاتهم في أوربا	٢٥
تعليقات وحواشي الامير شكيب على تاريخ ابن خلدون	١٥

وهذه الاسعار غير أجرة البريد . وتطلب مؤلفات الامير الجليل من المكاتب الكبيرة في القطر المصري

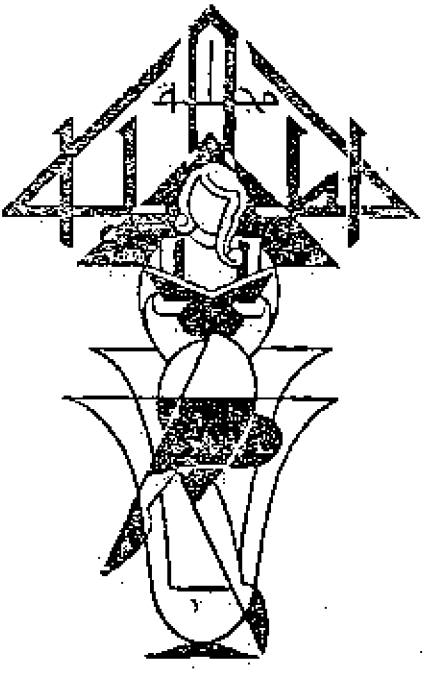

لا غنى ...
للسيدة في بيتها
والفتاة في معهدها
عن صديقتهما

الطالبة

مجلة شهرية

تبحث في شؤون المرأة والادب
والعلم والفن والرياضة
الاشتراك السنوي
عشرون قرشاً
الادارة — ٣ ميدان سوارس بمصر

آيات من التصوير الضوئي مختارة
من المعرض السادس الذي افتتح
في دار جمعية محبي الفنون الجميلة
بالقاهرة في ٢١ دسمبر ١٩٣٨

[تصویر بیج نمبر ۱۰۷]

بخارل

[صورة بيع بيي]

وهرة

صور الليل

[تصوير الدكتور أحمد موسى]

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والتسعين

١ يناير سنة ١٩٣٩ — ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٧

الديمقراطية

في العصر الحاضر

موضوع الديمقراطية في هذا العصر، يشغل الافكار ويقلق النفوس ولا سيما نفوس الذين شبوا وترعرعوا على ان النظم الديمقراطية هي خير ما ابدعه الاختبار لتثقيف الروح الانسانية والسمو بها، ولتنظيم المجتمع وسياسة شؤونه، او هي خير حلّ عرف حتى الآن لتلك المشكلة الاساسية في تنظيم الهيئة السياسية، مشكلة احكام التوازن بين السيادة والحرية. فنحن عندما نلتفت يمنةً ويسرة نجد ما يحيرنا من انقسام وتخاذل وجدل في ناحية يقابلها حزم وتصد واتحاد — او ما يبدو اتحاداً — في الناحية الاخرى. هذا الصراع بين الدول التي لا تزال آخذة بنظام الحكم الديمقراطي والدول التي عدلت عنهُ الى مبدإ الزعامة، يدور على مطامع مادية خاصة بالحدود الجغرافية والقواعد العسكرية والمصالح الاقتصادية — يسمو شأنها او يقل — ولكنهُ يبدو لنا صراعاً بين نظم الحكم نفسها. فيقف بعضنا من هذا الصراع موقفاً تمليه علينا نزعاتهُ الخاصة فيحكم حكماً جاسماً لا رادّ لهُ بصلاح هذه وفساد تلك، وبعضنا يقف محيراً يبحث ويتأمل في مزايا هذه النظم ومساويها ويحاول ان يوازن، لعلَّهُ يخرج من الموازنة برأي مستقيم

الآن الانتصارات الباهرة التي احرزتها الدول الآخذة بمبدإ الزعامة في حلبة السياسة والحرب او التهديد بها في العهد الاخير، والنكوص الذي باءت به الدول الاخرى، يحملان كل من يتصدّى لبحث الديمقراطية في هذا العصر على ان يتروّى قبل الاقدام، لان كل بحث من هذا القبيل

يقتضي من صاحبه خلتين على الاقل : خلة الشجاعة وخلة التأني

أما الشجاعة فلأن كل كلمة تقال دفاعاً عن الديمقراطية تضع قائلها في هذا العصر في منزلة المدافع عن حقوق تملوك لمنزلة إبان ثورة الثورة الفرنسية في مختتم القرن الثامن عشر فيرمى بكل محبر من القول . ذلك ان الديمقراطية تبدو الآن في حالة جزر بعد مدّ طال قرناً ونصف قرن في طورها الحديث . واذا كان من غير العجيب ان نسمع من زعيم الكتائب السود ان الفاشستية أخذت تدوس بقدميها جثة الحرية المنتنة، فالعجيب ان نرى رجلاً كلنسفر ولز الكاتب الانكليزي يعلق كل امله في مستقبل العالم بقيام فئة من رجال العلم والصناعة على ادارة شؤون البلدان كما تدار الشركات الكبيرة — وهو ما يعرف في الولايات المتحدة الاميركية بالتكنوقراطية — وقد بسط رأيه هذا في غير واحدة من قصصه الاجتماعية ولا سيما قصة « عالم وليم كليسولد » . ولا يقل عنه عجباً برنارد شو الكاتب الاشتراكي عند ما يشبه الانسان بسلك الاغوار ، اذا ارتفع من النور الى السطح انتفخ حتى ينفجر . كذلك الانسانية في رأيه لا يمكن أن تسودها المساواة ولا بد من بقاء الطبقات فيها على تفاوت دائم بينها . بل اعجب من قول شو وولز ، قول ومن آنجل ، فلك الاشتراكي الصميم ، الثائر على الاستبداد ، المناوىء للطغاة ، فانه يقول على ما روى الاستاذ كاتلن ، ان صوت الشعب هو صوت الشيطان

فالاصداء تتجاوب من روما الى برلين الى موسكو الى طوكيو الى بعض زوايا باريس ووارسو وبوخارست وغيرها، بان القضاء على الديمقراطية ، هو الخطوة الثانية لتأمين الحضارة في العالم وهو متناقض لصيحة ولسن في اثناء الحرب العالمية عندما قال ان القضاء على الروح العسكرية هو الخطوة اللازمة لتأمين الديمقراطية في العالم . فالديمقراطية في روعهم وهم من أوهام الاحرار . وزبة الحرية قد أسلمت الروح وانتنت جثتها . لذلك كانت الشجاعة لازمة لمن يتصدى للدفاع عن الديمقراطية ، لان من يدافع عن شر زائل — والديمقراطية في عرفهم هي هذا الشر — مرمي حتماً باحدى اثنتين إما أنه مصاب في عقله وإما إنه رجعي خطير

اما التأني فلا بد منه ديدناً للباحث في هذا الموضوع . لان الصراع بين نظم الحكم في البلدان التي نصفها بالدكتاتورية ، ونظم الحكم في البلدان التي جرينا على تسميتها الديمقراطية، صراع عنيف شامل يتناول نواحي المشكلات السياسية الدولية، ويزج في دردوره بأقطاب الحكومات، ثم لا يتعفف عن تشريح كل ما يتعلق بالكرامة الانسانية في ظل النظامين مما يتصل بأعرق النزعات الروحية والاجتماعية . فكل اشارة غير قائمة على التجرد عن الهوى والتأني في الحكم يبرم بها هؤلاء وأولئك ، ولا سيما اولئك لان البحث والمناقشة والموازنة لا مكان لها في فلسفتهم

ثم من نحن حتى نتصدى للحكم ! ولست اوجّه هذا السؤال باعتبار اننا في الشرق دون اهل الغرب لا نستطيعه، بل اريد ان الباحثين في الشرق والغرب جميعاً عاجزون عنه . تنظم الحكم

سواء أدكتاتورية كانت أم دمقراطية، مظهر من مظاهر الاجتماع والاقتصاد وثقافة الروح والذهن، والحكم الفاصل في مصيرها غير ميسور لمن يكون مشغوفاً بحسناتها او سيئاتها . انما الحكم للزمن والتاريخ عند ما تنظر الحوادث وملابساتها وآثارها نظراً استعراضاً . فاذا اشتط الباحث في هذا البحث الدقيق، وتنكب جادة التأني وغلا في القول ، تأييداً لهذا او ذاك، او تجريحاً وهدماً ، كان مصير كلامه على الغالب من أذن الى الاذن التي تقابلها

وقبل أن أمضي في البحث الى قلب الموضوع أريد ان أقول انني لا أعتقد ان الدمقراطية هي النظام الكامل لحكم الشعوب . وسنشير الى نقائصه بغير رحمة ولا هوادة . وانما المسألة التي أمامنا ليست هل النظام الدمقراطي هو النظام الامثل ، بل هل هو أقرب الى النظام الامثل من النظم الأخرى المقترحة او لا ؟ فكثيرون من المصلحين ينسون احياناً انهُ لا يكفي ان تؤدي اصلاحاتهم الى ازالة الشرور والمساوئ القائمة بل يجب ان ينظروا ايضاً الى ما قد ينبت في ظل النظام الجديد المقترح من شرور قد تكون أفدح من الشرور المزالة

وللدمقراطية معانٍ كثيرة الا أنا سنستعملها في هذا البحث بمعنى النظام السياسي الذي أفضت اليه فكرة سيادة الشعب ، فهي النظام النيابي . والمجالس النيابية قائمة على فرضين ، أولهما انهُ من حق كل فرد وكل جماعة او طبقة اجتماعية ان تطالب الحكومة بتحقيق مطالبها جهد المستطاع . وثانيهما ان البحث خير طريقة لتدبير شؤون الانسان لان العقل أفضل أداة كشفها الانسان لتبين الصالح والطالح ، كما تبيّن لهُ الصائب والخاطئ بوجهٍ عام

وليس ينكر ان المجالس النيابية في البلدان الدمقراطية تقترب احياناً من الصورة المخزية التي يرسمها لها خصومها : خطبٌ طويلة عملة ، فيها ثرثرة ، وفيها جهل ، وفيها غرض ، وفيها تحزب حتى ليسأل الباحث عندما يسمع او يطالع بعض هذه الخطب ، أحقيقة أصاب هؤلاء قسطاً من التعليم . الا أنا بعد لأي ، اسأل ، هل هذه الصورة تمثل النظام نفسه كما يجب ان يكون ، أو هي تمثله في حالته الحاضرة الناقصة وتصف الرجال الذين يشغلون مناصب معينة فيه . والجواب بالنفي عن الشق الاول وبالايجاب عن الثاني . فالانقلابات الشعبية التي وقعت في بعض البلدان وأفضت الى قيام الحاكمين بأمرهم فيها انما وقعت لان الشعب ثار على طمع القائمين بالامر وجهلهم . وفي هذا دليل على ان الانتخاب العام ، والاعراب عن مشيئة الشعب بواسطته لا ينجب حتماً ، كما يزعم خصومهُ ، الى اختيار المشرعين الجهلة الطامعين . والنواب الذين هذه صفاتهم ليسوا جزءاً اساسياً من النظام التشريعي الدمقراطي . انهم في منزلة ندماء الشرّ عند الملوك ، ومشيري الخطاء عند الطغاة

ومما يستوقف النظر ، ان كل حركة معادية للدمقراطية في هذا العصر ، تتجه خاصة الى إنكار مبدإ العقل . فدعاة الملكية في فرنسا يريدون ان يحلوا محل العقل ، ما يطلقون عليه

النزعة اللاتينية ، او — التقليد اللاتيني — حتى يحتكموا اليه عندما يحزب الامر وتتوعر الطريق . والفاشستيون الايطاليون ، يتفنون بروح الامة ، والوطنيون الاشتراكيون بالذات العنصرية ، والشيوعيون بمصالح العمال الاقتصادية . وكل محكمة من هذه المحاكم هي مجلس قائم على غير العقل . وكل منها فوق النقد . ثم يقوم فرد يزعم انهُ لسان هذه النزعة او تلك الروح او تلك الذات . وانهُ لمن العجيب وقد انقضت ثلاثة قرون من البحث العلمي ، اسفر خلالها الطلاق روح النقد عن اعظم النتائج ، أن نجد في هذا العصر من يعتقد ، ان في الوسع الوقوع على شخص فرد ، يتركز في شخصه كل العلم والحكمة والعدل ، حتى يصح ان تطلق قوتهُ السياسية من كل قيد ، وترفع فوق كل بحث

***

من وجوه النقد التي توجَّه الى المجالس النيابية ، انها « جماعات مناظرة » . وهذا ما يسلم به الديمقراطيون انفسهم لانهم لا يجدون ثناء أعظم من هذا الثناء . فعندهم انهُ يدور بين مشروعات القوانين ، مشروع يجب ان يقر بغير بحث ومناقشة . اذ ان نجد رئيساً لدولة ، او رئيساً لوزارة ، او عضواً في مجلس نيابي ، بلغ من الكمال بحيث لا تكون آراؤه في غير حاجة الى التمحيص او التوضيح او النقد . وليس عندنا في ما نعرفه من سير التاريخ ما يدل على ان هذا الرجل سنح . هل الناس احكم الآن ، او اقل اثرة ، او اشد تساهلاً ، مما كانوا في سابق العصور ؟

قلّبوا النظر في نواحي الحياة الاجتماعية ، تجدوا كل وجه من وجوه التعصب الاجتماعي التي عرفت في الماضي ، ومن اليقين ان الحاجة الى النقد في هذا العصر اعظم جداً منهُ في اي عصر سلف لما تحوكه الدعاوات المغرضة ، من غشاوات تلقيها على الأبصار والبصائر

من السهل ، ان ترفع الصوت بالذم والتذمر ، عند ما ترى عضواً في مجلس نيابي او جماعة من الاعضاء يقفون كالسد دون سير مشروع ما سيراً عاجلاً الى سجلات القوانين . أن الذم بمثل هؤلاء قد يخيفهم لانهُ تهمة اجتماعية كبيرة توامها عرقلة اعمال التشريع . ولكنهُ في حدّ نفسه دليلٌ على ضرورة العرقلة الى حد ما . لان كل مشروع صالح تقدمهُ الحكومة القائمة يجب ان يكون قادراً على الثبوت عند ما تثور حواليه اعاصير النقد . ولست اتصور احداً منكم يعتقد أن كلمة توضع في الفم او جرعة زيت خروع تفرغ فيه او سوطاً يلهب به الظهر دليل يقام على صحة او خطاء ، او نفع او ضرر . انها قد ترغم ولكنها لن تقنع

ومما لا ريب في ان بعض اعضاء المجالس النيابية في شتى البلدان يعتمد احياناً على حقه في حرية البحث لعرقلة مشروعات يعرضها خصومهم عرقلة غير مجدية ، ولكن يقابل هذا ان العرقلة انتهت في كثير من الاحيان الى نفع صالح استبعد كثيراً من وجوه النقص من القانون المعروض

أيجب ان نعتقد ان طغاة البلدان الدكتاتورية لم يخطئوا لمجرد أنهم غير مقيدين بمجالس نيابية او صحف حرة توجه النقد الى اعمالهم ؟

ثم هناك مأخذ آخر على الحكومات النيابية وهو ضعف كفايتها inefficiency وليس ثمة ريب في انهُ اذا طلبنا الكفاية وحدها ، وقدمناها على كل شيء آخر من شؤون المجتمع ، فالملك المطلق والزعيم الحاكم بأمره خير من الملك المقيد ورئيس الجمهورية . فارادة رئيس الدولة المقيد محدودة بالمجلس النيابي ، يناقشها ويؤخرها ويعدل فيها راجياً بأباها . وهذا يفضي ولا ريب الى ضعف الكفاية . ففي زمن الحرب تقدم الكفاية على العدل . وليس بالشاذ ، ان يكون جميع الحاكمين بأمرهم ، او المتطلعين الى هذا النوع من الحكم ، يضربون على وتر «الخطر القومي» لكي يثيروا في اقوامهم ذلك الاحساس بالتضال الذي يقتضي تقديم الكفاية على العدل . فكل رجل عاقل يسلم بان يحكم حكماً مطلقاً عند ما يعرض هو وجماعته لخطر داهم . والحاكمون بأمرهم يعرفون ذلك فيتفوقون عليه . ومع ذلك فالديمقراطية نفسها لا تحول دون هذه الكفاية إطلاقاً . فنحن نجد بلاداً ديمقراطية عريقة كالولايات المتحدة الاميركية تمنح رئيسها في زمن الحرب سلطة مطلقة . فالنظم الديمقراطية لا تحول دون الكفاية في الازمات والاوقات الاستثنائية

ولكن هل الكفاية هدف اجتماعي اعلى ؟ فنحن عند ما نبحثها ونحللها نجدها أخصر وأسرع طريق الى تحقيق رغبة ما . ان صاحب المصنع يعرف ما يريد وعلى مصنعه ان يخرج البضائع التي يريدها في أقصر وقت وبأقل ثمن . تلك هي الكفاية . الا ان الحكم على الكفاية نفسها يجب ألا يهمل ايضاً الغرض الذي تتجه اليه . ولا سيما في الشؤون الاجتماعية . فقد يكون صاحبنا سكيراً كفوءاً . او لصاً كفوءاً . ولكن الكفاءة مقياس لقيمة الاسلوب . وليست بحال ما مقياساً لقيمة الهدف . فصاحب المصنع يريد سيارات او أحذية او غازات حربية ، فيسير في صنعها على أكفأ اسلوب بغير نظر الى هل هذه السيارات او الاحذية او الغازات الحربية مفيدة او ضارة ، الا من ناحيته الخاصة اي ناحية الربح المادي

أما رئيس الدولة فعليه ان ينظر في الأهداف . وان يقيس قيمتها من الناحية الاجتماعية القومية . والهدف الاعلى الذي يتطلع اليه هو العدل . فالكفاية ، مهما تبلغ من التمام ، لا تسوغ كونها كفاءة في سبيل هدف غير عادل . لذلك لا يمكن ان يحكم على الحكومة من هذه الناحية ناحية الكفاية ، كما نحكم على مصنع او متجر . وكل تمثيل منتزع من ميدان الاقتصاد تمثيل خاطئ .

ثم يأخذ على النظم الديمقراطية ان رجال المجالس النيابية أدوات تسيرها من خلف ستار جماعات منظمة من أصحاب المصالح الخاصة . هنا كتلة الفلاحين وهنا جماعة العمال وهنا مولو وول ستريت او الستي أو البانك ده فرانس وغيرها . ولست أدري هل هذه الظاهرة مما يمكن

الاستغناء عنها أو لا. ولكنها على كل حال حقيقة واقعة على الغالب. الا ان علاجها ليس في الغاء المجالس النيابية؟ بل في الاعتراف بوجود مصالح متباينة وتدبير نظام يتيح لها ان تمثل جميعاً، بحيث يفصح أصحابها عما يريدون ويسعون الى تحقيقه بالاساليب المشروعة.

ان من يتأمل في علاقات البشر بعضهم ببعض يعلم انهُ حيث يجتمعان اثنان فهناك مصلحتان، وانهُ من المرجح ان تصطدم المصلحة الواحدة بالاخرى. ثم هو يعلم انهُ من المتعذر أن تحقق جميع هذه المصالح دائماً. بين مصالح المموّلين والمال اصطدام، وبين مصالح الدولة والكنيسة اصطدام، وبين مصالح اصحاب الارض وأصحاب المصانع اصطدام، وفي كل هذه الاصطدامات أما ان تنتصر المصلحة الواحدة انتصاراً تامًّا، وتخذل الاخرى خذلاناً تامًّا، واما ان يتفق الطرفان على حلٍّ وسط. ولما كانت الديمقراطية في رأي جميع الذين تعمقوا في درسها قائمة على التعاون، فعلى الديمقراطية ان تبحث عن الحلول الوسط في كل نزاع. ومن الواضح ان الحل الوسط لا يرضي أحداً تمام الرضا. لانهُ لا يحقق مطلب فريق تحقيقاً كاملاً. وهذا ما يندّد به ممثلو الطوائف المختلفة التي لها مصالح معينة. فكتلة الصناع تعترض على نفوذ أصحاب المصانع. وهؤلاء يشكون سيطرة اولئك. والمستوردون يريدون ان تلغى الحواجز الجركية او ان تكون منخفضة. وأصحاب المصانع يريدون رفعها. صناع السلاح يرفعون صوتهم بالعقيرة على دعاة السلام الضعاف. والوالدون يجأرون الى السماء من صناع الاسلحة الذين يستهترون بدماء أبنائهم. ضع الفلاحين في منصة الحكم، يوجهوا أعظم عنايتهم الى الريف. أحل المموّلين محلّهم تهمل العناية بالفلاح. جد بقول صناع الاسلحة، واذا أولادنا تحولوا طعماً للدفاع، او حكم دعاة السلام، تصبح البلاد هدفاً سائغاً لاعتداء خصومها

ان الحكم الدكتاتوري، يسهل عليه ان يحل جميع هذه العقد، فيهر بحلّه. فهو حكم جماعة واحدة، وباستئصالها الجماعات الاخرى او شلها او اخضاعها تحكم حكماً سداد الكفاءة والحتمُ النظام المستتب. ثم يسند مفكروها الى اقامة الدليل على ان الجماعة الحاكمة هي الجماعة الاساسية في المجتمع، وعليها تتوقف حياة الجماعات الاخرى او هلاكها ومن هنا تنشأ فلسفة هذه النظم، وهي لا تعدو كونها قولاً يتجهُ قصداً الى تسويغ النظام القائم. والواقع ان طبيعة الاجتماع البشري وشؤون النظام السياسي يجعلان المهمة الاولى على الحكومة هي التوفيق بين اصحاب المصالح المختلفة. وذلك لا يكون بإبادتهم ولا باعتقالهم. فهذه مهمة أساسها « العدل » وطريقتها « الحل الوسط »

ثم يؤخذ على النظم الديمقراطية أنها تتخذ من المساواة بين الناس مطية الى نفوسهم وأهوائهم وكلمة المساواة وان حلا رنينها في الاذن فلا وجود لها حقيقة في الواقع، وهذا القول فيه نصيب من الصحة. فقول الفرنسيين أبان ثورتهم ان الناس يولدون متساوين قول لا يقرهُ العلم

البيولوجي ولا العلم الاجتماعي ، فالناس مختلفون في ملكاتهم من يوم تكوّن نطفهم في ارحام أمهاتهم . ثم تزداد هذه الفروق ظهوراً بفعل البيئة الاقتصادية والاجتماعية . الاّ ان القول بسقوط مبدإ المساواة على اطلاقه يقتضي سقوط النظم الديمقراطية القائمة عليه ، قول فاسد ، لانهُ اذا انعدمت المساواة البيولوجية بين الناس، ففي البلدان الديمقراطية، حيث يعترف بالشخصية، مساواة في الفرص التي تتاح للفرد ، ومساواة في الحقوق المدنية وامام القانون ؛ وفي هذا — اذا صين وطبّق — ما يكفي ميداناً لبروز الكفايات . ولست أنكر أن النظم الاقتصادية لا تزال على غير ما يرام ، كما انني لا أنكر ان النظام الديمقراطية مقصرة عند التطبيق عما يجب ان تكون — ولعلّ تلازم اشوء الديمقراطية الحديثة وقيام النظام الرأسمالي أهم مواطن الضعف في دليل المدافع عن الديمقراطية[1] — ولكنني أقول ان الامل في السير نحو الهدف المقصود، في ظلال هذه النظم اكبر منهُ في ظلال اي نظام سياسيّ آخر عرفهُ البشر حتى الآن . ان الديمقراطية لا تقوم على مبدإ المساواة المطلقة بين الناس، بل على احترام ما بينهم من فروق ووجوه اختلاف

* * *

اذا نبذنا النظام الديمقراطي ، فماذا نحلّ محله ؟ ان الشعوب في هذا العصر مخيرة بين نظام الحكومة الديمقراطية ، وتدابيرنا الى نواحٍ من محاسنها ومعايبها . وبين نظام آخر قائم على مبدإ الزعامة او الدكتاتورية ، ولا يهمنا في هذا المقام هل الدكتاتورية شيوعية او فاشستية لان الخيار بين حكومة نيابية من ناحية ، وحكومة رجل فردٍ من ناحية أخرى، حولهُ جماعة من الانصار والمستشارين ، لا يرجع الى الشعب الاّ لتسجيل الموافقة على أعماله . فهو حاكم مطلق ، يشرّع بمراسيم . وقد مرّ بنا في عصور التاريخ المختلفة حديث ملوك وحكام مطلقين ، فني وسعنا ، ان نرجع اليه لنستخلص منهُ العبرة والارشاد

ولست احتال احداً منكم بفرض ، على ان الحاكم الحكيم ، الفاضل ، العادل — على ما وصفهُ الفلاسفة — جديرٌ بان يتقلد السلطة المطلقة، ويتسلّم مقدرات شعب بأسره . فحكمته وعدله يحولان دون خطاه أو جوره على فرد او على طبقةٍ من الشعب . وفي صفحات التاريخ أسماء حكام لمعت حكمتهم وأضاء عدلهم دياجير عصورهم . ولكن من يضمن لنا قيام هذا الحاكم في شعب آخذ بنظام الحاكم الفرد ، سواء أولد للملك والحكم ام ارتقى اليه من عامة الناس

ومع ذلك نقول من الناحية الفلسفية والعملية معاً ، انهُ يستحيل قيام حاكم يبلغ من الحكمة والعدل مرتبة تنزههُ عن الخطاء . واذن فعليه — اذا شاء أن يحكم بأمره — ان يسكت الناقد الذي في وسعه ان يبين وجه خطاه . وليس ثمة شعب بلغ من الانسجام مبلغاً محا الفروق بين

(١) استمرار هذا التلازم ليس محتوماً فالديمقراطية الانكليزية حولت مآباً غير يسير من رأسماليتها الى تراكية معتدلة

طبقاته وأزال كل باعث من بواعث الاصطدام بين شتى مصالحها . واذن فعلى الحاكم ان يتنقل ويتنبى ويتطهد كل فريق من الشعب لهُ مصالح تصطدم بمصالح الفريق الذي ينتمي اليه او على الاقل المصالح التي يريد ان يغلبها عن اقتناع او عن النفاق . لان من القواعد التي استخلصها من دراسة تاريخ الحاكمين بأمرهم ، ان المهم في نظرهم ليس ان يكونوا على صواب ، بل ان تعتقد رعيتهم انهم على صواب . فأمير مكيافيلي لم يكن يخطىء لان مقرراته كانت تضع الحد بين الصواب والخطاء . القاعدة في البلدان الدمقراطية — او يجب ان تكون كذلك — انك اذا استطعت ان تقنع الناس بصحة رأيك فقد ربحت القضية . الا انَّ الحاكمين بأمرهم يزعمون ولا يقنعون ، ولذلك يحكمون بما يقولون انهُ موافقة تامة فهم على ذلك أعظم الدمقراطيين !

ويرتدُّ فريق من مؤيدي الحكم الدكتاتوري ، الى الحياة الاقتصادية ، يستمدون منها الدليل والاسناد ، لتأييد ذلك النظام من الحكم ، فيقولون ان في قدرة هذا النظام السيطرة على تنظيم الانتاج ، ويستشهدون بحالة الفوضى الضاربة أطنابها في ميادين الانتاج في البلدان التي مازالت آخذة بمبدإ الاطلاق او عدم تدخل الحكومة Laissez faire وكيف أفضت الى الأزمة الاقتصادية التي أخذت بخناق العالم في السنوات العشر الاخيرة . وهو قول لا يستقيم على علاته . فالزعم ان هناك فيضاً في الانتاج نشأ عن عدم تنظيمه تنظيماً خاضعاً لسيطرة الدولة العليا ، وأفضى الى تدهور الاسعار وما تلاه من أزمة عالمية ، لا يثبت على كثير من النقد . فمن المعترف به ان ملايين وعشرات الملايين من الناس ، لا يفوزون من وسائل الحياة الا بما هو دون سد الرمق ودفع البرد . فالقول بفيض الانتاج خطأ من هذه الناحية ، والايحاء باللائمة على فيض الانتاج خطأ كذلك ، وانما اللائمة تقع على الخطط الاقتصادية المغالية في نزعتها القومية ، التي أرهقت التبادل الدولي بالحواجز والحصص وغيرها من القيود التجارية والمالية ، وعلى أثرة الموالين وطمعهم

نعم ان الحكومة الفاشستية استطاعت ان تبتدع طريقاً يبدو عليه انهُ طريق حسنٌ لتنظيم العلاقة بين المال والعمل ، ولكن امتحانهُ في احوال سوية من الحياة لم يتح بعدُ ، وكذلك سيطرت الحكومة النازية على المرافق الصناعية وأخضعتها لنظام عام ففازت فوزاً كبيراً في حذف كلمتي « التعطل عن العمل » من قاموس الحياة الالمانية الآن وأحلّت محلها كلمة « الحاجة الى اليد العاملة » . ولكن أيصح أن نتخذ من ذلك دليلاً على ان مشكلة الانتاج والعمل قد حُلّت ؟ أليست الحياة الاقتصادية الشاذة وصرف كل جهد من جهود الامة الى صنع السلاح ، دليلاً على اننا ما زلنا في حاجة الى الحجة البينة على ان الحكومات الدكتاتورية اقدر على حل مشكلات الانتاج من الحكومات الدمقراطية ؟

ثم هناك قول بان الدمقراطية أفلست افلاساً روحيًّا . يقول بذلك الملكيون الفرانسيون ، يزعمون ان الفضائح المالية ، والادواء الاقتصادية ، والنفاق القومي ، والشذوذ الفني ، والاهمال

الديني ، كانت غير معروفة في عهد الملكية قبل الثورة ، بل كان النظام واحترامه يسودان المجتمع ، ويسيّران الرجال في سبيل الصدق والاستقامة ؛ الى ان عصفت بهم عواصف ١٧٨٩ ، ففتحت امام عيون الناس آفاقاً من السعادة الوهمية ، آفاق عهد تزول فيه الطبقات ويتساوى الناس جميعاً في مالهم وما عليهم فاستهوت هذه الصورة مخيلات الشعب ، فانصرف عن ملوكه وأقبل على اوهام السلام والحرية والمساواة والاخاء فكانت الحرب الكبرى وفضيحة ستانسكي والفن التكعيبي الساقط والالحاد والمالية الدولية التي يقبض السامیون على اعنتها

وفي اقوال الملكيين الفرنسيين غير قليل من صائب القول . وان كان ربط المقدمات بالنتائج ، على هذا المدى البعيد من الزمن ، من أشق الامور . وليس ثمة ريب بان كل عاقل يريد النظام ولكن ما مداه ؟ وما ثمنهُ ؟ فاذا امتدّ النظام الى اصغر صغيرة في حياة كل منا بحيث يقتل روح الاقدام فحينئذٍ يجب ان نسأل اي ثمن ندفع . والواقع ان النظام امر نسبيٌّ . ولا يمكن ان يبحث منفصلاً عن الغرض منهُ . وكثيراً ما نخطىء نتظنهُ غاية في حد ذاته . وهو في الواقع لا يعدو كونه وسيلة الى هدف سام هو السعادة . ومما لا ريب في ان « التنظيم الاجتماعي » ذو قيمة عظيمة في حفظ السلام ، والسلام ركن لا يستغنى عنهُ في كل ابداع او نشاط انساني . والديمقراطية تعترف بالقيود اللازمة في حياة الفرد وحياة الجماعة . الاّ انهُ كثيراً ما تكون الدعوة الى التنظيم وسيلة ، لتحقيق اغراض أفراد من المتسلطين الى السلطان او المجد او الثروة

فالحاكم بأمره يجب ان يبدو في مظهر المصيب دائماً . وقد أشرت الى احدى وسائله في تحقيق هذا المظهر . ومن وسائله كذلك الدعوة الى الطاعة . فالطاعة — في رأيه — عقيدة يجب ان تبثّ . والمسوّغ الاكبر لبثها النظام الاجتماعي وحفظ كيانه . ولما كان النظام لا غنى عنهُ لانهُ يتيح للملكات الانسانية ، بيئة تستطيع فيها ان تورق وتزهر ، فالمخيل الطاعة كثيراً ما يلقى أنصاراً وأتباعاً . الاّ ان المجتمع الذي بلغت فيه الطاعة أقصى حدودها ، لا يعدو كونهُ ، مجموعة من آلات او دمى تتحرك ، بلا ارادة او عقل ، ولا يحركها الاّ الشعور بوجوب الطاعة . ولعلّ خير ما يشبّه به مجتمع من هذا القبيل ، هو قفير النحل . ولعلّ قفير النحل هو أبلغ مثل على « الجهاز الاجتماعي » الذي يتوده النظام التام والطاعة لمقتضياته ، ولكنهُ جهاز لا يستطيع ان يبدع قصائد ولا ان يصنع أدباً ولا ان يصور صوراً ولا ان ينحت تماثيل ، فهو مجتمع لا علم لهُ ولا فلسفة ولا فن . فهل هذا غرضنا ، وهدفنا من الاجتماع البشري ؟

قد يذهب بكم الظن الى انني اعترض على فلسفة « الفقير » من الناحية الاجتماعية لانني اؤمن بأسطورة « الفرد » على اطلاقها . فالفرد ، اذا نظرنا اليه على انهُ وحدة مستقلة الاستقلال كلهُ ، مكتفية بذاتها الاكتفاء كله ، مساوية المساواة كلها لغيرها من الوحدات ،

اسطورة ، تقضي عليها علم الحياة ، ونشوء المجتمع الاقتصادي والصناعي . ولا فائدة من انكار اننا نعتمد على غيرنا في تعليمنا ومعيشتنا بل وفي أجسامنا نفسها ومثلنا الروحية . ولكننا مع ذلك لسنا أوعية تفرغ فيها هذه الكنوز المادية والروحية . وحياتنا ليست مقتصرة على الناحية السلبية . فنحن لا نستطيع ان نأكل طعاماً في مطعم اذا لم يكن في قائمته او موادهُ في مطبخه . ولكننا نستطيع ان نختار ما نستطيبهُ او يوافقنا مما هو معروض علينا . فاللاعب في ميدان كرة القدم ليس حرًّا في ان يسير بالكرة الى ما وراء هدف الخصوم ، ولكنهُ في الوقت نفسه ليس مجرد آلة لنقل الكرة من مكان الى آخر في الميدان وفقاً لقوانين الحركة . حتى في الجيوش ، حيث يقام أعظم وزن للنظام الدقيق ، لا يمكن ان يحسب الجندي آلة . وقوّاد الحرب يعترفون بأن صفة الاقدام ضرورية كصفة الطاعة . والواقع ان كل جماعة تأتلف أفرادها حول السعي لتحقيق غرض ما ، سواء أفي اللعب كان ذلك أم في السياسة أم في الفن ام في التربية ام في التجارة ، تجابهُ مشكلة أساسية هي اقامة الميزان بين الحرية والخضوع ، او بين الحرية والسلطة . وهذان اللفظان يبدوان متناقضين ، وهما متناقضان اذا طبقا على فرد واحد في وقت واحد في صدد واحد . واذن فليس في الوسع ان يكون الرجل منا مستقلاً وخاضعاً لسلطة أخرى في وقت واحد في شأن واحد . وانما لا يجوز لأي رجل عاقل ان يحمل على الخضوع في جميع الاشياء مدى الحياة فيتحول عبداً ، ولا ان يكون مطلقاً في جميع الاشياء مدى الحياة فينقلب فوضويًّا . ولنتخذ مثلنا على ذلك من ميدان التربية . فللمعلم يجب ان تطلق له الحرية في تدريس الموضوع الذي يعهد اليه بتدريسه على خير ما يرى ، ولكن عليه ان يقيد تدريسه بتدقيقه في تحري الحقيقة ، وبادراكه ان من حق الطلاب عليه ان تكون أقواله واضحة ومشوّقة

واذن فالحرية والنظام يتسقان . والقول بان الديمقراطية فوضى اجتماعية قول لا يستند الى أساس صحيح . خذوا مثلاً على ذلك الديمقراطية البريطانية ، فانها على الرغم مما يتطرّق الى حياتها من الاعمال الثانية ، ليست اكثر فوضى من فرنسا الملكية في القرن السابع عشر او اية دكتاتورية في هذا العصر . فكل حكومة قد تتساهل فتجنح ناحية الفوضى الاجتماعية او قد تشتدُّ وتغلو في حدّ الحرية وتغليب الطاعة والنظام الدقيق ، فتجنح الى الاستبداد . وليس هناك ريب في ان الحكومات الديمقراطية اقرب الى التساهل ، لانها توفيقٌ بين مصالح طوائف مختلفة ، بدلاً من ان تكون تغليب مصالح فئة وحرمان الفئات الاخرى

إلاّ ان الديمقراطية لا يجب ان تلزم جانب الدفاع فقط . فالديمقراطية نظام للحكم وصورة للحياة تتلخص فيها اغلى ثمرات النضال الانساني منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا . فيها تتجلى قيمة الحياة الانسانية ، وقيمة الكرامة الانسانية ، وقيمة الفكر الانساني . وهي قيم تتنافى والنظام المقابل

لها. فهي بهذا الاعتبار حامية سر الحضارة وحاضنتهُ . فعليها أو على أنصارها ان يناضلوا في سبيل تمكين قواعدها وأصولها في النفوس ، بالتعليم في المدارس ، والنشر في الصحف والكتب ، وفي المثل يضربهُ الاقطاب الافذاذ لمعاصريهم وللاجيال التي تلي . ليست الدمقراطية نظاماً جامداً ، بل هي سعي دائم الى مثل عالٍ من الحياة الانسانية ، فعلى المؤمنين بهذا المثل ألاّ يتراخوا في الدعوة اليهِ بل وفي الكفاح في سبيله . فالنفوس عندما تتأصل فيها معاني الكرامة الشخصية ، وتتطبع بأسلوب العلم الحديث الذي يطلب الحرية المطلقة في البحث وريادة المجاهل الفكرية سعياً وراء الحقيقة ، تستهين بالاهوال اذا اريد الحجر على حريتها ، او امتهان كرامتها

ايها السادة . في محيط التاريخ كما في محيطات الارض نوعان من التموجات . التموجات الصغيرة التي على السطح ، والتيارات القوية الدائمة المندفعة في الاغوار . وليس نظام الحكم الدكتاتوري في عصرنا هذا ، او ما عرفنا من امثاله في العصور السابقة ، الاّ احد هذه التموجات الصغيرة على سطح التاريخ . اما التيار العظيم القوي في تاريخ الانسان ، فهو التيار السائر من الاستعباد للطبيعة ثم للكهان والملوك والطغاة ، نحو الحرية والكرامة . ان النضال في سبيلها ينظم حوادث التاريخ واذا كان قد اعتور هذا التيار المندفع ، تموجات على السطح غطت عليهِ وأخفتهُ عن الانظار ، فليس ثمة شكٌّ في ان التموجات زالت وهو باقٍ سائر الى الامام

هذا هو تراث المؤمنين بالدمقراطية . وهو تراث فخم . وهذه هي أهدافهم . وهي اهداف تلمع عند الفضاء الابعد . قد تقضي الاقدار — ونحن في غمار هذه الموجة الصغيرة التي تمر سطح التاريخ — ان تنصب الاعواد ويعلق بحبالها جماعة الاحرار . ولكنني لست أرى سبباً يدعوهم الى عقد الحبال بأيديهم . اما نحن في الشرق ، فلنا في الدين الاسلامي الحنيف ، والمسيحي الكريم المتقى من الشوائب أعلى مُثُل الدمقراطية من احترام لكرامة الانسان وفكره وخلقهِ . فالسيد المسيح انتقى تلاميذهُ من الصيادين والنبي العربي الكريم أتاح مكاناً في الذروة لمن يصل اليهِ بصادق ايمانهِ وكامل خلقهِ وحسن فكره وعملهِ . واذا كانت الدمقراطية ، من حيث هي النظام النيابي في الحكم ، جديدة القيام بيننا ، واذا كان طريق الدمقراطية الى السعادة الانسانية طريقاً وعراً ، يقتضي اليقظة الدائمة والجهد المستمر لانها التوازن الحيُّ الدقيق بين قوات المجتمع البشري ، فلنكن سبيلنا الى ترسيخ قواعدها ، المثل الطيب ، والتعليم الصحيح ، وحماية الفكر الحر . ولنقوا ان الفكر الحر يمضي في نضاله يغلب ويغلب حتى يثبت على كرّ الزمن ما فيهِ النفع او الحق او الصلاح . فجانبنا في هذا الصراع الدائر واضح وهو الوقوف الى جانب الحريات ، امرزها وندفع عنها ، وسيجيء يوم ، يجتاز فيهِ العالم هذه الفترة المريضة ، فتسكن الموجة السطحية الطافية ، ويبدو أثر التيار العميق القوي ، وعندئذٍ نجني ثمار الكفاح

الشيوخ والشبان

بين المطرقة والسندان

للدكتور امير بقطر

« مات في الثلاثين ودفن في السبعين »

[بطلر]

بين الشيوخ والشبان عداء قد تقادم عهده. هو صراع لم يقف دولابه منذ الخليقة لحظة واحدة ، وحرب لم تكف رحاها عن الطحن والدوران منذ أن عرف العالم ذلك الشيخ الوقور الذي اصطلح الناس على تسميته آدم ، وذلك الفتى المكابر الذي شاء مؤرخو الخليقة ان يدعوه قابين. وقد يكون ذلك الصراع نزاعاً جدياً بين الحكمة والإقدام ، كما انهُ قد يكون ضرباً لطيفاً من المداعبة والمزاح بين أنصار الماضي والقديم ، وأنداد الحاضر والجديد . وقد يكون حرباً شعواء تتغير أوضاعها ، فهي تارة بين الاتزان والطيش ، أو التعقل والتهور ، واخرى بين الجمود والمرونة ، أو الوقوف والحركة . ومهما يكن من شيء فان هذا الصراع سنة من سنن الطبيعة ، لن تجد لها تغييراً ولا تبديلاً ، وهو ضرورة لا مفرّ منها ، ووسيلة توسّل بها المجتمع لحفظ التوازن ، حتى لا يسفّ الشيوخ الى الحضيض ، فيجرون العالم على ظهور الدواب الى الوراء أجيالاً ، وحتى لا يجمح الشبان ، فيحملون المجتمع على أجنحة الهواء الى الامام أجيالاً

ومن الغريب أن بين الشيوخ من يأبى أن تتسلل الشعور البيض الى رأسه ، فيحارب على الدوام مع صفوف الشبان ضدّ الشيوخ ، كما أنا نجد بين الشبان من يشتعل رأسه شيباً ، وهو بعد دون العشرين ، فيعيش طيلة عمره كالجندي الخائن ، يحارب رفاقه مع صفوف الاعداء. على أن هذا امر يغلب على الظن أنه نادر الوقوع

***

ألق بنظرك على مصلحة من المصالح ، أو لجنة من اللجان ، أو جماعة من الجماعات ، تجد كلاً من الفريقين المتحاربين يتهيأ لطعن الآخر الطعنة النجلاء . فالشيخ الفخور بتاريخه الطويل ،

المتقبل ظهره باختباراته ومعارفه ، ينظر شزراً الى ذلك الشاب الغرّ ، ذى العود الرطيب . والشاب يفخر بآرائه الحديثة الحرّة الذى لا يتقيد بالماضى ، ولا يهاب المستقبل ، يبزأ بذلك الشيخ الذى تصلبت شرايينه ، وتحشّبت آراؤه . وقد اصطلح الناس مراعاة للتقاليد ان يتهزم الشبان احياناً أمام الشيوخ تأدباً ، قبل ان تصح المعركة فاصلة . واصطلحوا كذلك ان يكمّ الشيوخ (الرؤساء عادة) افواه الشبان ، حتى لا تؤدي آراؤهم إلى اطلاق السهام إيذاناً ببدء القتال ، بدعوى أن الشبان لم تنضج بعد آراؤهم ، وان ما عليهم الا التأمين على قول من هم اكبر منهم سنّاً وإن كانوا حقيقة يفوقونهم فطنة . والنتيجة في أغلب الاحايين مهزلة أو مأساة إذا شئت ، فجميع هذه المصالح والمنشآت ، على هذا المبدأ ، تديرها او توقراطية من الشيوخ وتحرّم كثيراً من الصفات التي يتسم بها عادة بعض الشبان كالاقدام ، والابتكار ، والحماسة ، والحمية ، والقوّة . وكذلك نجد الشبان يخطئون كثيراً في الحكم على الشيوخ بالجمود ، والمحافظة ، والتردد ، والرجعية ، تتضعف فيهم روح التعاون الصحيح ، وإن أذعنوا لرؤسائهم (الشيوخ) في الظاهر

ولا بدع إذا خشي الشاب الذكيّ المحب للعمل والاصلاح والتعاون ، أن تكون سنّه عقبة كؤوداً في سبيل نجاحه ، فيوهم الغير أنهُ اكبر سنّاً ، وانهُ في طريق الشيخوخة . ولا بدع إذا خشي الشيخ المحب للعمل والنشاط أن تكون سنّه عقبة في سبيل نجاحه ، فيتصابى ، ويتصنع ، حتى يوهم الغير أنهُ لا يزال مرناً ، مقداماً ، في عنفوان العمر . وهذا ما فعله موسوليني أخيراً ، وقد أحسن فيما فعل . وذلك انهُ لما أوشك على الخمسين أوعز الى الصحف ألاّ تشير الى هذه « الكارثة » تصريحاً أو تلميحاً

***

ولكن ... وهذا بيت القصيد من هذا المقال — ولكن هل ترى الشباب دليل المرونة والنشاط والاقدام ، والابتكار ، والشجاعة ؟ وهل الشيخوخة دليل الجمود ، والتراخي ، والتردد والمحافظة ، والرجعية ، والجبن ؟ لنترك الاجابة عن هذا السؤال الى التاريخ اولاً ، وعلم النفس ثانياً

***

يقول لنا المحاربون في صفوف الشيوخ ان الذهن لا يتماثل الى النضوج والانتاج ، والاستعداد للحكم على الأشياء احكاماً صائبة ، إلاّ في سنّ متأخرة ، ويقولون كذلك إن الحياة الجدّية لا تبدأ حقيقة إلاّ بعد الاربعين . بيد أن التاريخ يقول لنا غير ذلك ، وها كم الدليل

مات كيتس Keats بعد حياة حافلة بالادب في سن الخامسة والعشرين ، وتولى بت (Pitt)

رآسة الوزارة الانجليزية في سن الرابعة والعشرين ، ووضع مندلسون (Mendelssohn) روايته الموسيقية الخالدة (Midsummer's Night's Dream) في سن السابعة عشرة ، وبدأت الروائية الشهيرة جين أوستن (Jane Austin) بكتابة رواياتها الذائعة الصيت في الحادية والعشرين من عمرها . ونشر كبلنج Rudyard Kipling اثنى عشر مجلداً قبل بلوغه الثلاثين . وقطع لندبرج Lindbergh المحيط الاطلسي الى فرنسا وهو في الخامسة والعشرين ونبغ ابن سينا في الطب والعلم والادب وهو بعد دون العشرين ، وبدأت انجلترا وتركيا وفرنسا ومصر ، بحسب حساب المصطفى كامل وهو اقرب الى العشرين منهُ الى الثلاثين

وكذلك يقول لنا المحاربون في صفوف الشبان ان الشيوخ يصيبهم الهرم والهذيان والاجداب في سن معلومة ، كما تصاب المرأة بالعقم في سن معلومة ، بيد أن التاريخ يقول لنا غير ذلك وهاكم الدليل

***

وضع دانيال ديفو Daniel Defoe أكثر من ثلاثين كتاباً بعد ان جاز السابعة والستين من عمره . وكتب سرفانتيس Cervantes مؤلفهُ الذائع الصيت دون كيشوت Don Quixote الذي يصور مصر الفروسية ، وهو في سن الثامنة والستين . ووضع الفيلسوف كانت Kant أحد مصنفاته الفلسفية العظيمة في الرابعة والسبعين . وهذا تنتوريتو Tintoretto من اشهر فناني البندقية لم تكف ريشته عن الرسم حتى الرمق الاخير . وقد أخرج لنا لوحته الخالدة « الفردوس » في سن الرابعة والسبعين . وهذا فردي Verdi الموسيقي الطلياني المعروف أعجب العالم بأشهر مقطوعاته الموسيقية البديعة بين الرابعة والسبعين والرابعة والثمانين . ولا تتسع صفحات هذا المقال لتدوين ما يمكن تدوينه من اعمال اولئك الشيوخ الابطال . وحسبي ان اشير الى ما الفهُ هولمز Holmes في الخامسة والسبعين . والى قصة فوست Faust الشهيرة التي انجزها غوته Goethe في الثمانين ، والى Crossing the Bar التي دبجتها يراعة تنيسون Tennyson في الثالثة والثمانين ، وأخيراً الى معجزة المعجزات ، تلك اللوحة الفنية الخالدة « معركة لپانتو » التي وضعها الرسام الايطالي الشهير تشيان Titian في سن الثامنة والتسعين

هذا من الناحية التاريخية . أما من الناحية العلمية ، فان علم النفس قد كشف لنا أخيراً عن ظاهرة طالما أخطأ الناس في تأويلها . فقد كان من القضايا المسلم بها الى عهد قريب — لا يتجاوز

عشر سنوات — الى النشاط الذهني ، أسوة بالنشاط العضلي ، ولا تقول البدئ ، يأخذ في الانحطاط بعد سن الاربعين ، ان لم يكن قبلها بكثير . ويعزى جلُّ السبب في هذا الزعم الفاسد الى عدم التفريق بين ضعف الذاكرة ، وضعف الملكات الاخرى ، كملكتي الخيال والتمييز ، وقوة الابتكار ، والمقدرة على الانتاج . ومن المعلوم ان الذاكرة تأخذ في الانحطاط بين سن الاربعين والخمسين ، غير ان كثيراً من هذا الانحطاط الذي يبدو لنا كذلك في الظاهر ، انما هو في الحقيقة شيء آخر . فالرجل متى بلغ المرحلة الخامسة من عمره ، ازدحمت ذاكرته بشتى عناصر الاختبار ، من معلومات ، وافكار ، ومسائل ، وتراكمت في مخيلته حوادث الماضي ، وصور المستقبل ، فلم يعد يهيأ بتافه الامور ، أو يكترث لتفاصيل المسائل . في حين ان الشاب فقير في هذه كلها ، خلوُّ البال نسبيًّا ، فيستطيع بطبيعة الحال أن يستعيد الذاكرة في سهولة ، ويسرد التفاصيل في سرعة خاطر . وما يقال عن الشيخ الكثير النسيان ، يقال عن الشاب الذي يشغل مقاماً هامًّا في المجتمع . فرئيس الوزراء ، وإن كان في الثلاثين من عمره ، لا يذكر من الحوادث والارقام والمواعيد ، الا ما يتصل بمهام الدولة اتصالاً مباشراً وثيقاً ، كما ان سكرتيره وإن بلغ الخمسين قد يذكر تاريخ اليوم الذي اشترى فيه رئيسه طربوشه الجديد

هذا ما يختص بالذاكرة التي تكرر القول انها تنحط تدريجيًّا ، وان كان هذا الانحطاط يعزى الكثير منهُ الى غير السن . اما فيما يختص بالملكات والكفايات التي أومأنا اليها ، كملكات الحس ، والتمييز ، والحكم على الاشياء ، والابتكار ، والانتاج ، فيقول لنا علماء النفس بالحرف الواحد « انهُ من المرجح ان هذه لا تتأثر بالسن »

***

وفي مقدمة البحوث التي كشفت لنا القناع عن هذه المسائل . ما قام به ادوارد ثورندايك ، وهو من أكابر علماء النفس ، ان لم يكن في مقدمة الاحياء منهم قاطبة . وقد خصص ثورندايك ، عدداً يذكر من مؤلفاته التي أوقفت على الاربعين ، لدراسة التعلم ، وكيف تتم عمليته في الحيوان العجم ، والى التعلم بين الكبار وموازنته بمثله بين الصغار . ويتبين من هذه البحوث الحقائق الآتية : —

(١) في نواحي النشاط الجثمانية التي تتطلب مرونة العضل وقوتهُ كالسباحة والرقص واللعب وأمثالها ، ليس ثمة شك في أن السن هي العامل الأكبر

(٢) ان بين سن الثانية والعشرين والثانية والاربعين لا يكاد يبلغ الانحطاط الذهني الا ١٥ في المائة من النهاية العظمى التي يستطيع ان يبلغها الفرد من القوة الذهنية

(٣) أما فيما يتعلق بتلقي العلوم، وتحصيل المواد الدراسية في مراحل التعليم، من الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية، لا تنحط ملكة التعلم بين الحادية والعشرين والحادية والاربعين الا بنسبة نصف الواحد في المائة في العام

(٤) أما في غير ذلك فلن ليس ثمة مما يعزى الى انحطاط الكفايات، اللهم الا عدم الرغبة في قبول الآراء الحديثة والمحافظة، والتعصب للماضي. غير ان هذه كلها لا يبتلى بها الشيخ الذي يتمشى مع الزمن بالمطالعة والبحث، وتتبع الحركات الفكرية

(٥) بعد سن الاربعين او الخمسين تقل الرغبة في التعلم بطبيعة الحال، لان الفرد يكون عندئذ قد كوّن نفسه، واستقرّ رأيه على المهنة التي يزاولها، والالعاب التي يمارسها، والنفقات التي يكتبها ويتكلم بها. ولكن هذا لا يقصد به أن الكفايات قد انحطت، او ملكات الانتاج قد تدهورت، لان التعلم شيء، والانتاج شيء آخر. فقد ظل المخترع الشهير اديسون يبتكر ويخترع ويعمل في معمله رغم بلوغه الحلقة الثامنة من عمره ورغم ضعف حواسه

***

اذا كانت الحقيقة كما ذكرنا، فهل هناك ما يبرر ما ذكرناه في صدر هذا المقال من الصراع بين الشيوخ والشبان؟ وهل من العدل ان يحال الموظف العامل الى المعاش، وهو بعد مبتكر مبتدع منتج؟ وهب هذا النظام يعود الى عوامل اقتصادية ترمي الى إخلال الشبان العاطلين مكان هؤلاء الشيوخ، أليس مما يؤسف له أن نرى في بلادنا بعض الموظفين الاذكياء الاقوياء تخبو انوارهم، بمجرد احالتهم على المعاش، فلا تعود تسمع عنهم شيئاً وكأنهم دفنوا أحياء؟

***

والحقيقة التي لا شك فيها ان السن لم تكن يوماً مقياس النشاط والعمل والانتاج. كما انها لم تكن يوماً دليل الجدب والعقم والذبول. ان الامم في حاجة الى الشيوخ والشبان على السواء، فاذا كان الفرق بين الشيخ والشاب في التفكير كبيراً، فان الفروق الفردية بين الشاب والشاب، والشيخ والشيخ قد تكون اكبر. وعما ينبغي له ان تكون هناك فروق وفروق. لانه حيثما يكون التفكير متماثلاً. لا يكون ثمة تفكير البتة. وهذا اريد أن اختم كلمتي بعبارة مأثورة عن الفيلسوف الاجتماعي بطلر رئيس جامعة كولومبيا، ارضاء للشيوخ والشبان على السواء. وهذه هي العبارة وحبذا الحال لو نقشت على بعض القبور «مات في الثلاثين ودفن في الستين»

اربعون سنة على الراديوم

محسنة الى الانسانية

مشاهد رائعة من حياة مدام كوري

احتفلت الدوائر العلمية في اواخر نوفمبر الماضي بانقضاء اربعين سنة على كشف الراديوم. وقد سبق لنا ان نشرنا في المقتطف غير بحث واحد في هذا العمل العلمي العظيم وسيرة الاستاذ بيير كوري وزوجته ماري سكلودوفسكا كوري وضمنا كتابنا « اساطين العلم الحديث » فصلاً خاصًّا بمدام كوري. وها نحن ننشر فيما يلي مشاهد رائعة من حياة هذه السيدة العظيمة مختارة من ترجمتها التي ظهرت حديثاً بقلم احدى ابنتيها، احتفاء بذكرى كشف الراديوم في اواخر نوفمبر من سنة ١٨٩٨

***

لو طلب الينا ان نمثل نبل الانسانية في انسان لتجلّى في مدام كوري، ففي عقلها عبقرية التفكير العلمي، وفي قلبها عبقرية الشعور السامي، وفي حياتها آيات من التضحية، والسمو، والبعد عن كل ما يلطخ الخلق ويهبط به من الذرى الى التراب

في سيرة هذه المرأة النجيبة آيات تليها آيات، حتى لقد اصبحت آيات حياتها اجزاء من اسطورة كأنها اسطورة احدى ربات الاغريق القدماء، مع ان النبض في قلبها لم يقف الاّ في سنة ١٩٣٤ من التاريخ الميلادي

كانت ابنة شعب مستبدّ به، ذكيةً فقيرةً جميلةً دعاها العلم فلبّت، ولكنها قبل ان تصبح جديرة باسمى تقاليد العلم، عاشت سنوات في باريس صادفة عن كل شيء الاّ عن التحصيل، حتى لكثيراً ما صدفت عن الاكل والدفء، ثم قابلت رجلاً في عبقريته ما لا عم عبقريتها، فاتحدا في الحياة وبعد الممات، لان ماري كوري ظلت بعد موت زوجها وهي لا تزال في الثامنة والثلاثين من العمر، لا تنسى المثل العالي الذي ضربهُ في العلم الصحيح والخلق النبيل، فما اكرمت مرة الاّ وكان في كلامها اشارة نبل وعطف اليه

كشفت الراديوم، في احوال ترحق من لم يكن منها مندفعاً بشعلة علوية . ففتحت الانسانية بعنصر جديد عجيب، وبأسلوب جديد للعلاج ، وفتحت امام الذهن الانساني مغاليق علم جديد

واذ كانت ماري وزوجها بيير ، في أول الطريق الخارج من كهف الظلمة والانهار والفقر المدقع ، نزلت بهما آية الحزن بفقد زوجها ووالد بنتيها ، ولكنها على الرغم من الالم القضي والوحدة الموجعة ، والتعب الجسماني ، مضت في العمل الذي بدآه معاً ووسعت آفاق العلم الذي خطّا قواعده الاولى. وباقي حياتها يدور حول الاعطاء الدائم والمنح المستمر . لا تحفل بنفسها بل تنسى نفسها وبنتيها ،حين تقتضي منها مصلحة العلم ،او مصلحة الوطنين— بولندة وفرنسا— او مصلحة الانسانية ، بذلاً ما ، تعطي وتمنح كالشجرة الفوّاحة الشذا في الحقل ، لا تفكر في ما تفوح به ، ولا بمن يردّه عليها ،لان حياتها في الفوح

قصة جديرة بموسيقي عبقري يخرج منها سمفونية « الانسانية النبيلة »

***

١ — ولدت في بولندة سنة ١٨٦٧ في بيت ترفرف في جوه اجنحة الثقافة والعلم ، ويخفق في قلوب كباره وصغاره حب الوطن المظلوم . كانت صغرى ذلك البيت ، ولكنها كانت اذكى اذكياته . فهي في المدرسة مثل يضرب في المواظبة والطاعة والوطنية وسرعة التحصيل وقوة البداهة . وهي في البيت مثل للحنو والعطف على والدها الشيخ ، والاقتصاد في ما تقتضيه من نفقات في ميزانية البيت الضئيلة . وكانت تعلم ان شقيقتها « برونيا » ترنو الى طلب الطب في باريس . وانها لا تملك نفقة ذلك الطلب ، فمحت « ماري » آية نفسها ، وكانت في التاسعة عشرة من عمرها ، ولها في حياتها آمال ومطامح وقالت لشقيقتها اذهبي انت الى باريس ها لديك وأنا أجدُ ما أعوله هنا فأرسل اليك كل شهر جانباً من النفقات . وبقيت هذه الفتاة ست سنوات مدربة أطفال في احد بيوت الريف البولندي ، لكي تمكن شقيقتها من التعليم العالي مع انها كانت تعلم ان في عقلها ملكات مدفونة تحتاج الى صقل حتى تبرز لامة خطافة . ترى ماكان مصير « ماري » وماكان مستقبل الراديوم ، وعلاج السرطان الراديومي ، وعلم الاشعاع قاطبةً ، لو ان الزمن امتدّ قليلاً « بماري » وهي مدربة اطفال، حتى خبت في نفسها شعلة التوق الى دراسة الطبيعة العالية ، فاثنت بقية حياتها مدرسة ممتازة في مدرسة ثانوية ببولندة ؟

إلاّ ان في الطبيعة والحياة من الحكمة آيات تجوز عقولنا القاصرة . ومن آياتها انها لم يتيحا لماري أن تذهب الى باريس، الاّ وقد تهيأ مسرح العالم لرواية « الراديوم » بكشف الاشعة السينية وأشعة بكريل

٢ — لقد كشف الراديوم وآمنت به الدوائر العلمية بعد ما أنكرت وتنكرت ، آمنت بقوة التجربة والبرهان الرياضي والعملي . واستعمل هذا العنصر العجيب في شفاء الامراض السرطانية الخبيثة فذاع ذكراه في كل قطر . ولكن الغرام الواحد لا يستخرج الا من مئات من الاطنان من ركاز خاص ، وبأسلوب معقد لا تعرفهُ الا مدام كوري : أتسجل ذلك الاسلوب وتستخرج امتيازاً به فلا تبيح استعماله الا لمن وفّى لها أتاوة عليه ، كبيرة كانت او صغيرة ؟ انها اذا فعلت فليس في فعلها ما هو مستغرب او مستنكر . فقد قضت أربع سنوات تبحث عن الراديوم في سقيفة يتسلل من سقفها ماء المطر وتصفر في شقوق أخشابها ألسنة الرياح ، وكثيراً ما كانت تقضي أياماً كاملة وهي تحرك مزيجاً على النار بمراوة من الحديد تكاد تماثلها وزناً . كل ذلك وهي لا تعلم من أين تجيء بالنفقات اللازمة للبيت وللابنتين ؟ نعم كان زوجها يدرس الطبيعة ولكنهُ كان يستوفي مرتباً دونهُ ما يكسبهُ المحامون

ودخل عليها زوجها في صباح ما بعد اكتشاف الراديوم ، وقال لها لتتكلم قليلاً فيه ثم بسط لها الفرق بين التسجيل والاباحة ثم قال لها ان شركة اميركية كتبت تبتغي تفصيلاً لطريقة استخراج الراديوم . فقالت (طيب) فقال وعليك ان تقرري هل تسجل هذه الطريقة كأن الراديوم من مخترعاتنا أو نبيحها للعالم بلاشرط ولا قيد ، وقبل ان تقرري لا تنسي الفرق بين التسجيل والاباحة ، لنا ولابنتينا ، فرفعت رأسها وقالت : « ان التسجيل مخالف للروح العلمية » وكذلك أبيح الراديوم للعالم !

***

٣ — وكأن الحياة أرادت ان تجلو بالموت آية الحياة في هذه المرأة ، ففي يوم زوجها في أحد أيام سنة ١٩٠٦ محمولاً على الاعناق وهو لا يزال في عنفوان رجولته وقد كسرت جمجمته ونثرت خلايا دماغه عجلة مركبة للثقل تقل ملايين الجنود . فكتمت لوعتها وانطوت على نفسها ، حتى خيل الى أقرب المقربين اليها ان خطراً يهدد عملها العلمي العظيم . وحينئذٍ نهضت فرنسا الى مستوى عظمة هذه المرأة الغريبة عن فرنسا فمنحتها خلفاً لزوجها أستاذاً في كلية العلوم بالسربون — أول امرأة تدخل السربون ندًّا بين اندادٍ من أقطاب العلماء !

واقترب يوم محاضرتها الاولى . فهرع الى مدرج السربون الحكام والامراء والعلماء والطلاب من أجانب وفرنسيين حتى ضاقت بهم رحابه . والجميع يسألون ما يكون موقف هذه السيدة بعد وفاة زوجها . أتستطيع حقًّا ان تمضي في الشوط الى نهايته وحدها ؟

وقرعت الساعة الثالثة ، ففتح باب جانبي ودخلت سيدة هزيلة شاحبة مرتدية السواد فحياها

الجمهور بالهتاف ، فوقفت مرتبكة ثم رفعت يدها فساد السكون ، ثم شرعت في القاء محاضرتها . فاذا هي تصل ما انقطع من محاضرة زوجها قبيل مصرعه . لم تشر بكلمة واحدة إلى مكانها وفاجعتها وعظم خسارتها وخسارة العلم بفقده

وهذا ضرب من الشجاعة الصامتة جدير بأن يحتذى

***

٤ — إلاّ ان الحساسة من طبيعة النفوس الصغيرة وما كان نجاح هذه السيدة ، وذيوع شهرتها إلاّ باعثاً على حملة خسيسة دبرت عليها . فشرعت الصحف تشير اليها بوصف «السيدة الاجنبية» أو «الدخيلة» ولم يتورع بعضها عن التلميح الى أنها مدمرة البيوت — وهي التي لم يكن لها متسع من الوقت إلاّ للتفكير في الراديوم اولاً فاذا كان لها شيء من الفراغ عنيت بابنيها

وذاع نبأ هذه الحملة في وطنها الاصلي ، فاجتمع علماء بولندة وكتابها ، وأوفدوا اليها وفداً يطلب اليها العودة إلى مسقط رأسها ، حيث ينشأ لها معهد خاص بها ، تديره وتبحث فيه ، بعيدة عن الأهواء والمطامح . فأبت ، لان لفرنسا — وطنها الثاني — وللراديوم وللمعهد الخاص به الذي حلمت بانشائه هي وزوجها سناً ، حقوقاً عليها لا تمحوها خساسة بعض الناس

ومع أن اكاديمية العلوم أبت ان تنتخبها عضواً فيها بحجة أنها امرأة ، مع تأييد أعاظم العلماء لها ، الاّ ان اكاديمية الطب الفرنسية ، كفرت عما جنته أكاديمية العلوم بعد سنين فانتخبتها بعد الحرب ، عضواً فيها بالاجماع

***

٥ — وجاءت الحرب الكبرى ، وكانت مدام كوري قد نالت جائزة نوبل مرتين — اولاً سنة ١٩٠٣ بالاشتراك مع زوجها وبكريل — وثانياً وحدها سنة ١٩١١ — وبلغت السابعة والاربعين من العمر فتلفتت حولها ، ورأت أن تطوعها ممرضة في احد المستشفيات ، أسهل طريق لخدمة فرنسا ، فلم ترض بالطريق السهل . وبحثت في حالة المستشفيات العسكرية فرأتها خالية من أجهزة الاشعة السينية اللازمة لتشخيص كثير من العلل والاصابات التي تلازم الحياة العسكرية ، ففضت اربع سنوات من الجهد المتواصل ، في صنع هذه الاجهزة وتدريب من يستعملها ، واستعمالها ، ونظمت فرقة جوالة من السيارات بعد ما جهزتها بالمعدات اللازمة للفحص الطبي بالاشعة السينية ، ولم يثنها سنها عن تعلم سوق السيارات لكي تقود احداها بنفسها . وكثيراً ما كانت تنفق من ١٦ الى ١٨ ساعة كل يوم في التنقل من مستشفى عسكري الى آخر تعاون الاطباء في اعمال الكشف ، ولم يكن بالنادر أن تجري العمليات الجراحية والمصاب معرض الاشعة

لان ذلك يسهل معرفة مكان الرصاصة أو شظية القنبلة او العظم المكسور

وقد كانت مدام كوري تحسب نفسها جنديًّا في خدمة فرنسا . فاذا ذهبت الى مستشفى من المستشفيات حيث لا تعرفها رئيسة الممرضات وعوملت معاملة امرأة عادية وبشيء من الخشونة كانت لا تباهي بمن هي ولا بما فعلت وانما كانت تتغلب على ما يساورها من شعور الحنية بأن تتذكر ان الملكة اليصابات البلجيكية كانت مثلها تقدم مؤاساة الجرحى على المكانة والمقام

ومع ان مدام كوري أبت غير مرة ان يقترح اسمها لكي يهدى اليها وسام النجيون دونور فالمقربون اليها يعلمون انها كانت تغتبط باهداء وسام النجيون دونور الحربي اليها بعد الحرب ، لانها كانت تحب ان تعرف بصفة الجندي المكافح

ولكن هذه الرغبة الدفينة لم تجد من يفكر فيها ويحققها

***

٦ — وجاءتها في أحد الايام أميركية معجبة بها وفي خلال الحديث سألتها ما تتمنى لو خيرت في شيء واحد تطلبه فقالت : غرام من الراديوم أستعمله في بحوثي . فدهشت الاميركية ان تجد المرأة التي وهبت الراديوم للعالم وأباحت لهُ طرائق استخراجه المعقدة وهي لا تملك منهُ ما يكفيها للسير في بحوثها . فعادت الى أميركا وأقامت الدنيا وأقعدتها حتى اشتركت نساء أميركا في اكتتاب عام لشراء غرام من الراديوم يهدى الى مدام كوري ، ولما قدم لها رمزه في البيت الابيض في ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ قال الرئيس هاردنغ وهو يقدمه « نحن مدينون لك بمعرفتنا له (الراديوم) ولكننا اياهُ لذلك نرفعهُ اليك ونحن واثقون بأنه وهو في حيازتك لا بد ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العالم وتخفيف آلام الناس »

وما كادت تتسلمهُ حتى وهبته لمعهد الراديوم بباريس . ثم عادت الى اميركا بعد سنوات فوهبتها سيدات اميركا غراماً آخر فوهبتهُ لمعهد الراديوم في وارسو عاصمة بولندة

***

هذه صور خاطفة من حياة هذه المرأة الفذة في عقلها وخلقها وأثرها . ان تعديد الالقاب الطنانة التي انهالت عليها من اعظم معاهد العالم وجامعاته يملأ اربع صفحات كبيرة ، ولكن لا الشهرة استهوتها ولا طلب الثروة صرفها عن سبيلها — سبيل العلم والخدمة ، فكانت حياتها سلسلة ذهبية متصلة الحلقات من الاعطاء والمنح والبذل نصح فيها قول جبران « ... هؤلاء يعطون كما يعشر الريحان اريجه الفواح في ذلك الوادي . . . بمثل أيادي هؤلاء يتكلم الله ، ومن خلال عيونهم يبتسم للارض »

الالكترون [1]

نشوء فكرته وتحقيق وجوده

وبعض علاقاته بموضوع العلاج الاشعاعي

مصطفى نظيف بك

الاستاذ بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول

نشوء فكرة الالكترون

في علم الطبيعة

(النظرية المغناطيسية الكهربائية وما ظهر من النقص فيها) وضع « كلارك مكسول » (C. Maxwell) في مبدىء الاعوام الثلاثين الاخيرة من القرن التاسع عشر أو قبل ذلك ، — وكان أستاذاً للطبيعة بجامعة كمبردج في ذلك العهد — نظريتهُ المغناطيسية الكهربائية في الضوء . تلك النظرية التي يصح ان توجز فكرتها الاساسية في انها تعد الضوء تغيراً دورياً في شدة المجال الكهربائي مصحوباً بتغير دوري في شدة مجال مغنطيسي اتجاههُ عمود على اتجاه الاول ، حيث ينتقل هذان التغيران في اتجاه عمود على الاتجاهين المذكورين ، بسرعة معينة يمكن تقديرها تكون هي سرعة الضوء

وقد كان دخول هذه النظرية في علم الطبيعة مبطلاً للنظرية القديمة في الضوء التي كانت تعد الضوء موجات عرضية تحدث في وسط موهوم هو « الاثير » أسبغت عليهِ خواص الجسم الصلب المرن فعرفت « بنظرية الصلب المرن » ، ومبطلاً للتناقض الذي نشأ عن نظرية الصلب المرن هذه بين رأي « فريزل » (Fresnel) العالم الطبيعي الفرنسي في تعيين اتجاه الاهتزازة في الضوء المستقطب بأنهُ عمود على مستوى الاستقطاب ، وبين رأي « نيومان » (Neumann) و « ماكّولاغ » (Mac Cullagh) و « غرين » (Green) في القول بأن اتجاهها موازٍ لمستوى الاستقطاب

---

(١) موضوع الكلمة التي ألقاها مصطفى نظيف بك الاستاذ بكلية الهندسة في الاجتماع الذي عقدته الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٣٨ في كلية العلوم بمناسبة اسبوع السرطان

وفكرة الحركة الموجية التي تتضمنها النظرية المغناطيسية الكهربائية جعلتها صالحة للاحاطة بالظواهر الضوئية التي تعزى الى الحركة الموجية ، كظاهرة التداخل وظاهرة الجود وظواهر الاستقطاب . وكانت النظرية أيضاً صالحة لشرح انعكاس الضوء ، ولشرح الانعطاف بصفة عامة . وأدت ايضاً الى نتائج كالتأثير الضغطي للضوء حققتها البحوث العملية

ولكن لم تكن للنظرية في مبدىء أمرها فيما عدا ذلك أدلة عملية مقنعة تعززها . ولم توجد صالحة لشرح ظاهرة « التشتت » (Dispersion) ولا ظاهرة « التشتت الشاذ » اذا صح ان نسميها كذلك (Abnormalous Dispersion) التي كانت معروفة وقتئذ ولا علاقتها « بالامتصاص الخاص » أي « الامتصاص المميز » (Selectvie Absorption)

***

« اتمام نقص النظرية المغناطيسية الكهربائية بنظرية نوم فيها وجود « الكترونات » » لذلك رأى « لورنتز » (Lorentz) العالم الهولندي سنة ١٨٧٨ ان يقيم بجانب النظرية المغناطيسية الكهربائية لظرية يكمل بها النقص الذي بدا فيها . ويتم بها شرح « ظاهرة التشتت » وظاهرة « التشتت الشاذ » . وبنى « لورنتز » نظريته على فروض ، فتصور وجود دقائق صغيرة لكل واحدة منها شحنة كهربائية بمقدار فرضها موجودة في المادة بوجه عام . وفرضها مطلقة الحركة في الاجسام الموصلة للكهرباء . وفرضها مقيدة الحركة ، مقيدة بجزيئات المادة أو ذراتها في الأجسام العازلة

فاذا وضع العازل في مجال كهربائي ، ازيحت هذه الدقائق عن مواضعها الاولى ، واذا زال المجال زالت الازاحة واذا كان المجال الكهربائي متردداً أحدث في هذه الدقائق « اهتزازة قسرية » (Forced vibration) ترددها كتردد ذلك المجال . واذا صادف ان كان تردد المجال مساوياً تردد الاهتزازة الطبيعية لهذه الدقائق ، اشتد اهتزازها ، وحصل « الرنين » (Resonance) وأصبحت تلك الدقائق في العازل منقادة لذلك المجال يسيّرها كما يسيّرها المجال في الأجسام الموصلة لولا أن حركتها تؤثر فيها قوة تقاومها ، فيصير لاتساع الاهتزازة حدٌّ ، وتستنفد طاقة المجال بعد ذلك في الشغل المبذول للتغلب على « قوة المقاومة » هذه

تلك بايجاز الفروض الاساسية التي بنى عليها « لورنتز » نظريته والنظرية من جراء هذه الفروض المحدودة المعاني ، تصور تصويراً مقبولاً فكرة « الازاحة » في العازل ، وفكرة « تيار الازاحة » اللتين كانت تنطوي عليهما نظرية مكسول ، واللتين كان غموض معناهما في مبدىء الأمر ، عائقاً الى حد ، عن انتشار النظرية وحسن قبولها لدى بعض علماء الطبيعة في ذلك العصر . وقد استطاع

« لورنتز » أن يتوصل على أساس هذه الفروض الى معادلة يقدر بها معامل انكسار الضوء في المادة العازلة ، وبينت معادلته أنّ معامل انكسار الضوء يتوقف على تردد الضوء . وذلك على صفة لا تتفق وظاهرة التشتت فحسب بل تصلح لشرح « التشتت الشاذ » وبيان علاقته بالامتصاص المميز بل والتنوّع بظاهرة لم تكن معروفة هي « الانعكاس المميز » (Selective Reflection)

وفي ابّان ذلك العهد شغل « لارمور » (Larmor) — وكان استاذاً للرياضة بجامعة كمبردج وقتئذٍ — ببحوث رياضية تناول فيها اهتزازة الدقيقة المشحونة ، وحركتها المستديرة حول محيط دائرة وحول محيط قطع ناقص وما ينشأ عن مثل هذه الحركة من التموجات الكهربائية ، أو بالأحرى المغناطيسية الكهربائية التي من جنسها موجات الضوء

« ولورنتز » لم يتقيد في نظريته أول الامر بقدر الشحنة الكهربائية على تلك الدقائق الموهومة التي فرضها . بل ولم يتقيد بنوع الشحنة : هل هي موجبة أم سالبة ؟

ولكن بحوث « فراداي » (Faraday) في أوائل العقد الرابع من القرن التاسع عشر عن توصيل السوائل للكهرباء والبحوث التي تلت بحوثه من منتصف ذلك القرن ولا سيما بحوث « هتورف » (Hittorf) و « كلوسيوس » (Clausius) و « كهلراوخ » (Kohlrausch) وغيرهم من التابعين ، دلت على أن توصيل المحاليل للكهرباء يحدث بفعل « أيونات » (Ions) هي اجزاء من جزيئات المذاب مفككة ، بعضها موجب التكهرب وبعضها سالبه ، وأن اصغر مقدار لشحنة هذه الايونات هي شحنة ايون الايدروجين ، وأن شحنة الايونات الاخرى اما هي تساوي شحنة ايون الايدروجين مقداراً ، واما هي تساوي اضعافها ، فكأن للشحنة الكهربائية على حسب تلك البحوث ، مقدار هو اصغر مقدار توجد عليه الكهرباء ، اي كأن للكهرباء جوهراً فرداً ، او جزءاً لا يتجزأ . هذا الرأي قد تردد في قبوله بعض كبار علماء الطبيعة في ذلك الوقت ولكنهُ لقي قبولاً حسناً لدى ناشئتهم فلم يك ما يحول دون أن تعد شحنة الواحدة من الدقائق الموهومة المفروضة في نظرية « لورنتز » هي الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ من الكهرباء . وكان بهذه المناسبة ان اقترح « ستوني » (Johnstone Stoney) الطبيعي الانكليزي سنة ١٨٩١ ان يطلق على الواحدة منها اسم « الكترون » فعرفت نظرية « لورنتز » بالنظرية « الالكترونية »

والنجاح الذي صادف النظرية الالكترونية من الناحية المذكورة حث كثيرين من العلماء على تطبيقها في نواحٍ اخرى من علم الطبيعة . فأخذت تطبق لشرح كيفية توصيل الموصلات للكهرباء وتوصيلها للحرارة ولشرح ظواهر اخرى لا محل للخوض فيها هنا

تلك بإيجاز هي الملابسات والظروف التي افضت الى نشوء فكرة الالكترون في علم الطبيعة

اهم الكشوف والبحوث الحديثة
التي مهدت الى الكشف عن الالكترون

غير ان الامر لم يقف عند هذا الحد . فقد اخذت بحوث وكشوف اخرى يتتالى بعضها في اثر بعض (الاشعة الكاثودية) فمن احدى النواحي انه خطر لعالم فرنسي «ماسون» (Masson) حوالي منتصف القرن التاسع عشر ان يمرر شرارة كهربائية في فراغ «تورشيلي» الذي يطو الزئبق في انبوبة بارومترية فاستوقف نظره تغير شكل الشرارة واضاءة ذلك الفراغ بضوء متصل يضرب الى الاخضرار فأخذ الكثيرون يجربون امرار الشرارات في انابيب موجية ملتوية مختلفة الاشكال ، واخذ بعضهم هذا الامر لهواً ومتعة ، غير ان اصلاح مفرغة الهواء في ذلك العهد اتاح لفريق من العلماء دراسة الظاهرة بصفة جدية . ويكفيني ان اذكر منهم اثنين او ثلاثة ، هم « وليم كروكس » (William Crookes) في انكلترة « بلوكر » (Plucker) و« جولد شتين » (Goldstein) في المانيا . وسرعان ما بيّنت بحوثهم المتصلة ان احداث التفريغ الكهربائي في انابيب من الزجاج قد تغيرت حتى صار ضغط فضالة الهواء أو فضالة الغازات التي بها صغيراً جداً ، يحدث نوعاً من الاشعة مصدره «الكاثود» أي القطب السالب ، اذا ما وضع على جدران الانبوب من الداخل أو على بعض مواد مومضة [1] توضع فيها ، جعلها تومض أو تلون في الظلام ، واذا ما وضع حاجز أو ساتر بحيث يحول بين الكاثود وبينها ، حصل للحاجز او الساتر ظل ، دالاً ذلك على ان هذا النوع من الاشعة يصدر عن الكاثود وينتشر على صورة الخطوط المستقيمة . ولكنهم اختلفوا في طبيعة هذه الاشعة ، وانقسموا في ذلك فريقين احدهما على رأسه « كروكس » رأى ان طبيعتها مادية ، وسماها « كروكس » « المادة المشعة » والآخر يقوده « جولدشتين » رأى ان طبيعتها حركة موجية . وظل الفريقان يتنازعان . إذ لما تبين ان هذه الاشعة تنحرف بفعل المجال المغناطيسي اتخذ الفريق الاول هذا الامر عضداً لرأيه دون الآخر . ولما بيّن « هرتز » (Hertz) ثم من بعده « لنرد » (Lenard) أنها تنفذ خلال الصفائح الرقيقة من الالومنيوم وما شابهه اتخذ الفريق الثاني هذا الامر دليلاً يقيمه على صحة رأيهم دون الرأي الاول . اذ كيف يتسنى لهذه الاشعة لو كانت حقيقة دقائق من المادة من قبيل جزيئات المادة او ذراتها ان تنفذ من مثل تلك الصفائح ؟ ثم لما بين « پران » (Perrin) في مبدىء السنوات الخمس الاخيرة من القرن التاسع عشر ان هذه الاشعة اذا ما وكزت في اناء أجوف

(١) استعمل الكاتب في ترجمته وكتابه «البصريات» منذ زمن طويل لفظ «الوميض» للدلالة على الظاهرة المعروفة باسم (Phosphorescence) ولفظ «التلون» للدلالة على الظاهرة المعروفة باسم (Fluorescence) وللاولى نقل « أومض » وللثانية « تلون »

صفير ممزول ، تكسبهُ شحنة سالبة ، فاذا الرأي الاول فرجحت كفته . ولبث التنازع بين الرأيين قائماً حوالي عشرين عاماً

﴿ التأثير الكهربائي للضوء ﴾ ومن ناحية أخرى أتيح « هرتز » وهو يجري تجاربه الخالدة في الموجات المغناطيسية الكهربائية ان لاحظ ان وقوع الضوء ، أو بالاحرى الاشعة المافوق البنفسجية منه ، على فرجة الشرارات التي تحدث خلالها الشرارة الكهربائية في تجاربه ، يساعد على مرور الشرارة . فأخذت العناية تتجه الى البحث عن حقيقة تأثير الضوء ، او الاشعة المافوق البنفسجية ، في الامر . ويكفيني ان اذكر من عنوا ببحث هذا الامر في ذلك الوقت اثنين او ثلاثة مثل « هلواك » (Hallwach) و « الستر » (Elster) و « جيتل » (Geitel) فقد أدت بحوثهم الى معرفة ان الموصل تنبعث منه في الفراغ بتأثير الضوء ، ولا سيما الموجات القصيرة منه ، دقائق متكهربة يدل اتجاه انحرافها في المجال المغناطيسي على ان شحنها سالبة

ويدلُّ على هذه الصفة ظهور فرع من فروع الطبيعة الحديثة يعرف الآن باسم « الكهربائية الضوئية » (Photo-Electricity)

﴿ انبعاث الاجسام المتوهجة لدقائق متكهربة ﴾ وايضاً فقد كان من المعروف بوجه عام منذ اوائل القرن الثامن عشر ، ان الاجسام المشحونة المعزولة تفقد شحنتها بتأثير اللهب والتسخين الشديد . فعاد البحث عن حقيقة هذه الظاهرة يلقى شيئاً من عناية بعض العلماء في منتصف القرن التاسع عشر وقد وجدت الظاهرة في مبدىء الامر على جانب من التعقد . فلضغط الغاز ، ولدرجة الحرارة ، ولعوامل أخرى كنوع الغاز ونوع مادة الجسم وما الى ذلك ، تأثيرات مختلفة جعلت بعض النتائج الاولى متناقضة . ولكن تتبع البحث أدى في مبدىء السنوات العشر الاخيرة من القرن ، الى التوصل الى معرفة شيء عن حقيقة الظاهرة ، ويكفيني هنا ايضاً ان اذكر من بحثوا هذا الموضوع اثنين او ثلاثة هم « الستر » و « جيتل » و « فلمنج » (Fleming) . فقد دلت بحوثهم على انه اذا توهج سلك في اناء مفرغ من الهواء تفريغاً شديداً انبثت منهُ دقائق وجدت هي ايضاً متحملة بشحنة سالبة . وبدأ على هذه الصفة ظهور فرع آخر من فروع الطبيعة الحديثة يعرف باسم « الايونية الحرارية » (Thermo-Ionics)

﴿ اشعة رنتجن والنشاط الراديومي (١) ﴾ وما كادت تتجمع المعلومات والكشوف السابقة حتى أعلن « رنتجن » (Rontgen) سنة ١٨٩٥ كشفه عن الاشعة المعروفة باسمه . ثم أعقبهُ كشف آخر لا يقل عنهُ خطورة اتيح « لبكرل » (Becquerel) وهو خاصة انبعاث بعض العناصر مثل

(١) تناول حديث الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم في اجتماع الجمعية موضوع «أشعة رنتجن» وتناول حديث الدكتور محمد محمود غالي موضوع «النشاط الراديومي»

« الاورانيوم » لاشعاع لم يكن لعلم الطبيعي علم سابق به . ويكفينا أن نذكر هنا ان من بين هذا الاشعاع الصادر عن هذه المواد نوعاً يتكون من دقائق صغيرة متحطمة بسرعات سائبة تسمى الدقائق « البائية » او الاشعة « البائية » (Beta Rays).

﴿ كيفية توصيل الغازات للكهرباء ﴾ تلك كانت حالة علم الطبيعة من الناحية التي نحصها هنا ، عند بدء السنوات الخمس الاخيرة من القرن التاسع عشر . فقد جاءت الكشوف والبحوث المذكورة يتبع بعضها الآخر بسرعة ولكن لم يكن يتراءى بادىء الامر أن بين تلك الكشوف والبحوث رابطاً يربطها بعضها بالآخر أو سلكاً ينظمها على وتيرة مفهومة تظهر في الميدان « جوزف طمسون » (J. J. Thomson) خليفة « مكسول » في استاذية الطبيعة بجعل « كفندش » في « كمبردج » ومعه « رذرفورد » (Rutherford) الذي خلف « طمسون » بعد اعتزاله ، وفقده العلم في السنة الماضية . وكان قد تبين إن للدقائق السالبة التي أتينا على ذكرها آنفاً ، وللاشعة « رنتجن » وللاشعة التي تنبعث من المواد الراديومية[1] خاصة هي انها تجعل الغاز الذي تنفذ فيه موصلاً للكهرباء . فبدأ « طمسون » و « رذرفورد » البحث عن كيفية توصيل الغازات للكهرباء . ويبدو لنا في بحوثهما ان توصيل الغازات للكهرباء يحدث من تولد دقائق بعضها موجب التكهرب وبعضها سالب التكهرب تحيث قياساً على نظائرها في السوائل « ايونات » تتولد في الغازات بفعل العوامل المذكورة ، وان هذه الايونات اذا ما تركت وشأنها تتعادل من جراء انجذاب الموجب منها بالسالب ، فتزول عنها صفة الايونية . فاذا ما تولدت هذه الايونات بفعل أحد تلك العوامل ، في مقدار ما من الغاز ، يوجد بين قطبين ، وجُعل بينهما فرق في الجهد اي مجال كهربائي ، انكتسح المجال بعض الايونات السالبة نحو القطب الموجب ، وبعض الايونات الموجبة نحو القطب السالب ، فمر التيار في الغاز من جراء انتقال الايونات على هذه الصفة . وفي الوقت نفسه تتعادل الايونات الاخرى وتزول عنها صفتها الايونية . واذا كان المجال مستمراً والعامل الذي يولد الايونات مستمراً باقياً ، مر تيار مستمر بحيث اذا زادت شدة المجال او القوة الدافعة بين الموصلين ، عظمت نسبة ما يكتسحه المجال من الايونات وصغرت نسبة ما يتعادل منها ، وزادت تبعاً لذلك شدة التيار . حتى اذا بلغت شدة المجال حداً معيناً اكتسح جميع الايونات بمجرد تولدها وبلغ التيار حالة التشبع

ثم عقب « تونسند » (Townsend) أستاذ الطبيعة في اكسفورد على ذلك بأنه اذا تجاوز المجال الكهربائي الحد المذكور كثيراً ، اكتسح الايونات بشدة عظيمة ، فتزيد سرعتها كثيراً ،

(١) النسبة هنا الى الراديوم وتؤثر استعمال « النشاط الراديوي » للدلالة على معنى "Radio - Activity" وتقصر استعمال الاشعاع للدلالة على معنى «Radiation»

فيحدث من جراء تصادمها بجزيئات الغاز أيونات جديدة ، وهكذا ، فيزيد عدد الايونات زيادة عظيمة في وقت قصير فيحدث في الغاز ما يعرف بالتفريغ الفجائي المصحوب بالشرارة الكهربائية المألوفة . وسرعان ما انتشرت هذه النظرية واتسعت البحوث على هداها ، وارتبطت المعلومات السابقة شيئاً ما بعضها بالآخر ، وأجريت بحوث عدة لا يسمح المجال بالخوض فيها قيست فيها سرعة الايونات ودرست فيها خواصها في الغازات المختلفة وفي الظروف العدة التي تتولد فيها بفعل تلك العوامل

الكشف عن الالكترون

وقد توج القرن التاسع عشر قبيل انصرامه بما هو من غير شك من اعظم الكشوف التي شهدها علم الطبيعة في تاريخ نموه . فقد اجرى «جوزف طمسون» خلال الثلاث السنوات الأخيرة منهُ ، سلسلة بحوث عن حقيقة الاشعة الكاثودية ، وبعض الدقائق السالبة التي أشرنا اليها فيما قبل . ففي بعض هذه البحوث حرّف « طمسون » الاشعة الكاثودية بفعل المجال المغناطيسي ثم سلط عليها مجالاً كهربائيًا حرفها في ضد الاتجاه ، وهيأ المجالين بحيث أبطل أحدهما فعل الآخر ، واستنبط من معرفة شدة كل من المجالين مقدار نسبة شحنة الدقيقة الواحدة الى كتلتها ، بل واستطاع أيضاً قياس سرعتها . فقضت هذه البحوث بالحكم القاطع بصحة الرأي القائل بأن الاشعة الكاثودية هي دقائق كل واحدة منها ذات كتلة ومتحملة بشحنة سالبة ودلت نتائج طمسون على ان نسبة الشحنة الى الكتلة لهذه الدقائق واحدة ، ليست تختلف تبعاً لاختلاف نوع غضالة الغاز المتخلف في الانابيب ولا تبعاً لاختلاف نوع مادة الكاثود

ثم عقب «طمسون» على هذه البحوث بأخرى عيّن فيها نسبة الشحنة الى الكتلة للدقائق السالبة التي تنبعث بفعل الاشعة الفائقة البنفسجية ، وبأخرى عيّن فيها تلك النسبة ايضاً للدقائق المنبعثة من الاجسام المتوهجة في الفراغ

فكانت نتائج البحوث جميعاً ان تلك النسبة واحدة . ولكنها وجدت اضعافاً مضاعفة للنسبة النظيرة لها لايون الايدروجين . فقد بلغت تلك النسبة على حسب نتائج طمسون في ذلك العهد ثمانمائة مرة قيمة النسبة الثانية وهي بحسب النتائج الحديثة حوالي ثمانمائة والف مرة . وهنا تتجلى ناحية الاهمام التي لا تخلو منها الكشوف العلمية الخطيرة . فطمسون فسّر هذه النتائج بأنها أزاء دقائق شحنتها سالبة ومقدارها هو الجوهر الفرد للكهرباء او الجزء الذي لا يتجزأ منها . اي ان مقدار شحنتها كمقدار شحنة ايون الايدروجين وان كانت تختلف عنها في النوع . واذن تكون كتلة الدقيقة الواحدة منها جزءا صغيراً جداً من كتلة ذرة الايدروجين ، التي هي اصغر ذرة من ذرات المادة معروفة في الكيمياء ، فتكون كتلة الدقيقة الواحدة على حسب هذا التفسير هي

جزء من ثمانمائة والف جزء من كتلة ذرة الايدروجين . وقد كان هذا التقدير ما يبرره ، فالنسبة واحدة لجميع تلك الدقائق التي يحصل عليها بالطرق المختلفة ، وليست تتوقف على نوع المادة ، والاشعة الكاثودية قد ثبت كما في تجارب « هرتز » و« لنرد » انها تنفذ من الصفائح الرقيقة، فذلك كله في مجموعه يبرر القول ، بأنها دقائق صغيرة أصغر من ذرة المادة ، ومن مقومات الذرة المادية

وما كاد « طمسون » يعلن نتائج بحوثه هذه ، حتى قام « بكرل » وتبعهُ آخرون يتعيين النسبة نفسها للدقائق الباثية المنبعثة من بعض المواد الراديومية . ودلت النتائج على ان النسبة لهذه الدقائق أيضاً تساوي النسبة النظيرة لها التي توصل اليها « تومسون » في تجاربه المختلفة

وفي أبان الوقت الذي كان طمسون يجري فيه بحوثه المذكورة كشف «زيمن» (Zeeman) العالم الهولندي ظاهرة في الضوء تتلخص في ابسط حالاتها في انَّ كل خط من خطي طيف الصوديوم يمرض قليلاً بفعل المجال المغناطيسي فأرسل الى « لورنتز » ينبئهُ بالامر ويستفسره فيه

واستطاع لورنتز ان يفسر هذه الظاهرة على اصول نظريته الالكترونية بل واستطاع أن يبين الاحوال التي ينتظر ان ينشق فيها الخط الواحد من خطوط الطيف خطين ، والاحوال التي ينشق فيها ثلاثة خطوط ، واستطاع ان يتنبأ عن حالة الاستقطاب في كل واحد من هذه الخطوط ، كل ذلك على اساس انَّ الضوء يحدث عن اهتزازة الالكترونات المفروضة في نظريته . بل واستطاع « لورنتز » ان يبين كيف يمكن التحقق من نوع الشحنة على تلك الالكترونات بل وأكثر من ذلك كيف يمكن بمعادلة توصل اليها ببرهان رياضي تعيين نسبة الشحنة الى الكتلة لتلك الالكترونات من قياس الفرق في التردد بين الخطوط المنشقة الحاصلة في الظاهرة

وكان مآل ذلك ان استطاع « زيمن » تعيين نسبة الشحنة الى الكتلة الالكترونات التي توهمها « لورنتز » وبنى عليها نظريته الالكترونية ووجدت هذه النسبة ايضاً مساوية النسبة التي توصل اليها طمسون في تجاربه . على هذه الصفة تبين ان الدقائق الكاثودية والدقائق التي تنبعث من الموصلات بفعل الاشعة الضوئية لا سيما الماغوق البنفسجية ، والدقائق التي تنبعث من الاجسام المتوهجة والدقائق الباثية التي تنبعث من بعض المواد الراديومية ، بل والالكترونات المفروضة الموهومة في نظرية لورنتز هي جميعها دقائق كنهها واحد ، وطبيعتها واحدة ، وهي كلها بحسب تفسير « طمسون » متحملة بشحنة سالبة هي الجوهر الفرد للكهرباء ، وكتلتها جزء صغير جداً من كتلة أصغر ذرة معروفة في الكيمياء

وان كان طمسون قد أطلق على الدقائق التي اختبرها في تجاربه اسم « ذوبرات » (Corpuscles) وحاول التمسك لها بهذا الاسم ، فقد غلب اطلاق اسم « الكترونات » عليها هي أيضاً ، وصار اسم «الالكترون» يدل على جميع تلك الدقائق ويقيسها جميعاً

تعيين شحنة الالكترون

وقد أراد « طمسون » ان يتحقق بالتجربة من أنّ رأيه القائل بأن الشحنة السالبة الموجودة على كل دقيقة من تلك الدقائق ، او على الالكترون بحسب الاسم الشائع ، هي الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ للكهرباء ، أراد أن يتحقق من أنّ رأيه هذا لا تعوزه الادلة العملية . ولما كانت الغازات توصل الكهرباء بفعل الايونات التي تتولد فيها ، فان امكن قياس شحنة الايونات التي تتولد في الغازات ، وان دلت النتائج العملية على أن لشحنتها قدراً معيناً لا يوجد اصغر منهُ ويساوي قدر شحنة ايون الايدروجين ، كان هذا دليلاً على صحة القول بأن للشحنة الكهربائية جوهراً فرداً ، وان رأي طمسون في ان شحنة الالكترون هي الجوهر الفرد للكهرباء مقبول

مضى طمسون في معالجة هذا الموضوع ، واستطاع أن يتخذ المعلومات التي كانت معروفة في عصره مطية الى الغاية التي يريدها . والقصة طويلة . ولكنا نردها بايجاز . فقد كان من المعلوم ان وجود دقائق من الغبار أو الدخان في الهواء يساعد على تكاثف بخار الماء المشبع أي يساعد على تكون الضباب ثم تبين ان وجود أيونات في الهواء يساعد هو ايضاً على هذا الامر . وكان قد تبين من تجارب اجراها « ويلسون » (C.T.R. Wilson) بعمل « كفندش » في كمبردج سنة ١٨٩٧ انهُ اذا تمدد الهواء المشبع ببخار الماء فجاءة ، تمدداً نسبيه ثابت الحرارة (Adiabatic) حتى صار حجمه ما بين ١٫٢٥ ، ١٫٣٠ من حجمه الاصلي ، تكاثف بخار الماء على الايونات السالبة دون الموجبة ، اما اذا تمدد حجمه بمقدار اعظم من ذلك ، تكاثف بخار الماء على النوعين السالب والموجب من الايونات

على هدى هذه المعلومات رسم طمسون بحوثه . فبدأ بحجم معلوم من الهواء النقي المجرد من الغبار والدخان وما إلى ذلك ، فوق سطح قليل من الماء في اناء خاص بحيث كان الهواء مشبعاً ببخار الماء . وأحدث في الهواء ايونات بفعل اشعة رنتجن . ثم جعله يتمدد بالقدر الذي يجعل التكاثف على الايونات السالبة ، وكانت هي في بعض البحوث المقصودة ، دون الموجبة . فحدث في الاناء ضباب بالتكاثف على الايونات السالبة . فراقب الضباب وهو يرسب الى قرار الاناء ، وقاس سرعة رسوبه رأساً . ومن معرفة هذه السرعة امكنهُ من قانون كان قد اثبتهُ « ستوكس » (Stokes) ببرهان رياضي ، ان يقدّر نصف قطر قطيرة الماء في ذلك الضباب ، واذن حساب حجم القطيرة ثم حساب كتلتها . ثم قدّر بطريقة حسابية كثيراً ما تردعليها امثلة في امتحانات الطبيعة ، كتلة بخار الماء المشبع الموجود في الهواء قبل التكاثف ثم كتلة بخار الماء المشبع الموجود فيه بعد

التكاثف ، واذن كتلة ما تكاثف منهُ ضباباً هي كتلة الضباب الحادث في التجربة . فاذا ما عرفت على هذه الكيفية كتلة الضباب الحادث وكتلة كل قطيرة منهُ . عرف عدد القطيرات . فاذا فرض ان كل قطيرة تتكاثف حول ايون واحد . كان هذا العدد هو عدد الايونات السالبة الموجودة في الهواء . فاذا قيست الشحنة الكهربائية التي تحملها جميع الايونات ، امكن معرفة شحنة كل ايون منها على حدته

كانت هذه الطريقة اول طريقة قيست بها شحنة ايون الغاز . وقد أصلحت الطريقة فيما بعد ، اصلحها «ويلسون» H. A. Wilson ، فسلط على الايونات مجالاً كهربائيًّا يجذبها الى اعلى بحيث تبقى قطيرات الضباب معلقة . ثم أصلحها من بعده «ملكان» (Millikan) استاذ الطبيعة في جامعة « شيكاغو» فاستبدل بقطيرات الضباب قطيرات من رذاذ من الزيت ، فلا تتبخر بسرعة ، وأحدث الايونات. فاذا ما اتصل بعض القطيرات ببعض الايونات أصبحت مشحونة ، فسلط عليها مجالاً يجذب المشحونة بشحنة سالبة الى اعلى أو يجذب المشحونة بشحنة موجبة الى اعلى ، وبحيث يتعادل الجذب الكهربائي الى اعلى بجذب الارض لها الى اسفل فتبقى القطيرات معلقة ، لا تهوى ولا تعلو ، واستطاع ان يرقب منها واحدة ، لطالما بمكرسكوب ، فتيسر له ان يقيس قطرها ويستخرج وزنها ، ثم قدّر بعد ذلك شحنتها ، دون ان يلتجيء الى مثل ما انطوت عليه طريقة طمسون الاولى من القوانين والحسابات المختلفة

وجاءت نتائج هذه البحوث معاضدة لرأي طمسون . فالشحنة الموجودة على ايونات الغاز سواء منها الموجب أو السالب توجد بمقدار له قيمة معينة محدودة بمعنى ان الايون قد تكون شحنته مساوية هذا المقدار، أو ضعفه ، أو أضعافه ، ولكنها ليست تساوي في حال من الاحوال ، نصفهُ مثلاً أو جزءاً منهُ . وذلك المقدار وجد مساوياً مقدار شحنة ايون الايدروجين ، فهو اذن الجوهر الفرد للكهرباء ، وهو اذن مقدار الشحنة السالبة للالكترون

الصفات الذاتية للالكترون

وبعض نواحيه الخاصة

وقد اتجه الفكر منذ أول نشأة النظرية الالكترونية الى تكييف معنى كتلة الالكترون تكييفاً خاصًّا . وكان « لطمسون » بحث رياضي ، بيّن فيه انهُ اذا فرضت كرة ، وكانت عليها شحنة وأريد تحريكها بسرعة معينة ، نظراً لان حركة الشحنة هي بمنزلة تيار كهربائي ، وللتيار الكهربائي مجال مغناطيسي يتطلب حدوثه مقداراً معيناً من الشغل ، فان الشغل اللازم لتحريك الكرة وهي مشحونة يساوي طاقة حركتها بصفة كونها كتلة متحركة بسرعة معينة والطاقة

اللازمة لاحداث المجال المغناطيسي المذكور . واذن الشغل اللازم لتحريك كرة معينة ذات كتلة معينة وهي مشحونة أكبر من الشغل اللازم لتحريك الكرة نفسها بالسرعة نفسها اذا كانت مجردة عن الشحنة . فكأن وجود الشحنة على الكرة يزيد من قصورها الذاتي ، أو هو يزيد من كتلتها . أي كأن للجسم المشحون كتلة تعرض عليه من جراء وجود الشحنة الكهربائية عليه . وأيضاً اذا فرضنا شحنة كهربائية معينة متكاثفة في حجم كري صغير ، وهو موجودة مجردة عن وجود كرة مادية تشغل ذلك الحجم ، فانهُ يلزم لتحريكها بسرعة معينة مقدار من الشغل يساوي الطاقة الموجودة في المجال المغناطيسي الذي يحدث من جراء حركتها ، ومن السهل حساب الكتلة التي يلزم لها المقدار نفسه من الطاقة لكي تتحرك بالسرعة نفسها . على هذا الاساس وبهذا المعنى يمكن ان نعد كتلة الالكترون ، كتلة عارضة من جراء حركة شحنة الالكترون بالسرعة التي يتحرك بها ، وليست كتلة مادية من جراء كونه دقيقة من المادة لها كتلة . وهذا هو المعنى المقصود من القول بأن ماهية كتلة الالكترون هي «مغناطيسية كهربائية» وينتظر على هذا الاعتبار ان تتغير كتلة الالكترون تبعاً لتغير سرعته ، فتزداد تبعاً لزيادة السرعة على وتيرة معينة تعين ببرهان رياضي . وقد دلت التجارب فعلاً على ذلك . بل يمكن أيضاً على أساس كون كتلة الالكترون « كتلة مغناطيسية كهربائية » تعيين نصف قطره . وبذلك يتم تعيين الصفات الذاتية للالكترون . فيكون الالكترون شيئاً لهُ شحنة سالبة معينة معلومة ولهُ كتلة معينة معلومة ولهُ حجم معلوم . وبحسب التقديرات الحديثة

شحنة الالكترون = ٤٫٧٧ × ١٠^-١٠ من الوحدات الاستاتيكية الكهربائية

أو = ١٫٥٩ × ١٠^-٢٠ من الوحدات المغناطيسية الكهربائية

وكتلته = ٩ × ١٠^-٢٨ من الجرام

ونصف قطره = ١٫٩ × ١٠^-١٣ من السنتمتر بالتقريب

في حين ان ذرة الايدروجين كتلتها تسعة وثلاثون وثمانمائة وألف مرة كتلة الالكترون ونصف قطرها حوالي خمسين الف مرة نصف قطر الالكترون

ولا يسمح المجال بالاسترسال في بيان ما يقال عن أن الكتلة بوجه عام وضعاً كتلة الالكترون مظهر من مظاهر الطاقة ، بالمعنى المفهوم من نظرية « الاضافة [1] » ولا في بيان ما يدور من الآراء الحديثة حول « هوية » الالكترون وكنه طبيعته . هل هو

(١) استعمل الكاتب مندوزن طويل لفظ «الاضافة» للدلالة على نظرية « اينشتين » في النسبية . وذلك احياء لاصطلاح استخدم قديماً في الفلسفة العربية في معنى قريب من الفكرة الاساسية التي بنى عليها اينشتين أول الامر نظريته

كتلة ذات شحنة ؟ ام هل هو مجموعة من الموجات ؟ ام هويته وكنهه ووجوده ، ثنائية ، يبدو في ظروف معينة كدقيقة ذات كتلة وذات شحنة ، ويبدو في ظروف اخرى كمجموعة من الموجات ؟

ولا يسمح المجال بالاسترسال في بيان ما تم منذ خمس سنوات من الكشف عن شقيق الالكترون . ذلك الذي كتلته ككتلة الالكترون ، وشحنته كشحنة الالكترون في المقدار ولكنها تخالفها في النوع . ذلك الذي يسمونه (Positron) ويصح ان نسميه « الموجبرون » ونضع للالكترون اسماً مرادفاً ونسبه «السالبرون» فيختص كل منهما باسم يدل عليه يميزه عن الآخر . ولا يسمح المجال ايضاً بالتوسع في بيان الرأي القائل بأن « الكم الجيمي » ذا الطاقة الشديدة والتردد المرتفع اذا صدم ذرة من ذرات المادة ، انتجر شقين ، احدهما «السالبرون» والآخر شقيقه « الموجبرون » . ولا يسمح المجال بتفصيل الكشف الذي اتيح خلال هذا العام عن «الكترون» ، ولا يزالون يسمونه الكتروناً ، كتلته ستون ومائة مرة او يزيد كتلة الالكترون الذي هو موضوعنا في هذا المقام . ولنكتف بذكر هذه الامور ولنشر اشارة موجزة الى الدور الذي يؤديه الالكترون في العالم الطبيعي . هو لا شك ركن من اركان الذرة او بالاحرى هو كذلك على حسب المعلومات الحالية . وهو مصدر النور والحرارة وجميع الاشعاع (الاثيري) اذا جاز لنا الآن ان نستعير من علم الطبيعة القديم احد اصطلاحاته ، او فلنقل هو مصدر جميع الموجات المغناطيسية الكهربائية سواء منها ما طالت موجته فكانت اذرعها عشرات الكيلومترات ، او ما قصرت فكان ذرعها جزءاً من عشرة او عشرة من السنتمتر الواحد

هذا الالكترون الخطير الشأن في عالم الوجود استطاع الانسان ان يتسيطر عليه ويسخره في مآربه . استطاع ان يستخدمه لاحداث موجات اللاسلكي ولاستقبالها وما الى ذلك [1] واستطاع ايضاً ان يستخدمه لضبط اللصوص ، ولحصر عدد الارتفة التي تجيز في الافران الكبيرة ، ولتوقيت الزمن سواء في حلبات السباق او في المراصد ، ولايقاف القطرات او تحويل مجراها بل ولقياس طمي النيل ولتقدير (عكارة) السوائل ومقادير الدخان والغبار المنتشر في اجواء المصانع والمعامل [2]

ولكن ما علاقة هذا الالكترون بموضوع العلاج الاشعاعي عامة وموضوع السرطان خاصة

(١) الاشارة هنا الى الصمام الايوني الحراري وتطبيقه في اللاسلكي وغيره

(٢) الاشارة هنا الى الخلية الضوئية (Photo-cell) وتطبيقها في الاغراض المذكورة ومنها ما نشر من تجارب للدكتور محمد محمود غالي في تقدير طمي النيل

بعض عبقريات الالكترون
بموضوع العلاج الاشعاعي

لندع جانباً القول بأن الالكترونات هي الوسيلة العملية للحصول على أشعة ونتجن التي يعالج بها السرطان . ولندع جانباً القول بأن الالكترونات ذات علاقة وثيقة بحدوث الاشعة الجيمية التي يعالج بها هي أيضاً هذا الداء ، وسواء لدينا أكان انطلاق الالكترونات من ذرات المادة هو الذي يسبب صدور الاشعة الجيمية أم كان صدور الاشعة الجيمية هو الذي يسبب انطلاق الالكترونات . فالمهم والنتيجة من الالفاظ التي تغيرت معانيها في الوقت الحاضر

ولنقل انه من الثابت المؤكد أن للالكترونات تأثيراً حيوياً في الانسجة وفي الخلايا . وان لم تكن الالكترونات قد تم استخدامها كطريقة من طرق العلاج الاشعاعي فان دراسة تأثيرها الحيوي اخذت تنتزعي في الوقت الحاضر انتباه فريق من العلماء لا سيما في اميركا. وما يدرينا لعلها أصلح فعلاً وامعن تأثيراً

ولربما تكون علاقة الالكترونات بالعلاج الاشعاعي اشد صلة في الواقع مما يبدو في الظاهر فان كان التأثير الطبيعي لاشعة ونتجن مثلاً وهو تأيين الغاز ، انما هو بفعل الالكترونات الثانوية التي تحدثها هذه الاشعة ، وبالمثل أن كان التأثير الطبيعي للاشعة المافوق البنفسجية كذلك، ألا يصح التساؤل هل التأثير العلاجي لهذه الاشعة هو ايضاً بفعل الالكترونات الثانوية التي تحدثها وهل معنى المثل القائل « ان الاسم لطوبه والفعل لامشير » ينطبق هنا ايضاً

وايضاً ان كان «الكم الجيمي» كما اشرنا الى ذلك من قبل، ينفجر عند تصادمه بذرة المادة شقين احدهما « النيترون » والثاني « الموجيرون » ألا يصح التساؤل هل لهذا الموجيرون ايضاً علاقة بالفعل العلاجي للاشعة الجيمية ، تلك خواطر اكتفي بذكرها مجردة عن التعليق عليها بالنفي او الاثبات

***

وعلاوة على كل هذا فقد تبين ان للالكترونات علاقة بموضوع العلاج الاشعاعي من ناحية اخرى . في سنة ١٩٣٢ كشف عما يسمونه (Neutron) ويصح ان نسميه « المتعادلون » وهو دقيقة كتلتها كذرة الايدروجين ولكنها في حالة تعادل كهربائي ليست لها شحنة كهربائية وقد وجد ان للنيوترونات خواص تميزها لتجعل لها شأناً خاصاً في موضوع العلاج الاشعاعي. فمثلاً من خواصها ان المواد الايدروجينية اى المركبات التي تحتوي على عنصر الايدروجين تمتصها بشدة دون غيرها . فهي من جراء ذلك تمتصها الانسجة الايدروجينية بشدة دون العظام وايضاً

فان الفعل التأييني لهذه النيوترونات أشد كثيراً من نظيره لاشعة رنتجن او الاشعة الجيبية وتجارب «لورنس» (Lawrance) وزملائه في اميركا في الوقت الحاضر تدل على ان فعلها الحيوي ايضاً اشد كثيراً من نظيره لاشعة رنتجن او الاشعة الجيبية بل وتدل علاوة على ذلك على ان فعلها الحيوي يميز[1]، وهو من هذه الناحية أشد تميزاً من نظيره لتلك الاشعة ولهذه النيوترونات خاصة اخرى هي انها تثير في المواد التي ليست لها بطبيعتها خاصة «الراديومية» ، هذه الخاصة وتكسبها هذه الخاصة بشدة

والمواد التي تثار فيها هذه الخاصة بالطرق الصناعية نسميها «مواد راديومية صناعية» ومن المرجح كثيراً انه سيكون لها في القريب العاجل شأن عظيم ربما يتجاوز حد التصور في وقتنا الحاضر لا في علاج السرطان وغيره من الامراض فحسب ، بل في نواحي شتى كثيرة منها ما يتعلق بالطب بوجه عام ، ومنها مايتعلق بالصناعة وغيرها

***

والحصول على هذه النيوترونات في الوقت الحاضر طرق مختلفة . والذي يشبنا امره هنا ان من هذه الطرق طريقة تسدَّد فيها اشعة رنتجن ذات طاقة عظيمة الى مادة «البريليوم» والوسيلة لتوليد هذه الاشعة الرنتجنية ذات الطاقة العظيمة ان تصوب الكترونات هي الاخرى ذات طاقة عظيمة تتجاوز مليوناً من الفولطات الى هدف من مادة «الطنجستن» ومما يستعان به للحصول على هذه الالكترونات جهاز خاص اخترع حديثاً ونسميه «المولد الدفعي»[2] يولد قوة دافعة كهربائية فجائية تبلغ مليوناً ومليونين أو يزيد من الفولطات . ويكفيني في هذا المقام ان اذكر ان من بين ما يُعدُّ به الآن الاستاذ «جوليو» (Joliot) ، معمله الحديث بباريس ، جهازاً من هذا القبيل من المنتظر ان تبلغ القوة الدافعة التي تتولد منهُ ثلاثة ملايين فولط او اكثر ، فيحدث الكترونات ذات طاقة عظيمة تقع على هدف من الطنجستن ، واذا أحيط حوله بمادة البريليوم انتشرت خلال هذه المادة الاشعة الرنتجنية التي تتولد فتحدث النيوترونات ، حيث تستخدم هذه النيوترونات بعد ذلك للاغراض المطلوبة ، كاثارة الراديوسية الصناعية في المواد التي يراد اختبارها او استعمالها ، وما الى ذلك

---

(١) نعني بتميز هنا انها تبيد أو تتلف الخلايا أو الانسجة المريضة وتنشط السليمة

(٢) هو Impulse Generator ويسمى احياناً Surge Generator وأول مانشر عن توليد النيوترونات بهذه الطريقة خطاب في مجلة Nature في العدد الصادر في ٨ دسمبر سنة ١٩٣٤ وكان مذيلا بسمة اسماء وكان من بينها اسم «عدنان والي» المدرس الآن بقسم الطبيعة بكلية الهندسة

الدولة والفرد

توطئة لبحث المذاهب السياسية

في هذا العصر

لعلي الرقم

مسألة سيادة الدولة ومدى علاقة الفرد بتلك السيادة في طليعة المسائل التي يقوم حولها الجدل ويستفيض البحث في العصر الحديث ، وقد كانت فكرة سيادة الدولة على الدوام من الافكار التي يتناولها قادة المفكرين ويعرض لها الباحثون في السياسة والاجتماع ، وقد تناوبت العصر الحاضر صروف سياسية واحداث جمة استوجبت اعادة النظر في هذه الفكرة وعرضها من جديد على محك البحث. وسيادة الدولة عند الفاشيين والنازيين ليست مثاراً للجدل والمناقشة وانما هي من الامور المقطوع بصحتها والمسلم بها ، وقد كان ذلك مما زاد العناية ببحثها والاقبال على تدبرها حتى اصبح الحديث عنها غير مقصور على رجال السياسة وعلماء القانون

والفكرة القائلة بسيادة الدولة المطلقة تستمد قوتها من مصدرين مختلفين من مصادر التفكير اليوناني ، فقد كان في التفكير اليوناني نزعة ترمي الى اعتبار الدولة وحدة كلية قائمة بذاتها مكتفية بنفسها مستغرقة للمجتمع بأسره ، وافلاطون نفسه يأخذ بهذا المذهب ، وارسطو يعلن في بحوثه السياسية ان من طبيعة الدولة الاكتفاء بنفسها ، والعلاقة الوحيدة عندها بين الدولة والدول الاخرى هي علاقة العداء والمنافسة والكراهة المتأصلة، ولذا كانت علاقات الحكومات اليونانية بعضها ببعض قائمة على العداء المستمر والتربص الدائم ، وقد ردد الفيلسوف هوبز ذلك حين قال « الدول بطبيعتها اعداء »

ونلمح من ثنايا ذلك أن ما يعتبره بعض المفكرين علاقتين متمايزتين وهما علاقة الفرد بالدولة من ناحية ، وعلاقته بالنوع الانساني من ناحية أخرى ، لا وجود له في هذا النمط من التفكير لان الدولة مستوعبة لجميع الافراد وحقوقها مقدمة على حقوقهم ومكانتها هي المكانة السامية المرموقة فهي ملاذ الفرد وكهف رجائه

وتصور مفكري اليونان للطبيعة الانسانية هو المصدر الثاني الذي تستمد منهُ النظرية قوتها، وذلك لان الكثيرين ممن تحدثوا عن النظريات السياسية يستمسكون بالرأي الذي يذهب الى ان حقيقة الفرد هي تلك الشخصية المنفردة الحائرة التي يعرفها الفرد في تلك الحالة الافتراضية المسماة « حالة الطبيعة » وذلك قبل ان يدخل المجتمع ويخضع لاحكامه ويحمل اعباءه، والمجتمع في زعم اصحاب هذه النظرية بناء صناعي متكلف قائم على تعاقد محدود دخل بموجبه الفرد الى المجتمع ليضع حدًّا للحالة الطبيعية التي كان يرتع في بحبوحتها وينعم في ظلالها حيث لا ترعقهُ سلطة ولا يقيدهُ قانون ، وهذه النظرية في تعليل نشوء المجتمع هي نظرية « العقد الاجتماعي »

ولكن افلاطون وارسطو يريان غير ذلك ويذهبان مذهباً آخر ، فالانسان عندهما حيوان اجتماعي ، وما دام الانسان مدنيًّا بالطبع فمن الطبيعي له ان يعيش في المجتمع ، وحياة الفرد في عزلة عن بني الانسان حياة غير طبيعية ولا مألوفة ، وطبيعة الفرد لا يسترسل نماؤها ويطرد تقدمها الا بين احضان المجتمع ، والمجتمع يتيح للانسان الفرصة لاختبار طاقته وتحقيق مطالبه ، والانسان في مخالطته لاند اده وزملائه في المجتمع يحفز مواهبه وينمي قدراته ويتكمل شخصيته فهو فضلاً عما يشعر به من الامن والطمأنينة في كنف المجتمع وحمى الدولة مدين لها بواجب الشكر لانها منحتهُ شخصية في ثرائها الجم وقوتها الفياضة

***

وعلى أساس فكرة الدولة من حيث هي ضامنة لحقوق الفرد ومجيرة له من اخطار الفوضى ودياجير الحرية السلبية وخالقة لشخصيته أقام الفيلسوف الالماني هجل بناء فلسفيًّا محبوك الاطراف متسق المنطق ، وعند هجل ان القوم في المجتمع يستمتعون بحرية اصدق أثراً وأعظم وقعاً من تلك الحرية الغارقة في الفوضى التي خلعوا ثوبها عند ما غادروا حالتهم الطبيعية الافتراضية الطليقة من القانون ، والحرية الصادقة هي تلك الحرية التي يظفر بها الفرد في حدود المجتمع ، فهي ثمرة من ثمراته مظهرها الخارجي القوانين المرعية ومظهرها الداخلي تلك الآداب التي يتلقاها الفرد من المجتمع ، فالدولة تُطوِّع للفرد حرية لا يظفر بها في غيرها وهي انما تفعل ذلك لان لها شخصية حقيقية وارادة مستقلة ، وتمثيلها لرغبات اعضائها يكسبها ارادة عامة فوق كل ارادة ، وارادة الفرد تسمو وتزداد تبلاً باندماجها في تلك الارادة العامة ، ويتبع ذلك ان اعمال الدولة المنبثة عن تلك الارادة العامة يلزم ان تكون على الدوام سالمة من العيوب بريئة من الاخطاء لانها تمثل خير ما في ارادات الافراد

والدولة شخصية ولهذه الشخصية حقوقها التي تسمو فوق كل خلاف وتعلو على حقوق

الافراد المزعومة — وأقول المزعومة لان الفرد بموجب هذه النظرية لا يمكن ان تكون له حقوق حقيقية متعارضة مع حقوق الدولة ، وذلك لان حقوق الفرد الحقيقية ليست هي تلك الحقوق التي حملها معه عند دخوله المجتمع عقب انتهاء تلك الحالة الطبيعية الافتراضية الدائرة وانما هي حقوق في العمل لتحقيق تلك الغايات التي تنزع اليها طبيعته التي كونها المجتمع وصقلها وهذبها الدولة وسمت بها ، وهي طبيعة هو مدين بها للمجتمع ومن واجبه ان يقفها على خدمة الدولة ، وما دام الفرد يتلقى حقوقه وواجباته من الدولة فلا يمكن ان تكون له حقوق تتعارض مع حقوقها

***

ولجميع هذه الاعتبارات وبناء على ما يمكن استنباطهُ من فكرة طيبة « الارادة العامة » و« شخصية الدولة » يعتبر محل الدولة مادة اخلاقية شاعرة بنفسها ويرى ان العلاقة التي تربط الفرد بالدولة في كليتها الشاملة هي نفسها جزء من شخصية الفرد ، فهو نبت يدها وثمرة غرسها وهو من ثمَّ لا يستطيع ان يعمل في عزلة عنها ولا يمكن ان تنبت له ارادة او يتسق له امل الا بجزء من ارادة الدولة ونصيب من آمالها ، ويرى بوزانكيه أن الفرد حتى في ثورته وانتفاضه على الدولة انما يثور بارادة مستمدة من ارادة الدولة فالدولة في حالة الثورة تعد مشتقة على نفسها

وقوة الدولة المتسامية فوق الافراد وما تطلبهُ من ولاء متصل وتضحيات مستمرة توسع شخصيات الافراد وتنقيها من شوائب الاغراض الحقيرة والغايات المسفة وتنقل محور حياة الفرد من دائرة الاثرة الضيقة الى ميدان الحياة العامة ، والدولة اكبر ممثل للآداب الاجتماعية وان كان ذلك لا يستلزم أنها مقيدة في اعمالها باتباع شريعة الاخلاق ، والعلاقات الاخلاقية تقتضي وجود طرفين ولا يمكن ان يكون للدولة طرف آخر لانها جماع الاحزاب

وفي وسع الدولة ان تسيطر نظريًّا في ايام السلم وعمليًّا في ابان الحرب على حياة الافراد وتوجههم الوجهة التي تريدها ، ولا سند من القانون لمصادمة احكامها لان الافراد الذين تبسط عليهم سلطانها لا يختلفون عن الافراد الذين يباشرون سير الاحوال ويتقلدون السلطة ، واوامر الحكومة موحاة من الرغبات الحقيقية لهؤلاء الذين يطيعونها ويلبون رغباتها حتى عندما يطيعونها رغم ارادتهم

***

والدولة هي التي تتصدى لحل المشكلات وتسد الثلمات ، ومن حقها ان تطلب الى الافراد ان يضعوا حياتهم رهن تصرفها وطوع يدها . قال هجل « حالة الحرب تكشف عن قوة الدولة

وتبين مدى سطوتها وعظيم بطشها والوطن حينذاك هو القوة التي تقضي بفناء استقلال الافراد»

وقد اتفق اثر هجل في الاشادة بسيادة الدولة المطلقة بعض المفكرين الالمان وتطوح فريق منهم تطوحاً بعيداً وأسرف كل الاسراف ، وفي مقدمة الجليين في هذا الميدان المؤرخ الالماني المشهور ترينتشيكه والكاتب السياسي برناردي ، ومفكرو الانجليز على وجه الاجمال لم يقبلوا نظرية سيادة الدولة المطلقة بالحماسة والتطرف والمغالاة التي قبلها بها الالمان

ونظرية سيادة الدولة المطلقة على مايبدو بها من مظاهر التماسك الفكري والاتساق المنطقي نظرية غير سليمة ولا مطابقة للواقع ، بل هي نظرية خطرة لانها تمنح الحكومة المسوغات التي من شأنها ان تجعلها تتجه في السياسة الخارجية منهجاً غير متردد لايبالي من الاخلاق ولا اصول الآداب ، وقد تطرف بعض الغلاة من منكري سيادة الدولة المطلقة حتى قالوا بعدم ضرورة وجود الدولة

***

والعيب الواضح في نظرية سيادة الدولة هو ان الدولة تبعاً لتلك النظرية تعتبر نفسها ممثلة للنوع الانساني بأسره وهو افتراض منافر للحقيقة. واذا كان للدولة السلطة التامة والقدرة الكاملة من حيث علاقتها بافرادها فانهُ من الأمور المسلم بها ان هذا الحق لايمكن ان ينهض الا على افتراض ان الدولة تمثل ارادات جميع الافراد الذين تتكون منهم الدولة وليس هناك مايوحي الى الفكر ان الدولة تمثل ارادات افراد الدول الاخرى فهي من ثم غير قادرة على كل شيء وليست ارادتها اذن فوق كل ارادة وما دام ادعاء القدرة على كل شيء والسمو فوق كل ارادة يتخذ وسيلة لتبرير حق الدولة في الاعتداء من الواجب الادبي فانهُ يتبع ذلك ان هذا الاعتداء لا يمتد الى العلاقات بين الدولة والدول الاخرى، فليس هناك اذن مايبرر خروج الدولة عن الاداب في معاملتها للغير من الدول، واذا كانت قواعد الآداب مرعية في علاقات الافراد بعضهم ببعض فليس هناك مايمنع العمل بمقتضاها في علاقات الدول بعضها ببعض

***

ومع تسليمنا بان الفرد في المجتمع يتمكن من انماء طبيعته واظهار قدراته ويظفر بحريته لان الرجل الشريد في جزيرة نائية يملك حريته ولكنها حرية مجردة سلبية لانهُ وان كان في وسعه أن يعمل كل شيء ولكنهُ في الحقيقة لايستطيع أن يعمل شيئاً اقول ان تسليمنا بذلك لايقتضي كون الحكومة قادرة على كل شيء ولا ينفي ان الدولة موجودة لاجل الفرد وان الفرد لم يوجد لاجل الدولة وسعادة المجتمع ، وليس الدولة معنى ان لم تعمل على اسعاد الفرد لان الدولة ليست

غرضاً من أجل ذاتها ، واذا سلمنا بذلك اتضح لنا ما ينطوي عليه مذهب سيادة الدولة المطلقة من مغالطة ووضع للأمور في غير نصابها

ويرى بعض أنصار نظرية سيادة الدولة انهُ غير ميسور للدولة أن تبني مجدها وعزها على أنقاض حياة الفرد او ان تستبد به وتطغى عليه لان مصلحة الدولة هي بذاتها مصلحة الفرد وإرادة الدولة حتى في حالة الاستبداد والطغيان هي إرادة الفرد ولكنهُ دفاع غير مستقيم لان الفصل في قضية من القضايا لا يعد فصلاً بمعرفة الفرد واتفاقه لمجرد ان القائمين بأمره أفراد في المجتمع الذي يشمله ، ونظرية السيادة المطلقة تناقض فكرة الحرية الشخصية لانهُ عندما ينشب أي خلاف بين الدولة والفرد فانهُ يفترض مقدماً ان الدولة في جانب الصواب وان الفرد حقيق باللوم ولا سبيل له لرفع صوته واسماع كلمته

وتقدم المواصلات ربح في العصر الحاضر قد أنمى العلاقات وزاد الروابط الاقتصادية والثقافية بين مختلف الامم ، وهذه العوامل الجديدة في الاجتماع الانساني قد أخذت ترسم الاتجاه الى تنظيم شؤون العالم على أساس اقتصادي ينسخ النظام الحاضر القائم على الحدود الجغرافية . واذا سلمنا انه من اللازم ان يعرف الفرد ان هناك مصلحة اسمى من مصلحته وهي مصلحة المجتمع فليس هناك مايمنع من السير بذلك الى نهايته المنطقية والوقوف عند فكرة ان مصلحة النوع الانساني فوق مصلحة الدولة. وكما ان اخلاص الفرد لاسرته او لقبيلته قد اتسعت آفاقه وتراءت حدوده وأصبح اخلاصاً للدولة فانهُ من المنظور ان يزداد اتساعاً وشمولاً ويصبح اخلاصاً وولاء لبني الانسان ، وليس هناك ما يثبت ان الدولة هي أقصى مرحلة من مراحل التدرج الاجتماعي ، وتستمد الدولة قوتها من وجود عادات وتقاليد مشتركة وبقاؤها رهن الى حد كبير بالاحتفاظ بتلك العادات والتقاليد وسيكون لسهولة المواصلات والتقوية الروابط بين الامم اثره المحتوم في تغيير تلك العادات والتقاليد ، ومع ضرورة الاحتفاظ بالدولة باعتبارها عاملاً اصيلاً في صيانة النظام واستتباب الامن فان العالم سيتجه وجهاً الى تصور اسمى للدولية يضمن سلامة الدولة ووقايتها من الاخطار الطارئة والصدمات الفاجئة كما ضمنت الحكومة سلامة الفرد واستنقذتهُ من حالة الطبيعة غير المحتملة ولا المرضية. وأمل الانسانية في العصر الحاضر معقود بتلك الغريزة التي أوحت للمجتمع وساقت الفرد الى الاجتماع بالفرد لتكوين القبيلة وقادت القبيلة الى الاجتماع بسائر القبائل لتكوين الامة. وليس من المستكر ان تسير سيرها وتتابع خطواتها وتجمع بين الامم في ساحة الامية الشاملة حيث تبطل فكرة الدولة المتطلقة من قيود الاخلاق والتي تحمل عصبة الامم امراً عديم الجدوى ضعيف الاثر

وجوه التباين بين

ثقافة الغرب

وثقافة الشرق الادنى

للدكتور سطيوارت صنر . د. ف.
استاذ العلوم الاجتماعية بجامعة بيروت الاميركية

— ١ —

توطئة — الثقافة وحدودها — الاستمرار الثقافي — التحول الثقافي

اذا رأيت جماعة تأكل الزيد وأخرى تأكل الضفادع، تفضل الاكل أمر فسيولوجي شائع في كل البشر غير ان شيوع النوع الواحد من الطعام في جماعة خاصة والنوع الآخر في جماعة أخرى مظهر من مظاهر صفات الثقافة المختلفة في الجماعتين. وعلى هذا نقيس كثيراً من العادات والتقاليد السائدة في قوم دون سواهم كعادات اللبس والشرب واللهو. فكل هذا يبين وجهاً من ثقافة الامة الواحدة المتعلقة بعاداتها

ثم ان الاختلاف في الالفاظ الانكليزية والالفاظ العربية اختلاف ثقافي فقط لان الاوتار الصوتية وقابليتها للنطق بأصوات مختلفة هي واحدة في الشعوب التي تتكلم الانكليزية والشعوب التي تتكلم العربية. ونجد الثقافة ايضاً ظاهرة في نوع الحرفة التي يتبعها المرء. فوجود زيد معلماً وعمر طبيباً وخالد محامياً وبكر تاجراً يدل على مقدار ثقافة كل منهم بحسب الاستعداد الذي تهيأ لهُ منذ حداثته. وما نجد في كل بشر غريزة تدفع به للعمل هرباً من الجوع والعري. فثقافة قوم هي مجموع طرقهم في التفكير والعمل وما ينتجهُ التفكير والعمل ماديًّا كالآلات والبيوت او نفسيًّا ومعنويًّا كالمعتقدات والاقتناعات

وكثيراً ما نعبر بالقول «صفة ثقافية» عن جزء صغير من الثقافة العامة، وبالقول «المركب الثقافي» عن مجموع هذه الصفات الثقافية الصغيرة. وهذا ظاهر في لغة كل قوم وما اللغة سوى جزء من ثقافة القوم الذين يتكلمونها. فجميع المركبات الثقافية في أمة ما مجموعة سماها ثقافة الامة. وهذا التعبير يتناول مدنية الامة وطرق تفكيرها وأعمالها وما ينتج عنها من المظاهر المادية والمعنوية النفسية

والعلماء حتى الآن لا يمكنهم ان يعينوا حداً للصفة التي يطلق عليها «الصفة الثقافية» ولم يتفقوا أيضاً على قاعدة يمكن اتباعها في تحديد عدد الصفات الثقافية لتكوين «مركب ثقافي». غير ان استعمال هذين الاصطلاحين في التعبير عن الثقافة مفيد جداً. وعليه قد اكتسب الاصطلاح والاستعمال هذين التعبيرين معنى خاصاً بهما في بحوث الثقافة، وايضاحاً للامر نسرد ما يلي: —

اذا أردنا الوقوف على معرفة قوم بأسباب الملاريا مثلاً فلنطرح عليهم أسئلة لنعرف بأجوبتهم عنها هل يعرفون الملاريا او سمعوا بها، ثم اذا سألناهم عن سببها فاننا نجد البيئة التي يكثر فيها المتفقون المتعلمون تقول بأن البعوض ينقل طفيليات الملاريا من المريض الى السليم وفي الجماعات الاخرى نجد الاجوبة تدور حول أحد الامور الثالية على الغالب:

الاصابة بالعين او سرعة تغير الهواء من بارد الى حار والعكس بالعكس ان ليلاً او نهاراً او القضاء والقدر من الله او لا يعرف

(الاستمرار الثقافي) يجب ان لا يعزب عن البال ان الثقافة من الامور المكتسبة ولا دخل لها البتة في الامور الفطرية واذا عدنا الى الحد الذي أوردناه وجدنا الثقافة مجموع امور يتسلمها الفرد في حياته من اسلافه والمتقدمين منا في محيطه ولا علاقة للوراثة الحيوانية بها. هذا واننا نجد من الوجهة الاخرى ان ثقافة المرء تتوقف كثيراً على ما يرثه في تركيب جسمه ووظيفة اعضاء جسده. ونجد ايضاً ان الطبيعة والتطبع لهما شأن كبير في ثقافة الافراد فمن هذه الوجهة يكمل الواحد منهما الآخر فلا يمكن انفصال احدهما عن الآخر ابداً. ولكنهما غير هذا في الجماعات. فمن السهل فيها فصل احدهما عن الآخر. وهذا يتم بتغيير العامل الوراثي والنظر الى عامل البيئة مستمر التأثير، او ان نعكس الآية فننظر الى العامل الوراثي مستمر التأثير وتغيير عامل البيئة وهذا يكون في درس توأمين متماثلين في كل أمر فيمكن تغيير بيئتهما تغييراً كلياً عند تربيتهما. ويلجأ العلماء الى هذه الطريقة في تعيين ما هو ثقافي بحت وما هو فطري فسيولوجي. ولما كان درس ثقافة الشرق الادنى وثقافة الغرب بهذه الطريقة قليلاً جداً فالاختلافات بين الثقافتين التي سأذكرها في هذا الصدد فروض فقط ولست اذكرها كحقائق راهنة. فالاختلافات التي سأذكرها على انها فروض قد تكون حقائق راهنة. وقد ينشب حولها مباحثات ومجادلات. ولكن لا يحق لرجل العلم المدقق ان يقول كلمة فصل فيها بوجه من الوجوه. بل عليه ان يؤجل البت في الامر حتى يتسع نطاق علمه، بالحوادث المثبتة التي تؤيدها والوقوف على اختبارات اخرى. وعلى كل اذا كان الاختلاف الذي سأذكره حقيقة راهنة ام لم يكن فيجب ان لا يسهى عن بالنا أن الثقافة كما حددناها سابقاً هي ما يتلقنه الفرد والمجموع من المعلومات في حياته وما يرثه من معلومات الجيل الذي سبقه. وعلى هذا نقول ان الثقافة بكليتها تعتمد في تكوينها على

البيئة والتدريب والتربية والتهذيب في اوسع معانيها ولهذا يمكن تغيير الثقافة او ابقاؤها على حالها بالتهذيب الواسع المذكور

﴿ التغير الثقافي ﴾ نعلى ماتقدم في وسعنا القول بان الحقائق الثقافية قابلة التغير بسرعة اذا تغيرت بيئتها الاجتماعية تغيراً كلياً . هذا تم حتى ولو كانت الحقائق الثقافية المتغيرة قد سادت الامة الواحدة زمناً طويلاً وظهرت فيها بمظهر لايمكن تغييره. ولنا في حوادث روسيا بعد الحرب وفي اليابان عند فتح ابوابها لتأثير المدنية الغربية خير برهان على صحة هذا القول . فالثقافة في كل قطر وكان حتى وفي الصين تتغير بتغير العوامل المؤثرة فيها غير ان المسألة هي معرفة مدى هذا التغير وسرعته

ثم ان الاختراعات توجد عاملاً وسيطاً لهذا التغير وندعو هذا العامل «تمييزاً» لانهُ يميز امة عن اخرى واذا شئت فقل يميز طرق تفكير الامة وعملها وما ينتجهُ هذان ماديًّا ونفسيًّا قبل الاختراعات عنها بعد الاختراعات . وانواع تميز حالة الواحدة عن الاخرى عديدة ولكن ما يهمنا منها في هذا البحث هو التمييز الاقليمي نعني بهِ الفرق بين الاقليمين الشرق والغرب . فالجماعة التي تنفرد في اقليم واحد وتحصر نفسها في هذا الاقليم ولا ترتبط بغيرها من الجماعات في الاقاليم الاخرى تكتسب بما يظهر فيها من اختراعات وغيرها ثقافة تختص بها وتميزها عن ثقافات الجماعات في الاقاليم الاخرى. وهذا التباين يزداد بطول مدى انفراد هذه الجماعة عن غيرها . ولهذا كانت اوربا والعالم الجديد في القرون السالفة تسيران متقدمتين في جهة تختلف عن تقدم الشرق الادنى سرعة وثقافة

ومن عوامل التغير في ثقافة الاقوام تقدم طرق المواصلات ووسائل النقل وهذا مما يسهل انتقال ثقافة الجماعة المنفردة النائية الى غيرها من الجماعات وبعده تقرب الثقافات المختلفة بعضها من بعض وعندئذٍ يبتدىء عمل تفاعلها الواحدة في الاخرى وهذا التفاعل يكون احد العوامل الثلاثة العامة التالية : اما عامل تناقض وصراع وإما عامل موافقة وتلاؤم وإما عامل تشبه واندماج. فمثلنا في العامل الاول مثل امرأة تركب الدراجة (بسكليت) وتسير في شوارع بعض مدن الشرق فعملها يثير استهجان القوم حتى لقد يشدد منهم الى رمي المرأة بالحجارة. هذا مظهر التناقض والصراع. ومثل العامل الثاني مثل دخول اللغة الارمنية الى الاقطار العربية فهي لم تمحُ اللغة العربية ولم تأخذ منها بل بقيت مظهر ثقافة مستقلة عن ثقافة القوم الذي تعيش في وسطه كل الاستقلال ومع هذا لم تزل شيئاً من الاستهجان او التناقض والصراع. فهذا مظهر الموافقة والتلاؤم . ومثل العامل الثالث مثل الالبسة الاوربية او ركوب السيارات او تحديد الاسعار في المتاجر او غيرها من بعض الصفات الغربية التي تزداد تطرقاً كلَّ يوم الى عادات اهل الشرق وتزداد تأثيرها في ثقافتهم وهذا مظهر التشبه والاندماج

— ٢ — تباين الثقافتين

لقد تقدم البحث عن الثقافة بوجه عام ولعله يجدر بنا أن نبحث في الاختلافات الواضحة التي نفرض وقوعها بين الثقافة في الشرق الادنى والثقافة في الغرب . وهذا التباين بين الثقافتين وليد القرون السالفة. غير اننا نرى الثقافتين في هذه الايام تزدادان اقتراباً الواحدة من الاخرى وتزداد تفاعلها الواحدة في الاخرى . ومن الخطأ الفادح ان نطبع هذا التباين بطابع الشرق والغرب . والاصح ان نقول ان الواحدة ثقافة الاجيال الوسطى وهذه عامة في الشرق الادنى . والاخرى ثقافة العصر الحديث وهذه شائعة في اوربا وأميركا وأخيراً في بلاد اليابان . وفي درسنا التباين بين الثقافتين يجب ان نعتمد على معدل كل ثقافة منهما اذ لا يمكن ان تختلف ثقافة الامة الواحدة عن ثقافة الامة الاخرى اختلافاً مطلقاً . ففي الشرق الادنى وفي الغرب صفات ثقافية مشتركة . ومن بواعث الاسف ان الناس عند ما يقابلون جماعة بأخرى ينطقون بألفاظ يستدل بها على البعد بين الجماعتين لان الالفاظ التي ينطقون بها متناقضة المعنى كقولهم ابيض وأسود وما شابه . والحقيقة ان في الامتين صفات متشابهة وأشد اقتراباً الواحدة من الاخرى مما تعبر عنهُ المفردات الوصفية المتناقضة

﴿ ١ — المميزات الزراعية مقابل المميزات الصناعية ﴾ الفرض الاول ان الزراعة اكثر ظهوراً في الشرق الادنى منها في الغرب والصناعة اكثر شيوعاً في الغرب منها في الشرق الادنى فهذا التباين الاقتصادي قاعدة كل صورة من صور ثقافة الامتين . فالصفات الثقافية في البدوي ترتكز على بداوته وعمله كراعٍ يسير وراء المواشي . وما يصح على البدوي من هذا القبيل يصح على الفلاح والعامل والتاجر وصاحب كل مهنة حرة وصاحب العمل الى ما عدا ذلك من الحرف المعروفة واسباب الارتزاق المألوفة . فثقافة كل صنف من اصناف البشر يجب ان تتفق وحالتهُ الاقتصادية اي مع مهنته وما تدر عليه هذه المهنة من المال. وهذا التباين الثقافي بالقياس الى المهن جلي وواضح وما الحاجة في اثباته الا الى حوادث معينة تتخذ شاهداً معزّزاً . والدلالة على الامر أقول ان مستر كبلي (كان تقصل الولايات المتحدة في بيروت) أحب ان يعرف النسبة بين قوة الاحصنة (من الحياد) وقوة الاحصنة الآلية المستخدمة في الامة الواحدة لمعرفة درجة شيوع الصناعة في تلك الامة. واتخذ لذلك فلسطين والولايات المتحدة اساساً للمقابلة. فأحصى عدد الحيوانات المستخدمة في هذين البلدين وقسم هذا العدد على مجموع قوة الاحصنة المستخدمة من البخار والكهرباء وما يتولد بواسطة الاحتراق فوجد ان ٤٧ في المائة من الولايات المتحدة كان في سنة ١٩٢٥ تسودهُ الصناعة اي انهم استعاضوا في شؤونهم الاقتصادية عن الحيوانات بآلات الى الدرجة المذكورة بينما النسبة في فلسطين من هذه الوجهة كانت اقل من ٤ في المائة . فهي

ان نسبة الزيادة السنوية في هذين البلدين كانت اكثر في فلسطين منها في الولايات المتحدة وهذا يدل على ان التقدم الصناعي في فلسطين كان يزداد سنوياً اكثر منهُ في الولايات المتحدة اذا راعينا النسبة

نمو القرى وازدحامها بالسكان شيء وشيوع الصناعة والتحلي بمزايا الغرب شيء آخر فيجب ان لا يخلط هذا بذاك وها قسط وافر من الثقافة في مدن الشرق الادنى يتغير بنمو هذه المدن وازدياد سكانها . فالناس يزحفون من الصحراء الى القرى ومنها الى المدن فيكثر الازدحام في هذه وتزيد العلاقات الثقافية في المدن تعقيداً وتزيد السرعة في الحياة وهلم جرًّا. وينسب الناس هذا التعقيد في الثقافة الى دخول الثقافة الغربية الى المدن المتعلق بها الامر فلا صحة لهذا الاعتقاد . فالامر مستقل في ذاته كل الاستقلال . وايضاحاً لهذا نقول : ان كثيرين يعتقدون ان سبب ضعف صفة الثقافة الشرقية المعروفة بحسن الضيافة دخول الثقافة الغربية الى هذه البلاد. اما انا فلا اعتقد بصحة هذا القول فلا دخل للمدنية الغربية بالامر . والسبب كل السبب هو نمو القرى والمدن وازدياد سكانها . واذا درسنا المسألة بالتدقيق وجدنا ان منشأ صفة حسن الضيافة في الصحراء كانت في بادىء امرها صفة لازمة للبقاء والوجود ولكنها تضعف في القرى وتزداد ضعفاً في المدن . ومن الامور الجلية انهُ لا يمكن لساكن المدن ان يفتح بابه لكل طارق وكفيه لكل مستطرق والعدد في المدن الف او اكثر . ولكن اذا انتقل الشخص نفسه الى مكان منفرد وسكن الخيام في الصحراء ، تراه وقد انقلب في الامر كل الانقلاب فتوق نفسه الى غريب يجالسه ويقاسمهُ الحياة المملة في الصحراء . واذا راجعنا تاريخ الولايات المتحدة وجدنا ان صفة حسن الضيافة كانت شائعة كل الشيوع بين النازحين الاولين اليها عند ما كانت العائلة الواحدة تبني لنفسها اكواخاً من جذوع الاشجار التي تقطعها من الحراج . وكان الكوخ الواحد يبعد عن الآخر اميالاً . فكان كل قادم جديد الى البلاد يجد بيوتاً مفتوحة لاستقباله وطعاماً لغذائه ، بل كان المضيف يشعر ان عليه من باب حسن الضيافة ان يساعد ضيفهُ في بناء كوخ لهُ . ولكن لما تقلص ظل هذه الحالات بانشاء المدن ونمو القرى تقلصت معها هذه الصفة : ويظهر ان القدر كتب لهذه الصفة في الشرق عمراً اطول جدًّا من عمرها في الغرب وهي ستبقى في الشرق الى مستقبل بعيد جدًّا . ولذلك سببان الاول ان الصحراء الحارة القريبة ستبقى صحراء والثاني ان هذه الصفة تعمل عملها منذ اجيال وقرون فصارت بكثرة التكرار عادة وتقليداً وصار التقليد قوة محركة تدفع هذه الصفة لتستمر في عملها على الرغم من تقلب الاحوال.

﴿ ب — الميزة التقليدية مقابل الميزة المبنية على الاختبار ﴾ التباين الصناعي في القطرين يعزى بالاكثر الى تباين في العلوم الصناعية او الى تباين في تطبيق المعارف العلمية . فالموارد الطبيعية في

بعض اقسام الشرق الادنى تمتاز عنها في بعض اقسام الغرب . ولكن النقص في العلوم الصناعية حال دون استغلال هذه الموارد . ولنا في موضوع زيت النفط في العراق خير برهان . وهذا النقص في العلوم الصناعية يحول ايضاً دون شيوع الصناعة في الشرق الادنى . ولنتعمق في بحثنا في هذه الناحية من التباين بين القطرين متخذين طرق التفكير التي هي اساس العلوم الصناعية اساساً لبحثنا ولنضرب صفحاً عن عرض التباين في العلوم الصناعية بين الثقافتين بمقابلة عدد المعامل التي في القطر الواحد بها في القطر الآخر . وطرق التفكير هذه مبنية ايضاً على طرق علمية والطرق العلمية تتناول عمليات عديدة منها دقة ملاحظة الحقائق ثم استقراء المبادىء ثم معرفة العلاقة بين الامرين لتكون هذه الحقائق نظاماً ينسج على منواله ثم تطبيق المبادىء بطريق الاستدلال حتى تثبت اما باختبار شخصي واما باحصاء شاهدات اخرى وملاحظة حقائق جديدة . المهم في الطرق العلمية الاستقراء والاختبار وهذا عكس القول بان الوصول الى الحقائق اما بطرق تقليدية اكسبها الزمن صفة العادة المتبعة واما بالالتجاء الى ثقات معروفين ان في الزمن الماضي او معاصرين لنا . وهاهم الكثيرون يستدلون على علاج الحالات الحاضرة بأقوال زعيم غير نقلت الكتب المقدسة او غيرها قوله المتبع . فالالتجاء الى الثقات لمعرفة الحقائق اكثر شيوعاً في الشرق الادنى منهُ في الغرب . بينما الالتجاء الى الاختبار الشخصي لمعرفة الحقائق أعم في الغرب منهُ في الشرق الادنى . واكبر برهان على صحة هذا نظام الرئيس روزفلت النظام الاقتصادي . فان الرئيس عند ما اذاعهُ قال انهُ تجربة وقد يظهر لنا الاختبار عدم صلاحه للبقاء

(ج — ميزة الاستقرار مقابل ميزة التغير) ان فرضنا السابق أن ميزة التقليد اكثر شيوعاً في الشرق منها في الغرب يقودنا حتماً الى فرض ان الثقافة في الشرق الادنى اكثر استقراراً على حالة واحدة منها في الغرب لان الحالتين متحدتان معاً لا تنفك الواحدة منهما عن الاخرى . أجل ان الاستقرار على حالة واحدة اشد في الشرق الاقصى كبلاد الصين مثلاً منهُ في الشرق الادنى . ولكن هذا لا ينفي ان الشرق الادنى في الاجيال الغابرة كان اكثر استقراراً على حالة واحدة في ثقافته من الغرب . هذا اذا قابلناه بسرعة التطور الثقافي في الغرب وبالاخص تلك السرعة الهائلة التي عمت اوربا بالانقلاب الصناعي الذي ظهر في السنوات الاخيرة . غير ان الحالة قد تغيرت حديثاً وصار الشرق الادنى اسرع تغيراً منهُ في الماضي وهذا ظاهر في تركيا في عهد كمال اتاتورك وفي غيرها من بلدان الشرق الادنى . غير ان هناك خلال هذا التطور الثقافي نزعة تعمل لابقاء القديم على قدمه . وايضاحاً للأمر نستعين بالمركب الثقافي الزراعي . الفلاح في بلدان الشرق الادنى يحجم عن استعمال الطرق الحديثة في عمله . بينما الفلاح في بلاد الغرب لا يتأخر عن نبذ ما ورثهُ من الاجيال الوسطى فيأخذ بالطرق الحديثة

سواء في ذلك، طرق تسميد الارض او ارواء غليلها او حرثها فسخر العلم لكل هذه وزاد بانه جعل العلم يثير اموراً طبيعية كتنفيس البيض واستخدام الكهرباء ليلاً لاغواء الدجاج بان الوقت نهار فيكثر بيضها. وقد جاءت الاخبار مؤخراً انهم يحاولون في المانيا وأميركا استخدام سائل كيماوي يضعونه في احواض يزرعونها حبوباً وما شاكل عوض ان يغرسوها في الارض. وهم يؤملون ان يجنوا من هذه فوائد زراعية جمة منها ازدياد الخصب في المواسم وتحسين نوع الحبوب والسهل على تخليصها من الحشيات المضرة. وزد على هذا انهم يؤملون أن يمكنهم استخدام حرارة اصطناعية وضوء اصطناعي من ان يزرعوا الاوعية ويستغلون ما يزرعون في مدة لا تتجاوز العشرة ايام وبعد هذا يحق لنا ان نحلق بتصورنا في جو المستقبل فنجد ابناء ذلك الزمن ينشئون المعامل للزراعة ويضمون ضمن المعامل براميل ينسقونها على الرفوف صفوفاً صفوفاً كما تنسق الكتب هذه الايام في المكاتب العامة ويزرعون في البراميل الحبوب ويحصدون المواسم بسرعة كلية وفي كل هذا يتشى الفلاح بين هذه الصفوف وعمله منحصر في الاطلاع على حرارة كل برميل وتعديلها بقطع المجرى الكهربائي او غير هذا كما تقتضيه الحال. وسيترك ابناء الاجيال المقبلة الارض لتكون جنائن فيحاء للتنزه والتمتع بالملذات او دور للعب والقفز والعدو هذا اذا كان لهم رادع اجتماعي والا سينمون ويكثرون ويملأون الارض ويجعلونها مدينة واحدة لاحد لاطرافها

لا بل يحق لنا ان نقول ان زمن هذا النوع من الزراعة سيكون قصيراً لان علماء الكيمياء يزدادون اعتقاداً بان في مقدور الانسان ان يجمع المواد الثانية وغيرها من المواد الغذائية رأساً عما يحيط به من الهواء والماء ونور الشمس وغيرها من المواد الغذائية فالاحداث في الغرب يهللون لهذه الاخبار ويرحبون بها اشد ترحيب ويتدفقون حبا بها وولعاً بنتائجها الى درس الكيمياء والفنون الزراعية آملين ان يتاح لاحدهم تحقيق هذا الحلم. وخلاصة القول في هذا التباين ووضع سكان الاقليمين تجاه هذه الحالات ان سكان الشرق الادنى يفرحون بما لديهم وما اعتادوه الى أبعد مدى يمكنهم، بينما سكان الغرب يهللون لكل تغيير وحادث جديد

***

والذين يرغبون في التغيير والتبدل يقولون ان هذا تقدم ونجاح ويقولهم هذا يضمون قيمة معنوية ومادية للتغيير والتبدل المذكورين. والمجتمع يرغب في ان يكون للتغيير والتبدل قيمة اضافية لما فيهما من معنى علمي. ونحن لم نحاول في كل ماقلناه من التباين والاختلاف ان نفاضل بين الثقافتين فنمدح الواحدة وندم الاخرى لانا لانود ان نقيم للواحدة قيمة نحرم الاخرى منها

ولا نرغب في ان نسمي الواحدة تقدماً والاخرى تأخراً او رجعية. ونحن نأمل ان نضع بتجردنا هذا مجالاً لقارئي مقالتنا هذه لكي يبحثوا فيما بينهم الفروض التي قدمناها وان يتأملوا بها

ليكوّنوا هم لانفسهم رأياً يتعلق بقسمة التباين في الثقافتين الغربية والشرقية ويبدون آراءهم في المرغوب فيه منهما وايهما يرفضون

***

واذا نظرنا الى هذا التباين في حالتي الاستقرار والتبدل من وجهة أخرى وجدنا النتائج ذاتها فالشرق الادنى كان حتى السنوات الاخيرة أكثر تسليماً للقضاء والقدر من الغرب ولما هذا كان اكثر نشاطاً واضطراباً من ذاك . ولايضاح الامر نستعمل القواعد الجبرية فنقول ان في كل قوم رغبة شديدة في الحصول على الاشياء التي فيها كبيرة ونشير اليها برموز

ثم ان جميع الرغائب لا تنال كلها بل يُنال منها قدر كافٍ لاشباع الميول اليها فنسبة الرغبة الكاملة الى ما يمكن الحصول عليه منها يتخذ قياساً للقوى السيكولوجية التي تدفع القوم الى العمل وانقيام بمفاخر الاعمال. وهذه النسبة ندعوها «الشد» او «عدم الاكتفاء» فمن هذا يتم معنا المعادلة الجبرية التالية $\frac{ر}{ق} = ش$ اي بقسمة الرغبة على مفاخر الاعمال يحصل لنا نسبة الشد وتقاس هذه الصور بعض الاحيان بوحدات كنظام العرض والطلب في الرغبات الاقتصادية أو في موقف القوم المتعلق به الامر تجاه رغبات اخرى . فنسبة الشد هذه ما هي الاّ دليل الى العوامل التي تدفع كل حي للعمل في تحقيق رغباته وتخفيض الشد والمد في اعماله . فالسعادة مثلاً زيادة في تحقيق الرغبات وتخفيض في الشد والمد في حياة الفرد هذا بصرف النظر عن كون الرغبات مادية او روحية . وفي العالم فلسفتان في كيفية الحصول على السعادة البشرية وهما طرفا نقيض . الاولى واضحة في تعاليم بوذا عن نيرفانا . والثانية جلية في العقلية الاميركية الفائقة حد وحصل . فبوذا يقول ان على من اراد ان يخلص وينقص الشد والمد في حياته ان يتحرر من كل رغباته وذلك بتحويل صورة المعادلة اعلاه له الى الصفر حتى حتم انتقاله الى نيرفانا يحصل على غبطة تامة لانهُ تخلص من كل رغباته تخلصاً كاملاً . اما الاميركي فيقول عكس هذا تماماً فهو ينادي بان يندفع المرء في العالم طامعاً بجدٍّ وتملأ رغباته الارض من اقصاها الى اقصاها فكلمة « لا استطيع » لاوجود لها في قواميس الشبان الذين يريدون كل شيء ضهجاً مفرحاً وفي هذا تتحول قوى الامة جميعاً الى زيادة الانتاج تأسيس معامل ومؤسسات اكثر تعقداً من التي سبقتها. فهذه الفلسفة فلسفة ازدياد الرغبات والجد في طلبها تخفض الشد وتزيد الحصول على النبطة والسعادة وهذا يكون بتحويل صورة المعادلة أعلاه الى حد لا يحصى ولا يدرك . وبالنتيجة تنخفض نسبة الشد والمد الى الصفر والعدم. ومن الامور المؤكدة أن الوصول الى هذه النتيجة مما يصفهُ الفريقان مستحيل لسببين الاول ان للبشر رغبات فسيولوجية ما زالوا احياء. والثاني أن رغبات البشر

تزداد بسرعة تفوق السرعة التي يتاح بها للمرء ان يتغلب على الحواجز الطبيعية التي تحول دون تحقيق رغباته واشباع مطامحه

أما اذا عملنا على تطبيق المعادلة المار ذكرها على حياة الافراد فنرى الشرق والغرب متحدين متحالفين رغم هذا التباين بين الحد الاقصى في الشرق الادنى والحد الاقصى في الغرب . والنزعة اليوم في الشرق الادنى الى زيادة مخرج المعادلة اي الزيادة في الاعمال عوض عن الاهتمام بتخفيض صورة المعادلة اي الرغبات . ولكننا اذا قابلنا حياة كلّ من الامتين مجموعة بالمعادلة المار ذكرها بحيث تشمل المعادلة كل السكان في القطر الواحد وجدنا قضية القضاء والقدر تلعب في الشرق الادنى دوراً مهمًّا في وضع سكان هذه البلاد تجاه الحالات التي ليس بمقدورهم تغييرها . وقد يكون السبب في هذا الزمن الطويل الذي قضاه الشرق الادنى تحت الحكم التركي مما ساعد على رسوخ قدم هذه العقيدة في هذه البلاد. ولا يزال القرويون في هذه البلاد يسلمون على انقاص رغباتهم وتسليم كل ارادتهم لله معتقدين بان لا فائدة من انتظار تقدم ونجاح عظيمين

***

واذا نظرنا الى الفلسفة الاميركية القائلة بالجد وتعداد الرغبات للفوز بالسعادة بحسب ما تقدم بنا في المعادلة المذكورة وجدنا الاخفاق بادياً في كل محاولات الاميركيين لزيادة مخرج المعادلة حتى يتم لهم تخفيض الشد والمد والتوتر في حياتهم . فالنتيجة جاءت معكوسة . فالمدنية الاميركية اكثر مدنيات العالم في شدة توترها واضطراب اعصابها وهيجان نشاطها فالنازحون الاولون الى اميركا قد استغزوا كل رغباتهم ودخلوا البلاد باحلام وآمال عديدة ولكنهم اضطروا في بادىء الامر ان يعيشوا بكل بساطة في اكواخ من جذوع الشجر وهذا ما جعل الفرق بين صورة المعادلة ومخرجها عظيماً جدًّا. وبالنتيجة كثر الشد والمد في حياتهم وهذا كان يدفعهم الى بذل جهود جبارة ونشاط مضطرب حتى يتغلبوا على حياة القفر والوحدة . اما رغباتهم وطموحهم التي جاءوا بها من اوربا فتحررت بنزوحهم الى الولايات المتحدة من القوانين التي جعلت فرقاً بين صف من صفوف البشر وصف آخر . وهذه الحرية جعلت رغباتهم توسع تدريجاً وبتوسعها ازداد الميل في الناس الى الاعمال الكبيرة وتعميم الصناعة وهذا الامر قد ساعد على بقاء الشد والمد عاليين . ثم هذا عامل نفسي سيكولوجي يدفع الى ما نراه اليوم في مدينة الولايات المتحدة من الانقلاب والنشاط والتهيج وتوتر الاعصاب (وعلى كلّ هنالك عوامل أخرى كالمناخ الذي يزيد في نشاط الامة ومواد البلاد الطبيعية وتزاوج الامم المختلفة التي نزح الى الولايات المتحدة فكل هذه تحمل على زيادة النشاط في الامة) [للبحث تتمة]

تحويل العناصر

أسلوب المختبرات العلمية

في صنع ذرات جديدة

تحويل العناصر في شكله الحديث قريب العهد ، وهو يختلف عن تحويل العناصر في شكله القديم ، في أنهُ قائم على فهم تركيب الذرّة ، ومعرفة الاساليب التي يمكن التوسل بها الى احداث تغيير في هذا التركيب حذفاً واضافة ، فتتحول ذرة عنصر ما الى ذرة عنصر آخر . واذا كان علماء العصر الحديث قد فاتهم تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، ففي وسعهم الآن ان يحوّلوا الفصفور مثلاً الى أورنيوم مُشِعّ ، والنتروجين الى بورون . وأهمّ من التحويل نفسه في نطاقه الضيق المحصور الآن ، ما أسفر عنهُ البحث الدائر حول موضوع التحويل في شتى المعاهد العلمية ، من توسيع نطاق المعرفة بتركيب المادة على صحته . وهذا قد يكون في آخر الامر سبيلنا — في حياتنا او بعدها — الى تناول جسيمات المادة الاساسية وصنع ما نريد منها

وتحويل العناصر يقوم في اسلوب العلم الحديث على احداث تحويل في نواة الذرّة . فكل ذرّة على ما نعلم ، تواتها نواة مركزية موجبة الشحنة ، تحيط بها كهيربات (الكترونات) سالبتها ومجموع شحنات الكهيربات مساوٍ لشحنات النواة فتبطل هذه فعل تلك فتتعادل كهربائية الذرة . ولا يخفى ان الجانب الاكبر من كتلة الذرّة مركّز في النواة والنسبة بين كتلة الكهيرب وكتلة البروتون (وهو نواة اخف الذرّات) كنسبة ١ الى ١٨٠٠ . فتحويل ذرّة عنصر من شكل الى آخر يقتضي احداث تغيير في نواة الذرّة . وليس هذا بالعمل الهيّن . وذلك اولاً لان النواة صغيرة الحجم جدًّا فيصعب ان تصيبها بقذيفة ما . ثم ان الجسيمات التي تكون منها النواة مترابطة ترابطاً وثيقاً جدًّا بقوى كهربائية عظيمة حتى لتجد ان فصلها بعضها عن بعض من اشقّ الامور . فاذا كان قطر نواة الذرة جزءا من عشرة آلاف جزء من قطر الذرة نفسها ، فمساحة مقطوع النواة لا تزيد على جزء من مائة مليون جزء من مساحة الذرة ، فاذا اطلقنا على الذرة قذيفةً ما بغية ان تصيب النواة كان احتمال النجاح واحداً على مائة مليون

ولذلك نُضيع سدى الجانب الاكبر من القذائف التي نطلقها بغية أن تصيب بها النواة .

ولنفرض اننا اطلقنا قذيفة وهي نواة الايدروجين (اي بروتون) — على هدف من مادة معيَّنة بقوة مليون فولط ، فانها تقبل على هذا الهدف بقوتها هذه فتخترق الطبقة الاولى من كهربائها فاذا اتفق واصابت في هذه الطبقة نواة ، فبها ، والاَّ فانها تخترق هذه الطبقة الى مايليها وقد خسرت من قوة اندفاعها ، بما اخذته منها الكهربات التي اخترقت منطقتها ، وهكذا ، حتى اذا اصابت نواة في الطبقة العاشرة فانها تصيبها وقد فقدت جانباً كبيراً من قوتها فلا تكون الاصابة فعالة . فاذا لم تصبها ومضت في سبيلها على هذا المنوال تبقى سائرة حتى تفقد قوتها وتستقر . وما زال العلماء عاجزين عن ابتداع وسيلة تمكنهم من تسديد القذائف حتى تكثر النوى التي يصيبونها بها وعلى ذلك فمعظم الطاقة التي تستنفد في اطلاق القذائف بقوة عظيمة لاحداث التحويل ، يضيع هباء . ولذلك يعتقد علماء الطبيعة ان هذه الطريقة لن تفضي الى مصدر جديد من مصادر الطاقة مع ان الطاقة الكامنة في الذرات عظيمة جداً . الاَّ ان هذا لا يعني انَّ بحث طبيعة النواة لا يفيد فالمواد الجديدة التي تولد بهذا الاسلوب تستعمل كثيراً في البحث الطبي والبيولوجي

فلننظر الآن مايحدث في النواة عند ما تصيبها القذيفة ، لعلنا نستطيع ان نتبين السرَّ في اقبال طوائف من العلماء على هذا النوع من البحث . ولكي نستوضح مايحدث يجب ان نتذكر انَّ النواة قوامها نوعان من الدقائق او الجسيمات هما البروتونات والنوترونات . فالبروتون موجب الشحنة والنوترون متعادلها او هو مجايد من الناحية الكهربائية . وقدر الشحنة الموجبة على البروتون مساوٍ لقدر الشحنة السالبة على الالكترون مع أنَّ كتلة الاول تفوق كتلة الثاني نحو ١٨٠٠ ضعف . واذن فالشحنة الكهربائية العامة للنواة ، موجبة وهي مجموعة شحنات البروتونات التي فيها . اما كتلة النواة فهي مجموع كتل البروتونات والنوترونات التي تتألف منها

هذا في مايتعلق بالذرة . اما القذيفة فعلى انواع منها الاشعة الجمية Gamma او الاشعة السينية السالبة التردد القصيرة الامواج ، ثم البروتونات التي تكتسب زخماً عظيماً وطاقة كبيرة بواسطة احد الاجهزة الخاصة بذلك . ثم الدوترونات وهي نوى ذرات الايدروجين الثقيل ويمكن الحصول عليها واكسابها الطاقة والزخم بالطريقة المتقدمة . ومثلها جسيمات الفا . اما النوترونات فيحصل عليها الباحثون في التفاعلات التي تطلق فيها احدى القذائف المتقدمة على اهداف من مواد معينة فتؤثر فيها تأثيراً من شأنه اطلاق نوترونات فيزداد زخمها وتستعمل بدورها قذائف في هذا النوع من البحث . اما الكهربات (الالكترونات) فيظهر انها لا تصلح قذائف من هذا القبيل

الاشعة الجمية تأول هذه القذائف فعلاً في احداث التغير المبتغى . ويصدق هذا القول بوجه خاص لان مصادر الاشعة الجمية القوية نادرة . الاَّ ان تأثيرها شبيه بتأثير الضوء عند وقوعه على بصاصة (خلية ضوئية كهربائية) أي ان الاشعة الجمية تقذف من النواة التي تصيبها

او تأثيرها نوتروناً على نحو ما يقذف الضوء الكتروناً من البوتاسيوم الذي في البصاصة . فاستعمال الاشعة الحية ذو شأن نظري من حيث دراسة النواة ، ولكنها ان تكون ذات شأن في صنع المواد المتصفة بالنشاط الاشعاعي الصناعي Artificial-radio-activity

وأما النوترونات فمن القذائف التي تسترعي العناية لانها لا تحمل شحنة كهربائية ولذلك فلا تدفعها النواة الموجبة الشحنة عندما تقترب منها واذن فلا يلزم النوترونات أن تصيب المادة التي تسدد بها بقوة عظيمة نسبيًّا حتى تخترق طبقات الالكترونات الى النواة . فالنوترون المطلق بقوة يسيرة — نسبيًّا — يستطيع ان يسير الى النواة فتبتلعه وينشأ عن ذلك تفاعل يفضي الى تغيير النواة اما وقد ارتقت الاجهزة لتوليد النوترونات وقذفها ، فمن المحتمل ان تغدو هذه الطريقة لتوليد المواد المشعة اشعاعاً صناعيًّا ذات شأن عظيم في المستقبل . والسهولة التي يمكن بها اجتذاب النوترون الى النواة ولو كان سائراً سيراً بطيئاً ، يفسر انتشار وجودها حرة في الطبيعة . فاذا اطلقت النوترونات حرة بوسيلة من الوسائل ، فانها تخترق المادة ولا تلبث حتى تجتذبها نواة

والفضل في فهم مايحدث في النواة عند ما تصيبها احدى هذه القذائف يعود الى العالم الدنماركي نيلز بور Bohr صاحب الفضل ايضاً في فهم بناء المنطقة الخارجية في الذرة وهي المنطقة التي تؤلفها الكهيربات (الالكترونات) . فهو يذهب الى أن الدقائق التي تتألف منها النواة تجذب بعضها بعضاً بقوة حتى اذا دخلت قذيفة ما النواة ، تقسمت هذه الدقائق طاقة القذيفة ، فتؤسر القذيفة ، لانهُ لا يوجد في هذه الحالة دقيقة واحدة تفوق طاقتها طاقة زميلاتها فلا تستطيع أن تفلت من الأسر . وينشأ عن ذلك نواة تؤلفها جميع الدقائق التي كانت فيها وكذلك القذيفة . ولكنها تختلف عن النواة العادية ، في انها تحتوي على مقدار من الطاقة أكثر مما تحتوي عليه النواة المستقرة البناء . وهذه الطاقة هي طاقة حركة موزعة على دقائق النواة . ثم بعد قليل ، (وبسلسلة من الحوادث لا يمكن حسابها الآن) تفوز احدهذه الدقائق بمقدار من الطاقة يفوق مقدار اخواتها ، فتفلت من جذبها وتقذف الى الخارج .

فاذا كانت الذرة التي اصيبت ، والقذيفة ، والدقيقة التي تنطلق ، مما يجعل الذرة المتبقية مستقرة البناء ، فالتغير ينتهي عند هذا الحد اي ان الذرة تحولت الى ذرة أخرى . ولكن اذا كانت النواة المتبقية غير مستقرة البناء ، فانها لا تلبث بعد ايام او بعد ساعات ، حتى تحاول الوصول الى الاستقرار ، فتطلق كهيرباً سالباً او كهيرباً موجباً (بوزيترون)

وقد تقدم البحث في هذه الناحية تقدماً سريعاً في بضع السنوات الاخيرة ، حتى لقد غدا في وسع العلماء ان يذكروا مئات من الحوادث تتغير فيها ذرات مادة واحدة تغيراً يتباين بتباين القذائف التي تسدد اليها . والعناية الآن متجهة خاصةً الى دراسة تفصيلات الاحوال التي تقع عند حدوث التحول

والآن نضرب للقارىء امثلة على التفاعلات التي تدلُّ على تحوُّل ذرّة الى اخرى مفرغة في قالب المعادلات الرمزية المعتمدة بين العلماء. فالطريقة المتَّبعة هي ان يستعمل الرمز الكيماوي للعنصر ويوضع قبله من أسفل رقم يدلُّ على عدد البروتونات في نواة ذرة ذلك العنصر ثم بعد رمز الذرة من فوق رقم يدلُّ على مجموع عدد البروتونات والنوترونات في النواة

***

فالبريليوم يرمز اليه بالحرفين (بر) فيظهر في هذه المعادلات الخاصة بتحويل العناصر $_{٤}بر^{٩}$ فالرمز (بر) هنا يراد به نواة ذرّة البريليوم . والرقم ٤ يدل على عدد البروتونات في هذه النواة . والرقم ٩ يدل على مجموع عدد البروتونات والنوترونات اي ان النوترونات ٥ وعلى ذلك يمكن افراغ التحوُّلات في نوى الذرّات في قوالب معادلات . خذ مثلاً على ذلك المثل التالي : —

$$_{٤}بر^{٩} + _{٢}هل^{٤} \rightarrow _{٦}كر^{١٢} + _{٠}نو^{١}$$

ما معنى هذه المعادلة ؟ نواة البريليوم يطلق عليها نوى الهليوم بعد اسراعها (والهليوم مدلول عليه هنا بالرمز «هل» قبلهُ ٢ أي في نواته بروتونان وبعده ٤ اي في نواته بروتونان ونوترونان) فيقع التحوُّل فينشأ عنهُ ذرّة كربون ، بروتونات نواتها ٦ ومجموع بروتوناتها ونتروناتها ١٣ ثم تتحوّل ذرّة الكربون هذه — وهي غير مستقرّة في الطبيعة — الى ذرّة نوع آخر من الكربون في نواتها ٦ بروتونات و٦ نوترونات وذلك باطلاق نوترون واحد

***

والمعادلة التالية تبين كيف تتحوّل مادة غير مشعة الى مادة مشعة

$$_{١٠}فو^{٢١} + _{٠}نو^{١} \rightarrow _{١٣}لو^{٢٨} + _{٢}هل^{٤}$$

فهنا نواة ذرة فصفور أطلق عليها نوترون فتحولت الى نواة ذرة ألومنيوم ونواة هليوم. هذا الضرب من الالومنيوم مشع لانهُ غير مستقرّ (الالومنيوم العادي رمزه $_{١٣}لو^{٢٧}$) فتنحلُّ نواتهُ فيتحول احد نوترونات الى بروتون وكهيرب ينطلق منها. والتحول من الالومنيوم المشعّ الى الالومنيوم العادي سريع الحدوث بحيث لا يكون مدى حياة الالومنيوم المشع اكثر من ١٢٧ ثانية

هذا النوع من الالومنيوم المشع يمكن الفوز بهِ بأسلوب آخر وذلك باطلاق النوترونات على الالومنيوم العادي فتكون معادلة التحول كما يلي $_{١٣}لو^{٢٧} + _{٠}نو^{١} \rightarrow _{١٣}لو^{٢٨}$

فالالومنيوم المشع المولد بهذه الطريقة ينحل كما ينحل الالومنيوم المشع المتولد من اطلاق النوترون على الفصفور

خليل مطران

شاعر العربية الإبداعي

البحث الاول

للدكتور اسماعيل احمد ادهم
عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

الفكر الادبي والشعر والشعراء

(نوطئة) الشاعر هو ذلك الانسان الذي يستوعب الحياة في الاشياء ملء نفسه ويفيض بها من شعوره ووجدانه فتخرج نابضة بأسرار الحياة الروحية. ورسالة الشاعر — ان كان ثمة رسالة له — لا تخرج عن التعبير عن الحياة في سرّها الروحي ، ومن هنا لا يختلف الشاعر في رسالته عن رسالة الفنان مصوراً كان او نحاتاً او موسيقيًّا ولذا — نرى عن حق — ان الشعر غاية في ذاته ، لانهُ يتضمن اغراضه في نفسه ، من حيث هو شعور يخالط الحياة فيجيء منها

ولما كان الشعر تجربة الدنيا تملي على الشاعر صوراً من الحياة ، فهذه الصور من حيث تخالط شعور الشاعر وتجيء من وجدانه ، فانها تجعل اغراض الشعر منتهية عند حدّ التعبير عما في الوجدان من معاني الحياة وصورها التي خالطته

هذا ... ولما كانت الحياة تأخذ صوراً مختلفة في نفوس الشعراء ، متكافئة وامزجتهم الخاصة ، فان الشعر يبدو للوهلة الاولى وكأنهُ خاضع لاغراض خارجة عنهُ ، والواقع ان هذه الاغراض مسبغة على الاتجاه الشعري من مزاج الشاعر الخاص ، لذا كانت مخالطة وجدان الشاعر للحياة تسبغ على الحياة صوراً تنظهر نظام الاشياء الروحي في متناقضات مظاهرها الخارجية ، غير أن هذه الصور باتجاهاتها لا تحد من الشعر من حيث هو فيض الوجدان ، وانما تلوّن الموضوع الذي يخالطهُ الوجدان بلون خاص ، نتيجة التكافؤ القائم بين مزاج الشاعر والحياة التي تبدو في طيات ذاته

من هنا لنا ان نحدّد وجهة نظرنا الى موضوع الشعر والشعراء . فالشاعر انسان لا يعنى بالجمال الاّ قدر ما هو منبث في تضاعيف الحياة التي تبدو معكوسة في اطار ذاته ، وهو الى هذا لا يعنى بابراز اللذة والالم في شعره الاّ بالمقدار الذي يخالط شعوره منها . وهو لا يعالج مشكلة ولا

موضوعاً ، ولا يتقيد بشيء غير الحياة نفسها كما جاءت مخالطة وجدانه ، وعمق استيعاب الشاعر للحياة ومنحى ابرازه وعرضه لمشاعره واحساساته تحدّد معنا قيمة شعر الشاعر من الشاعرية الصحيحة

ولما كان الشاعر يقيم كل ما له من الشاعرية على شيئين : الاول عمق مخالطة وجدانه للحياة والثاني منحى عرضه الاحساسات والمشاعر التي يخاص بها من هذه المخالطة فان شاعريته تتأثر باوضاع المحيط الطبيعي والبيئة الاجتماعية من حيث تؤثر في مزاجه وبالتالي في مخالطته فتأتي شاعريته ذات نمط يكاد ما في المحيط الطبيعي من عوامل وما يكتنفهُ في بيئته الاجتماعية من مؤثرات تنحو بمقليته وتأثره بالاشياء منحى خاصًّا

ولما كان الشاعر يستوعب الحياة عن طريق وجدانه ، فانسحاب ذاتية الشاعر على الحياة ، ومجيء شعره من مخالطة وجدانه لها ، تستمد خطوطها من نفس الشاعر وطبيعته ، وبلغة أخرى لما كان الشعر — من حيث الموضوع — قطعة من الحياة يعرضها لنا الشاعر من خلال مزاجه الخاص ، وهو بما أوتي من مقدرة على الابراز والعرض يقدر على اثارة احساساتنا ومشاعرنا وينقلنا الى الجو الذي خلقهُ في شعره فنشعر وكأننا نحيا فيه ونتحرك . فالعرض عنده يستمد خطوطه من طبيعة مزاجه وذاتيته التي تأثرت بأوضاع المحيط الطبيعي والبيئة الاجتماعية . فمن هنا لنا ان نعتبر الشعر مظهراً نفسيًّا يدل على وجه تفهم الحياة والاحساس بها

وطبيعة الشاعر أظهر ما تكون في تأثرها بأحكام البيئة الاجتماعية والمحيط الطبيعي في منحى انسحابها على صفحة الحياة ووجه عرضها من خلال مزاجها الخاص قطعاً من الحياة . بيان ذلك ان الاوضاع التي تقيد الانسان في نظره للعالم تقيد انسحابه على الحياة بأشكال وأنماط . فالذهن الانساني في غرارته الاولى كان مدفوعاً بعجزه عن الافصاح عن تفهُّم المظاهر الطبيعية وصور الحياة الى خلع احساساته البشرية على الطبيعة وتضمينها فيها وتشخيصها . مثال ذلك شعراء اغريقية الاقدمين ، ولهذا جاء شعرهم اسطوريًّا . فلما كدّ الذهن مستنبطاً أوضاع الحياة ، شغل الانسان بالعوالم المحسوسة وصارت خلجات النفس تصدر مصوغة في قوالب فكانت (كلاسيكية) الادب والفن . ومن هنا لنا ان نعرف المذهب « الاتباعي » في الشعر بأنهُ صوغ خلجات الشعور والنفس في قوالب من فعل العقل المحض وعمل الذهن الصرف [1] . غير ان الاغراق في استنباط أوضاع العالم المحسوس ووضع صيغه واستخراج قيمه اقام ثورة ضد المذهب (الاتباعي) تمثّلت في الحركة (الرومانسية) التي عملت على تحطيم القوالب والصيغ (الكلاسيكية)

ولما كانت الحركة (الرومانسية) ردّ فعل للاتجاه (الكلاسيكي) ، فقد قامت على تغليب ماوراء

(١) ابن خلدون في المقدمة فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه حيث يقول الشعر صناعة وسبيل هذه الصناعة كثرة مطالعة دواوين الشعراء فيحصل مع كثرة القراءة والمرانة على اساليب صوغ الشعر قالب من التراكيب يتركز في ذهن الشاعر يفرغ فيه صور ما ينظم من الشعر وهذا القالب كالمنوال الذي ينسج عليه

المحسوس على المحسوس ، ومن هنا جاء ارسال الخلجات النفسية المترعة من القلب في الزعة (الرومانسية) ومن هنا كانت الرومانسية حركة « ابداعية » في تاريخ الفن والأدب

غير انهُ نتيجة للاغراق في تغليب الشاعر وما وراء الحس على العقل والعالم المحسوس من جهة ولاكمال الدعوة العقلية في الغرب من جهة أخرى ، استبطن الفكر متأثراً بالعقل (واقعية) الأدب . فكان النقل المجرد عن الطبيعة في المحسوس والمدى الظاهر من الاشياء . غير ان طغيان عالم الحس على عالم ماوراء الحس لم يقض عليها ، فكانت لها يقظة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تمثلت في الحركة (الرمزية) التي هي مظهر مكتمل من الحالة الاسطورية . فكأن الاتجاهات الأدبية في الشعر مقيدة بالاوضاع التي اتخذتها الحياة الانسانية في اطوارها المختلفة

اما الشعر نفسه فيعلو عن التقيد بالاوضاع من حيث هو فيض الوجدان والشعور . وان كانت الأوضاع تبدو مع الشعر فائضة من وجدان الشاعر

—١—

لما كان الشعر من حيث هو فيض الشعور والوجدان نتيجة اهتزاز اوتار النفس البشرية أمام الحياة الكامنة في الاشياء ، فانه على قدر الاهتزاز وقوته يكون مقدار عمق الشاعرية في الشعر ، ذلك ان الهزة التي تستولي على نفس الشاعر كلما كانت قوية تكشفت اسرار الحياة ومعانيها لوجدان الشاعر في حقيقتها . فتجعل الشاعر قادراً على النفوذ ، عن طريق وجدانه الى ما وراء المظاهر الخارجية للأشياء ، ومن هنا يمكن أن يقال ان الطبيعة تلقي جانباً من معانيها الخالدة لنفس الشاعر في اهتزازات أوتار نفسه أمامها . فالشاعر أشبهُ بآلة موسيقية أمام الطبيعة . والطبيعة كالانامل التي توقع عليها ، والالحان التي تخرجها الآلة أشبهُ ما تكون بالشعر الذي يفيض به وجدان الشاعر

غير انهُ من المهم ان نضع موضع النظر حقيقة كون الحياة في الاشياء مرتبطة بالنسبة الينا مع العمل . ولما كان العمل يتعلق بالجانب الكمي من الحياة ، فاننا نجد ان حياتنا العملية تتعلق بالأشكال الخارجية للحياة . اما الحياة نفسها في حقيقتها فتعلو عن تناول تجاربنا اليومية (١) والشاعر من حيث هو صاحب فنّ هو ذلك الانسان الذي ينفذ بوجدانه وبصيرته الى ما وراء الاشكال الخارجية للحياة مصروفاً عن العمل بالتعلق ملء نفسه بالحياة في اعماق الاشياء . غير ان الحياة لا تؤاتي الشاعر باكثر من هزات تصله بجانب من جوانب الحياة الداخلية للأشياء رائعة جانباً من الوشاح الذي بين الشاعر وبين الحياة الداخلية للاشياء فيفيض الشاعر من وجدانه

(١) مغزى برجسون في كتابه رسالة الشواهد المباشرة للشعور . باريس ١٨٨٩ . وفيها يقول ان ما اعرفه من نفسي ليس الا ما يتجلى للنظر أي ما يشترك في العمل . واذاً فان حواسي ووجداني لا تكشف لي الا عن ناحية موجزة من نواحي الحقيقة العملية للاشياء

خليل مطران بك

[تصوير الدكتور أحمد موسى]

بخلجات طالما ترددت في اعماق نفسه القصية كلحن موسيقي . غير انّ هذه الخلجات في خروجها من العالم المضمر في نفس الشاعر الى العالم الخارجي ، تستعير الانغام لتبدو لحناً كلاميّاً ملحوظاً

من هنا لنا ان نعتبر الوزن والقافية في الشعر اشياء ان لم تصل بروح الشعر فانها هي كل مظهرها الخارجي ، ومن هنا يصح قولنا ان التعبير عن الشاعرية هو كل اغراض الشاعر . ذلك ان الشاعرية تستعين بالاوزان او القوافي او مايقوم مقامها لتخرج الى العالم الظاهر متميزة بتعبيرات يتميز بها الشعر عن بقية ضروب الكلام . فالشاعر حين يستعير الاوزان او القوافي او ما يقوم مقامها فهو يستعين بها ليؤلف وحدة موسيقية يتمكن ان يصب فيها الخلجات التي تتردد في وجدانه ، وهو حين يصب هذه الخلجات في الالفاظ فانها تتصاعد فتكون وحدة لا يمكن ان تفصل الالفاظ فيها عن الشعور ، والشاعر في ذلك كالموسيقي ، « وكما أنهُ لا يوجد في الموسيقى ألحان في جانب ومعان يعبر عنها بهذه الالحان في جانب آخر ، بل يوجد هناك فقط صوت تعبيري » (١) كذلك في الشعر لا يوجد ألفاظ وحدها ومعان وحدها ، انما يوجد ألفاظ تعبيرية عما في وجدان الشاعر ، هي مظهر الشاعرية والشعر نفسه

ولما كان الشعر يفيض من وجدان الشاعر متخذاً لنفسه القالب اللفظي الدال عليه ، فان الجو الذي في نفس الشاعر يتخذ الالفاظ التي تخلق بذاتها في عالم الشعر نفس الجو الذي يحس به الشاعر في عالمه الداخلي مجرداً . وعن طريق هذا الجو الذي يخلقهُ الشاعر من الالفاظ في شعره ننتقل الى الجوّ الذي كان هو فيه ، فنشعر وكأنا نحيا فيه معهُ ونتحرك

والشاعر حين يستعين بأصوات الكلام ليؤلف الوحدة الموسيقية الدالة على المعنى ، انما يعتمد على انتظام اصوات الالفاظ وتلازم نبراتها ، والمداد الشاعر لشعره وطريقة انشاده تظهر لك حقيقة هذه الموسيقية التي تخلق الجو الشعري فتشعر بروح الشعر في القصيد

—٢—

تفيض شاعرية الشاعر من وجدانه متخذة من الكلام شكلاً تظهر فيه من العالم المضمر الى عالم الاشكال ، والاتساق في الشاعرية يحمّل الشكل اتساقاً يوحي بالجو الذي اضطربت فيه الشاعرية ، من هنا يمكننا ان نتكلم في الشعر : عن الشاعرية التي تجتاح الوجدان وتضطرب في نفس الشاعر حتى تفيضها ، وعن الشكل الذي اتخذته الشاعرية لتظهر ، وعن الجو الذي تخلقهُ الشاعرية باتساقها في الشكل . على اعتبار ان جميع هذه الاشياء تصهر في بوتقة واحدة لينبثق منها شيء واحد — ذلك الذي نسميه شعراً

(١) برادلي في محاضرته « الشعر للشعر » ، ألقيت في الخامس من يونيه سنة ١٩٠٩ بجامعة اكسفورد وينظر الملخص عربي لها من قلم الدكتور احمد زكي ابو شادي في كتابه « نظرة من يراع في الادب والاجتماع » القاهرة ١٩٢٧ ج ٢ ص ١٠—٣٣ وعلى وجه الخاص ص ٢٠—٢١

ومن المهم ان نقول ان هذه الاشياء ان كانت تتصور في بوتقة واحدة لتخلق ذلك الشيء الذي نسميه الشعر، فانها كلٌّ تقابل الموضوع الذي تدور حول الشاعرية، وتستنزل منهُ أخيلتها الشعرية ومجازاتها التعبيرية. إذاً فيجب ألاَّ نبحث عن موضوع الشعر في نفس قطعة الشعر، ذلك ان الموضوع خارج عن الشعر. غير انهُ من جهة اخرى يقابله، ذلك من حيث كون الشعر شعوراً اتخذ شكلاً وجوًّا تعبيريًّا خاصًّا ليظهر فيه. فمثلاً موضوع «الممات» الذي اتخذه حامد شاعر الترك الاعظم موضوعاً يستنزل منهُ أخيلته ويستمد منهُ تأملاته الشعرية في رثائه لزوجته الشابة فاطمة شيء والمقبرة التي شيدها حامد شعراً من العواطف والمشاعر والتأملات شيء آخر، ذلك ان الشعر شيء يتصل بنفس الشاعر وفيض وجدانه ومنحى تعبيراته، والموضوع شيء يتصل بنفس الشاعر من حيث انشاءه الشاعرية وتنسحب عليهِ مستنزلة أخيلتها ومجازاتها التعبيرية. واذاً تكون الصلة بين موضوع الشعر والشعر نفسه مرتبطة باستنزال الشاعرية من الموضوع مادة الشعر.

ويجب ان نضع موضع النظر هنا هذه المسألة: المادة والشكل من جهة والموضوع من جهة اخرى. ولا يمكن ان يتخذ الموضوع قاعدة للبحث في الشاعرية وطاقتها الاَّ من ناحية واحدة تتصل بالمدى الذي تسمح بهِ للتواردات الشعرية. فمثلاً موضوع «الممات» يحمل الذهن الى عالم ما وراء المنظور رابطاً بهِ العالم المنظور ويسمح بتواردات شعرية تنقل الذهن الى عوالم الشهادة والغيب. أما موضوع «الكروان» مثلاً فان تواردات الشعرية وان كانت تحسب شيئاً غير قليل الاَّ انها في مداها لا تقاس بالمدى الذي يعطيه لنفس الشاعر موضوع «الحياة» او «الممات». فنحن ان امكن لنا ان ندخل في مقارنة جيته (١٧٤٩ — ١٨٣٢) شاعر الالمان الفيلسوف الذي اتخذ الحياة موضوعاً لدراماته الشعرية وبين عبد الحق حامد (١٨٥١ — ١٩٣٧) شاعر الترك الفيلسوف الذي اتخذ الممات موضوعاً، فان الموضوع من حيث هو مكافىء مع الآخر في مداه الشعري، ومن حيث يحتوي على الآخر يسمح بمثل هذه المقارنة

ومع هذا يجب ألاَّ ننسى ان الشاعرية من حيث تتصل بسر الاشياء الروحي ومنها تتخذ لنفسها الموضوع الذي تستنزل منهُ أخيلتها الشعرية وتعبيراتها المجازية، يمكنها ان تلج من الموضوعات المحدودة ظاهريًّا الحياة كلها عن طريق رفعها الستر القائم بين الموضوع المحدود في عالم الاشكال وبين الحياة نفسها. مثال ذلك ان طائر الكروان موضوع محدود ظاهريًّا، لكن الشاعرية النافذة حين تنسحب عليه يمكنها ان تنفذ من عنصر الحياة القائم فيهِ الى الحياة العامة. ذلك من حيث تتخذ الحياة الكروان شكلاً من الاشكال تبدو فيها

من هنا يجب ان تكون على شيء غير يسير من الحيطة في اتخاذ موضوع الشعر اساساً للنظر في الشاعرية ومداها وقيمتها، ذلك ان الشاعرية تبدو بكل معانيها في القطعة الشعرية، من حيث

تصب الشاعرية فيها معانيها المستمدة من الموضوع الذي تنسحب عليه . وهكذا يتبين معنا معنى كون الشاعرية تبدو في منحى انسحاب الشاعر على الحياة

وهنالك بضعة نماذج فردية قوية في تاريخ الشعر العربي تتميز بمنحى خاص في انسحاب شاعريتها على مواضيع الحياة ، وهذه النماذج يمكن ان نردها الى ثلاثة نماذج تعود لطبائع الشعوب وعقلياتها وامزجتها من حيث تفاعلت فكانت من تفاعلها عقلية المدنية الاسلامية ومزاجها. هذه النماذج الثلاثة هي : النموذج المصري والنموذج العربي والنموذج اليوناني . ولكل من هذه النماذج أثر في تكييف اتجاه الشعر العربي في مصر في هذا الجيل

اما النموذج العربي فتبدو منهُ الحياة — كما يقول الرافعي — « كأنها قطع مبتورة من الكون داخلة في الحدود لابسة الثياب . ومن ذلك تجد الشاعر العربي يقع بعيداً عن المعنى الشامل المتصل بالمجهول ويسقط بشعره على صور فردية ضيقة الحدود . فلا تجد في طبعه قوة الاحاطة والبسطُ والشمول والتدقيق ولا تؤاتيه طبيعته ان يستوعب كل صورة شعرية بخصائصها فاذا هو على الخاطر العارض يأخذ من عنوه ولا يحسن أن يوغل فيه واذا هو على نزوات ضيقة من التفكير لا يطول لها بحثه ولا يتقدم فيها لظنه واذا نفسه تمر على الكون مرًّا سريعاً واذا شعرهُ مقطع قطعاً واذا آلامه وافراحه أوصاف لا شعور وكلمات لا حقائق وظل طامس ملقى على الارض اذا قابلتهُ بتفاصيل الجسم الحي السائر على الأرض[1] » وسر هذا كما يقول برجسون[2] « اتصال نفس العربي ببسطها الظاهر . فهو لا يدرك من مشاعره غير مظهرها الغريب عنهُ ، والذي حدد اللفظ معناه كليةً لانهُ يكاد يكون متشابهاً دائماً ، وظروفه تكاد تكون واحدة عند جميع الناس وهكذا فان الفردية تغيب عن العربي حتى في شخصه[3]

أما النموذج المصري، فالحياة تبدو — كما يقول توفيق الحكيم — [4] عند الفنان المصري « فكرة مجردة » مستقلة عن شكلها ، وهي من هنا تتميز بأنها من أغمض النماذج الفنية التي عرفها تاريخ الفن الانساني . وهي تقاطب النموذج العربي الذي يقف عند حدّ الشكل من حيث تقف عند حدّ القوانين المستمرة التي تسيطر على الاشكال » . من هنا نجد الشاعر المصري يقع على

---

(١) المقتطف م ٨١ ج ٤ (نوفمبر) ١٩٣٢ ص ٣٨٥—٣٩٧ وعلى وجه خاص ص ٣٨٩ ، ويمكنك ان تقابل هذا الكلام بما جاء في كتاب « تحت شمس الفكر » لتوفيق الحكيم ص ٦٤ حيث يقول : « الأدب شعر وشعر عند العرب ، لا يقوم على البناء فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، انما هو وشي مرصع جميل بلك الحس قليلاً، اللفظ والمعنى، و « آرابسك » العبارات والجمل ، كل مقامة للحريري كأنها باب للجامع المؤيد ، تقطيع هندسي بديع وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الانسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب

(٢) هنري برجسون فيلسوف ومذاهبه عند الامم ، باريس ١٩٣٣ ص ٣٣—٣٤

(٣) الفردية التي يتكلم عنها برجسون هنا تعني فردية الاشياء التي تعود لصنف واحد او نوع واحد

(٤) تحت شمس الفكر ، ص ٥٥—٧٦

المعاني المستترة للاشياء ، لكن طبيعته الخفية لا تؤاتيه القدرة على ربط هذه المعاني المستترة بما تتخذ من أشكال لها في العالم الظاهر . ذلك ان الطبيعة المصرية يدور مع الحياة في تبسطها الداخلي ، ومن هنا لا يدرك المصري من مشاعره الا معانيها الخفية ، وهذا الاغراق في معاني الاشياء الخفية وقوانينها المستترة أبعدت بين المصري والحياة في أشكالها الخارجية ، واظهر ما تكون هذه الحقيقة في الفن الفرعوني القديم (١)

أما النموذج اليوناني فتبدو الحياة — كما يقول فردريك نيتشه — (٢) من مزاجه مرتبطة « هندستها المنظورة بقوانينها المستترة » . من هنا نجد الشاعر الاغريقي يصعد الى المعنى المحدود فيعظم حدوده ويصله بتيار المعاني في عالم المشاعر والاحتلامات، وهكذا ينتهي الى العالم المضمر وهو في هذا أشمل نظراً من العربي الذي يقف عند أشكال الاشياء. ومن المصري الذي يقف عند المضمر من الاشياء فالشاعر اليوناني لا يقف عند الظاهر لانهُ ينسحب على الباطن

— ٣ —

الباطن في جانب مصر والظاهر في جانب العرب ، والاثنان يدور حولهما المزاج اليوناني ليخلص بالتناسق الذي يربط هندسة الاشياء المنظورة بقوانينها المستترة. وهذه الامزجة الثلاث نجدها قائمة في عالم الشعر العربي ، وخليل مطران يمثل ثالثها . وبعد ذلك فعندنا المادة والتعبير والجو الشعري في الشعر مما يتأثر بالمزاج الشخصي للشاعر

اما المادة في الشعر فهي الاخيلة والمعاني والتأملات والصور والعواطف والاحساسات والمشاعر ، مما تعمد الشاعرية الى استنزالها من الموضوع عن طريق غشيانها والانسحاب عليها . ومن هنا نجد أن مادة الشعر ملك خاص للشاعر بمنحاه الذي يتصل بوجه استنزالها (٣) . بيان ذلك ان التأملات والمعاني والاخيلة والصور والاحتلاجات التي نجدها في « المقبرة »(٤) التي شيدها من الشعر الخالص شاعر الترك الاعظم عبد الحق حامد ملك شخصي له، لا ينازعه فيها أحد لان مزاجه الشعري وحده هو الذي استنزلها (٥) كذلك مادة القصيدة القصصية « الجنين الشهيد (٦) » لخليل مطران شاعر العربية الابداعي من الاخيلة والتأملات والمعاني الشعرية ملكه الشخصي

(١) فون بيسنج Von Bissing في Denkmaler Agyptien sculptien مجلدين ، م ١ ص ٢٧ وما بعد وخاصة الملخص الاخير (٢) مولد المأساة من روح الموسيقى ، ١٨٨٢ ص ١٣ وما بعده

(٣) Addison في نقده للفردوس المفقود (٤) المقبرة ديوان من الشعر الرثائي تبلغ أبياتها نحو الف ومائتي بيت كتبها عبد الحق حامد أعظم شعراء الترك في رثاء زوجته ، وتعتبر من أروع الشعر الرثائي الذي عرفه تاريخ الامم ، وهذا الديوان لا يخرج عن كونه مقبرة شيدها الشاعر لزوجته المتوفاة ، ولكنها مشيدة من التأملات والاخيلة والخلجات والعواطف الشعرية (٥) أنظر لنا دراسة وتحليل عن عبد الحق حامد الشاعر الاعظم حلب ١٩٣٧ ص ٢٢ — ٢٣ وكذا ص ٣٥ — ٣٩ (٦) أنظر ديوان الخليل ص ١٩٩ وما بعده

لانهُ وحده الذي استنزلها من الموضوع لصحة وجدانه ثم فاض بها شعراً من الوجدان . فاذا كان هذا هو مادة الشعر فالشكل من حيث يتصل بالتعبير كله يقابل المادة من جهة ، ويتصل به عن طريق ابرازه له من جهة اخرى

ومن المهم ان نقول ان مادة الشعر خاضعة لمزاج الشاعر فان من الامزجة ما تعلق بالالوان والاشكال ، ونظراً لكونها تحب الالوان لمجرد الالوان والاشكال لمجرد الاشكال ، فانها تستنزل لصفحة وجدانها أشكال الاشياء وألوانها أطيافاً وظلالاً ونوراً . ومن الامزجة ما تحب ان تنطوي على نفسها وتقف جهدها على التعلق بالخلجات المنزعة من الشعور فلا تعرف غير عوالم النفس والاحساس ولهذا نجد مادة شعرها خلجات مرسلة من الشعور والوجدان . كما أن هنالك من الامزجة ما يعلق بمعاني الاشياء وروحها الداخلية ، فترى الحياة الداخلية للاشياء تضطرب من خلال تعبيراتها في شعرها . وهكذا اختلفت مواد الشعر من شاعر لآخر باختلاف أمزجة الشعراء

ولما كانت مادة الشعر لا يمكن أن توجد منفصلة عن شكل خارجي لانهُ لا يوجد مادة بلا شكل مصور ، فان مادة الشعر حتماً يتبعها تعبيرها الخاص الدال عليها المستنزل من مقدرة الشاعر التعبيرية . الا انهُ من الممكن الى حدٍّ ، النظر في مادة الشعر مجردة عن التعبير الذي تأخذه ذلك من وجهة التجربة الشعرية ، أعني من وجه استنزال الشاعرية مادة الشعر الى صفحة الوجدان من الموضوع الذي تنشاه الشاعرية وتنسحب عليه . فمثلاً موضوع «زهرة الفول» الذي نظم فيه الرافعي قطعة من الشعر ، الاخيلة والصور الشعرية التي استنزلها الى صفحة وجدانه عن طريق تغشيان شاعريته موضوع زهرة الفول يمكن دراستها مجردة الى حدٍّ ما عن الشكل التعبيري الذي اتخذتهُ الاخيلة والصور الشعرية . ومن هنا يمكن النظر في القيمة الشعرية لمادة الشعر (١)

غير اننا في مثل هذه الدراسة يجب ان نكون محتاطين في ملاحظة أثر التعبير في منحى الاخيلة والتأملات الشعرية ، فان القليل من الشعر في آداب الامم ، تتميز مادتهُ عن الشكل او تبقى مادته وشكله متمايزين . والشاعر بعد يحتاج الى الكثير من الفقرات البيانية لاجل ان يحرك نسج قطعته الشعرية ويوطيء بين المعاني والاخيلة والتأملات الشعرية حتى تنتهي الى وحدة متسلسلة الحلقات في القصيد اذاً ففي الشعر الكثير من الفقرات المتميزة بتعبيرها وشكلها ، وهي من هنا ليست من فيض الوجدان . وانما هي أثر من آثار زخرفة الشاعر البيانية . وشكسبير نفسه المعدود من أعظم شعراء الارض قاطبة لم يخل شعره من مثل هذه الفقرات المتميزة بتعبيرها والتي لم تخرج عن كونها زخرفة بيانية (٢) . وبعد ذلك تبقى كلية لا يستهان بها من الفقرات في شعر شكسبير

(١) Coleridge في Lectures on Shakespeare و Hazlitt في Shakespear's Characters
ورضا توفيق في عبد الحق حامد وملاحظات فلسفية ، وسيد قطب في غزل التلاميذ بمجلة الرسالة ، السنة السادسة

(٢) انظر Lamb في Tales from Shakespear طبعة Dent

وهي وحي شاعريته ، والتي جعلت له مقامه في عالم الفن

هذه الفقرات وان تميزت مادتها او تميز تعبيرها ومادتها كل على حدة بخصائص ذاتية ، فان الحيطة توحي الينا بالحذر — ولو مع مثل هذه الحالات — اذا اردنا ان ندرس مادة شعر مجردة عن شكلها التعبيري ، لانهُ لا يمكن القطع بان المادة يمكن ان توجد مجردة عن شكلها

فاذا عدنا الى الشكل في الشعر ، فالواقع انهُ ليس هنالك شكل محض ، ذلك ان الشكل من حيث هو التعبير ، يحتوي ضمناً على ما يعبر عنهُ (٢) . واذاً كل ما يمكن الكلام عنهُ ، انهُ يوجد في الشعر فقرات تميز بتعبيرها أعني شكلها دون مادتها ، او تميز بتعبيرها بجانب تميزها من ناحية المادة . غير انَّ هذا التميز من جهة الشكل لا يخرج عن حد الزخرفة البيانية

من هنا في الامكان دراسة الاسلوب في الشعر من حيث هو مظهر التعبير من ناحية دلالته على ما يعبر عنهُ من جهة . كما انه في الامكان أنْ ندرس الاسلوب لذاته من جهة أخرى . على ان دراسة الاسلوب لذاته لكونها تقوم على أساس تجريد الاسلوب مما يحمله من المعاني والتأملات والاخيلة ، فسوف يكون قصراً على النظر في تلاؤم تعبيرات الكلام وتسق الالفاظ وسهولة العبارات ووضوح التعبير ، الى جانب تميز الاسلوب بالدقة والحركة والوحدة . غير ان مثل هذه الدراسة تظل قاصرة حتى يلاحظ المعنى الذي يحمله الاسلوب ، لان المعنى احياناً يحمل الاسلوب شكلاً خاصًّا يتفق وجوّه الخاص ، وهذا اكثر ما يرى في الشعر . ذلك ان الشاعرية حين تفيض من الوجدان بمعانٍ وتأملات وأخيلة وخلجات ، فان هذه التأملات والصور والمعاني تأخذ قوالبها بما يتفق وجوّ الشاعرية ، وكم من قالب افسد على المعنى جلاله وعلى الجوّ الشعري علويته من حيث تناقره مع المعنى وجوّه الشعري . ومن هنا نرى ان الشعر الصحيح هو ذلك الشعر الذي يتفق قالبه الخارجي مع الجو الذي يحمله المعنى سمةً ، والذي تتماسك فيه المادة مع الشكل

ثالثاً

اذا كان الشعر الصحيح ، هو ذلك الشعر الذي يتفق قالبه أعني شكله مع المعنى من جهة والجو الشعري الذي يحمله المعنى مع القالب من جهة أخرى ، فان في الشعر الصحيح يظهر المعنى مع القالب والقالب مع الجو الشعري في بوتقة واحدة تتماسك فيها اللبنات في بناء واحد ليتمخض عن الشعر . ومن الصعوبة بمكان أن نتكلم في الشعر الصحيح عن معنى مجرد لذاته وعن قالب مجرد لذاته وعن جو شعري مجرد لذاته ، ان كل ما يمكن أن نتكلم عنه كيان حي اتخذت

(٢) Matthew Arnold في Essays طبعة Dent الدراسة الخامسة Bradley في Poetry for Poetry

فيه الشاعرية من القالب شكلاً . لان الشاعرية لما كانت فيضاً من الوجدان مما احتشد في صفحته من الاخيلة والتأملات والمعاني والصور الشعرية التي استنزلها الوجدان في غشيانه الموضوع الذي دارت حوله الشاعرية او انسحبت عليه، فان هذا الحشد يفيض مع الشعور الدافق من الوجدان متخذاً قالبهُ الاسلوبي تامًّا وشكله التعبيري كاملاً مبدعاً جوًّا شعريًّا يتفق مع الجو الذي كان عليه الحشد في الوجدان . غير ان اتخاذ الشعور الدافق من الوجدان القالبَ لا يكون دفعة واحدة ، لان الحشد الذي يفيض معهُ أشبه ما يكون بروح بدائية ، تبحث عن جسمها البدائي لتحل فيه اذا جاز مثل هذا التعبير ، اما عوها حتى قوامها الكامل وهيئتها التامة فذلك يكون عن طريق التداعي عادة حيث يستنزل من صفحة الوجدان ما تبقّى فيها من حشد الاخيلة والتأملات والمعاني الشعرية ، ويتدرج مع القالب حتى يبلغ به الى التمام[1]

من هنا نرى ان الشعر الخالص يبدو لنا ذا تأثير ساحر من حيث انهُ يظهر وكأنهُ فيض الالهام ، والواقع انهُ لا يخرج عن كونه فيضاً للوجدان من حيث المصدر الا ان الصناعة من حيث تتمتهُ — نظراً لانها تابعة وليست أصلاً — تتلاشى في الفيض العام ، ومن هنا يبدو وكأنهُ فيض الالهام . هذا وانت تجد الشاعر الذي يتخذ شكلاً من الاشكال موضوعاً لشعره ويتصوره في ذهنه ويتصرف بما فيه من الزخرف مأخوذاً بهندسته المنظورة ، فتجده يلبس اخيلته التي يستنزلها الى صفحة وجدانه من هذا الموضوع لغة ايقاعية تتراقص فيها الاطياف والالوان والاضواء. من هنا لا يمكن ان نخدع في حقيقة هذا الشعر . غير انهُ كثيراً ما يحتوي على جديد اصيل في شاعريته من حيث ينفذ وجدان الشاعر الى ما وراء الاشكال ويتصل بروحها التي تتظاهر في قوانين مستترة تتحكم في هندسة الأشكال المنظورة

وبعد ما الشعر ؟ وما الشاعر ؟ وما هي القواعد التي نرجع اليها في دراسة الشعر والشعراء؟

أما ان الشعر يمكن تحديده فهذا ما لا نعتقده لانهُ نفحة علوية تسمو عن التحديد . وأما أنهُ يمكن تعريفه فهذا ما لا نراه ، لانهُ أوسع من أن يشمله تعريف. فلنكتف لفهم الشعر بتحليل ماهيته كما فعلنا . ولنقل أنها نفحة علوية وكفى ! . . . أما الشاعر فهو الذي يفيض بالشعر وينظم الشعر ويقول الشعر ، وهكذا نعود للشعر ! والشعر نفحة علوية ! . . .

أما القواعد التي يرجع اليها في دراسة الشعر والشعراء فهي تستمد خطوطها من تحليل الشعر وهي دراسة ذاتية اكثر منها موضوعية ، وفنية اكثر منها علمية

---

(١) Studies in Art & Poetry: The Renaissance ل W. Pater, Poetry for Poetry ل Bradley, و Philosophy of Fine Art ل Hegel G.W.F, م ٣ ص ٢١٧

من شعر المهشري[1]

العودة

الابيات التالية مختارة من قصيدة العودة ، وهي في ستين بيتا يصور فيها الشاعر ريفياً جذبته المدينة وأغرته فلما عاد الى قريته ومغاني صباه وجدها قد سوحت أشجارها ورحل عنها أهلها

رجعت اليك اليوم من بعد غربتي ... وفي النفس آلام تفيض ثوائر
رجعت وعقلي تائه الفكر شارد ... وأبت وقلبي واهن الخفق خائر
فيا ارض احلامي ! أأتى طفولتي ... ويسعدني يوم من العمر آخر ؟
تسفت ليك الليل .. والريح صرصر ... وخضتُ اليك الموج .. والنهر ثائر
أتيت لأنّي في ظلالك راحة ... فيهدأ قلبي وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منماً ... يخدرني نفح من المرج عاطر
ويلحفني هذا البنفسج ... ولكن ... مسارح عيني الربا والخاضر
وآخر ما أصغي اليه من الصدى ... خريرك يغني وهو في الموت سائر

* * *

ولكن بلا جدوى .. أتيت فلم أجد ... سوى قفرة أشباحها تتكاثر
وقد نصبت أيدي الشتاء سياجها ... عليها ! وأسوار الظلام تحاصر
وقد خيم الصمتُ المخوف مع البلى ... عليك ، وأرواح الدجى تتناثر
وقد هاجم الغابُ الكثيف غياضها ... ليغزوها ، والموج يزبد هادر
وهبّ نسيم بارد من كهوفها ... تجاوبهُ في الريح هذا المناور
وقد رفرف الخفاش فيها وحومت ... على الشط غربان الفناء الكواسر
وداوية اليوم من فوق سرحة ... تقضي نوتها من قارس البرد طائر
ترتّل لحن الموت في معبد الدجى ... وتروي أساطيراً رويّها الدياجر
كأنك في سفر الليالي ملاحم ! ... يرتلها في جانب الموت شاعر

. . . . . .

وخاتمتها

لقد خف نَسْم الصبح يهمس ناعياً ... الى السهل ... أن قد فارق الكون شاعر
لذا نَقَسَ النحل الزهور فجللت ... ونابت عن الاجراس هذي الازاهر

(١) هو الشاعر م. ع. المهشري توفي الى رحمة ربه في ١٤ ديسمبر الماضي عن ثلاثين سنة

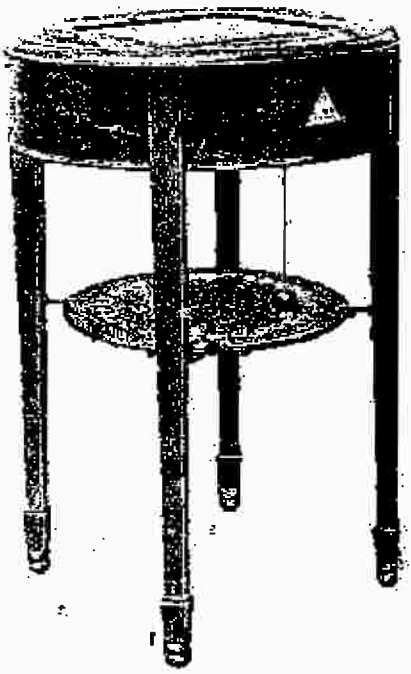

جهاز الكروميوغراف

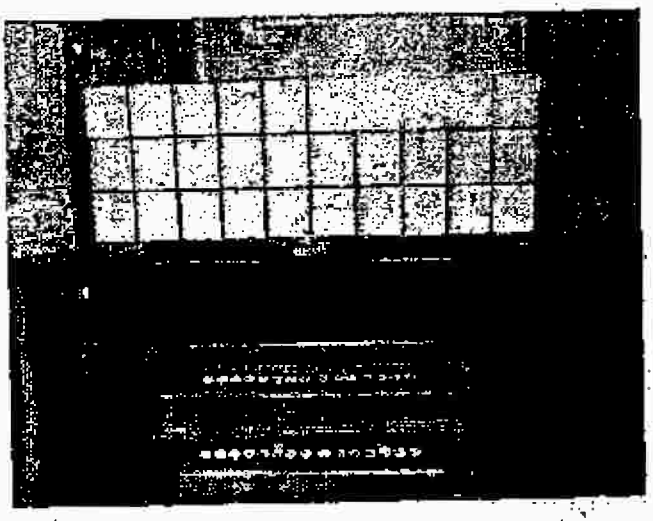

جهاز الرقلكتروغراف

جہاز الٹرون

جہاز الفلوکس

صورتان فوتوغرافيتان مأخوذتان بالاشعة تحت الحراء
ويظهر فيها الوسيط ايفانز وقد طار في الجو وهو في غيبوبة

صورتان للوسيط ايفانز وقد انبثق الاكتوبلازم منه

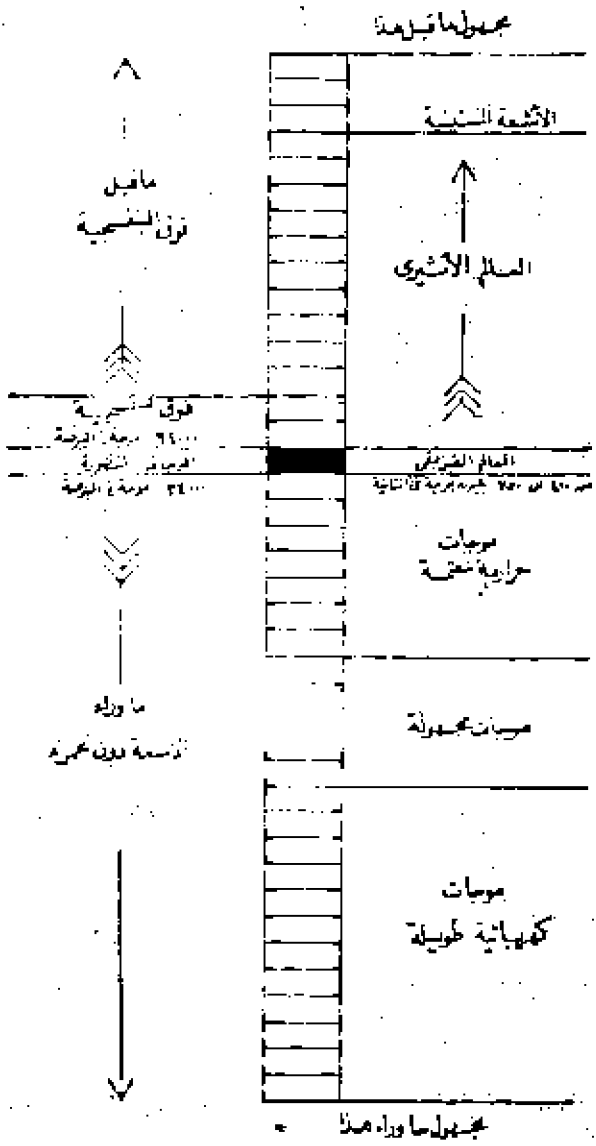
مجهول ما قبل هذا
الأشعة السينية
العالم الأثيري
موجات
حرارية خفية
موجات
كهربائية طويلة
مجهول ما وراء هذا

عالم الروح

والعلم الحديث

للدكتور فريدي ابو الخير

عالم الروح موجود ، لا ينكره الا ملحد او متعنت ، وهو قديم منذ الازل . واتصال عالمنا به قديم ايضاً ، ولكن قدم الانسان . ولقد كان هذا الاتصال سبباً في حدوث مآسي كثيرة استشهد فيها كثيرون . نعم لقد استشهد رسل وانبياء وقديسون وشهداء . وما حرّق من سحرة السحرة والساحرات في القرون الوسطى إلا مثل من امثلة هذه المآسي المفجعة. وما كان هؤلاء جميعهم إلا قوماً كشف الحجاب عن اسماعهم وأبصارهم فسمعوا غير المسموع ورأوا غير المنظور وهم الذين يسميهم العلم الروحي الحديث «وسطاء» . وظل الحجاب بين العالمين منسدلاً ، يتزايد كثافة من حين الى حين . ولم تمكن الكشوف العلمية تقدمت ، بل حتى حين تقدمت الكشوف لم تتجه العلوم صوب هذه الناحية وبحثها إلا في النصف الثاني من القرن الماضي او قبل ذلك بقليل

وكان المعول الاول في نقر هذا الحجاب كشف غاليليو المنظار (التلسكوب) فقد رأى به دنا جديدة لم تكن ظاهرة للعيان ، ووسع به مجال المنظور أمام عين الانسان — ولقد اضطهد الرجل وسجن لانهُ جهر بآرائه ، ومنها ان الكواكب السيارة اكثر من سبعة . وقد عارضهُ معارضوه محتجين بأن في رأس الانسان سبع فتحات ، وبان في الاسبوع سبعة ايام ، وعلى ذلك فلا يوجد الا سبعة كواكب سيارة . بل ذهبوا في التدليل الى اغرب من هذا فقالوا ان تلك الكواكب السيارة التي يقول بها غاليليو لا تراها العين العارية ، فلا تأثير لها إذن في الارض وما دام لا يرجى منها نفع فهي إذن غير موجودة. بل ذهب المتشدون الى اكثر من هذا رافضين أن يروها خلال المنظار . فلما ان وافق احد اولئك المعارضين اخيراً قال غاليليو انهُ لم يشأ ان يرى وهو على هذه الارض تلك الاجرام السماوية الضئيلة فلعله يراها الآن وقد صعد الى السماء»

وتلا كشف المنظار كشف المجهر (الميكروسكوب) وبه اتسع مجال الابصار لدى الانسان فرأى به عالماً آخر من مخلوقات صغيرة لا تراها العين العارية رغم وجودها

---

(١) المقتطف : نشر هذا البحث النفيس على انه بسط لوجهة نظر اصبح لها انصار كثر بقلم علم بمكانة له في علوم الطبيعة وتقديرها مكانة . الا انه لا يعني أكثر من ان المقتطف محايد حيال الرأي الذي ينطوي عليه

ثم جاء نيوتن بعد ذلك وحلل ضوء الشمس الابيض الى الوانه السبعة التي نراها في قوس قزح . وتتالت البحوث في هذا الصدد فكشفوا اشعاعات اخرى غير منظورة فوق احد اللونين المتطرفين وهو اللون البنفسجي ، وتحت اللون الآخر وهو الاحمر ، واطلقوا عليها الاشعاعات فوق البنفسجية وتحت الحمراء . ولم تقف كشوف الاشعاع عند هذا الحد ، فكشفوا في المنطقة التي تعلو فوق البنفسجية الاشعاع السيني (اشعة اكس) ، وفي المنطقة التي تسبق في سلم الاشعاعات الاشعة الحرارية المشعة ، والاشعة اللاسلكية

وكان العلماء من جهة اخرى يبحثون في المادة ، فكشفوا العناصر الاثنين والتسعين بعد ان كانت العناصر في رأيهم اربعة : الهواء والماء والنار والتراب . ثم وصلوا في تقسيم المادة الى اصغر اجزائها مما سموه ذرة وجزيئاً

وعندئذ اتجهت عقول العلماء الى الذرة . والذرة التي كانت اذ ذاك لا يمكن أن تجزى ولا تحطم فاستعانوا بالاشعاعات الكهربائية ذات الضغط المرتفع جداً وسلطوها على الذرة فتحطمت الى مكوناتها ، وانتهوا الى أن الذرة متألفة من كهارب ، فموجب منها هي البروتونات (جمع بروتون) وهي كائنة في نواة الذرة وتعين وزنها ، وسالب منها هي الالكترونات (جمع لكترون) وهذه تدور حول النواة في افلاك بسرعة هائلة ، وهي التي تسبب اللون وتعين النوع . وانتهى الامر عند بعضهم الى أن الذرة نموذج مصغر للمجموعة الشمسية

على أن بحوث العلماء لم تقف عند هذا الحد فراحوا يبحثون في حقيقة هذه الكهارب ، وأدى بحثهم الى كشف جسيمات أخرى لا داعي لذكرها ، ثم انتقلوا الى أن هذه الكهارب عقد في الاثير ، وهو ذلك الحضم الذي يشغل الكون كله ، والذي لولاه ما رأينا ضوء الشمس ولا أحسسنا بحرارتها ، بل لولاه ما وجدت حياة في أي ركن من اركان الكون — لا مادية ولا روحية

وزاد واضعو العلم الروحي الحديث على ذلك ، أن الاثير في اهتزازاته المختلفة يعطينا اشعاعات مختلفة ويعطينا مواد مختلفة . وأنه مادة لا تستجيب مشاعرنا لاهتزازها فلا ندركها . وان المادة التي تدركها حواسنا المحدودة المدى ما هي إلا أثير في حالة اهتزاز خاصة . فالمادة بجميع انواعها وصيغها ، حية كانت أو غير حية ، ترجع الى أصل واحد وهو الاثير . واذا كان اصلها واحداً فهي اذن قابلة للتحول . ولقد استطاع العلماء أخيراً أن يحولوا بعض العناصر الى غيرها والى أن يستحدثوا عناصر مشعة جديدة . فلقد استطاعوا تحويل الازوت الى اكسيجين ، وكلاً من البورون والبريليوم الى هليوم ، ولقد استحدثوا من الالومنيوم عنصراً مشعاً هو نظير للفصفور ومن المغنسيوم عنصراً مشعاً آخر هو نظير للسلكون ، واستطاعوا ان يستحدثوا أيضاً العنصر الذي ترتيبه الثالث والتسعون في الجدول الدوري ، فاذا به نظير للارانيوم أثقل العناصر جميعها

وكل هذا بأجهزة كهربائية تحدث ضغوطاً كهربائية تزيد على خمسة ملايين فولط في بعض الحالات ونجد كل هذا مشروحاً مع الاجهزة في مؤلفات الدكتور أندريد استاذ الفيزيقا في جامعة لندن حالاً ، فاذا لم تكن المادة ترجع في جملتها الى اصل واحد أكان يمكن تحول بعض العناصر الى عناصر أخرى ؟

وانظانا خدعتنا ظواهر عالمنا المادي فأخفت عنا حقيقتها . وخير مثل قريب أقدمه هو شمسنا. أليست هي المتحركة ظاهرياً ؟ ألم يخدعنا هذا المظهر فظن آباؤنا ان الشمس تدور حول الارض على حين ان الارض هي التي تدور حول الشمس ؟ هذا مثل من جملة أمثلة من مثل الخداع . والمادة مثل آخر . فتلك التي تبدو لنا جامدة صلبة ليست في الواقع شيئاً من هذا القبيل فلا هي جامدة ولا صلبة ، بل هي كما سرى بنا ، وكما يقول العلم الحديث بسرة كل البعد أليست هي كهارب كلها كما قلنا ؟ فحشب المنضدة ، وجدران هذا المكان ، وجسومنا كلها بخلاياها الحية — كل هذا كهربائية ، او بعبارة أدق اثير في حالة اهتزاز خاصة تدركها المشاعر . ولو كانت اعضاء الحس عند الانسان من رتبة اعلى درجة اهتزاز ، من رتبتها الحالية لاستحالت لنا لا تدرك حواسه الحالية ، ولتكشف أمامها عالم غير منظور فيه الحياة وفيه الجمال وفيه الكمال

فلنفكر اذن بدلالة الاهتزازات ، ولندرب عقولنا على فهم هذه الاهتزازات ، فاذا تم هذا استقام كل شيء وفهمنا عالم الروح ، وعينا موقعه في خريطة الكون . وكما أنه توجد أصوات لا تراها العين اذا امكنت من أمثال الضوء فوق البنفسجي والاشعة السينية ، والاشعة الحرارية واللاسلكية ، كذلك توجد أصوات لا تدركها الاذن لارتفاع درجتها . وقد استطاع الاستاذ رود Wood الاميركي استحداث موجات صوتية صامتة ، وهي موجات قصيرة جداً لا تستطيع الاذن ادراكها لقوة التضاغط والتخلخل بحيث اذا أطلقت في الماء رفعت درجة حرارته وقتلت صدمتها الاسماك الصغيرة . ولا يمكن الاذن ان تدركها إلا اذا تصاعدت موجتان منها تختلفتا الدرجة

والروح من هذا الطراز . هي مادة اثيرية مرتفعة درجة الاهتزاز ، فلا تراها ولا تسمعها ولا نحس بها إلا بتوافر شروط خاصة . هي كالموجة اللاسلكية ، لا تتعرف بمادية الجسوم الصلبة تنفذ منها وتتحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء او اللاسلكي بمراحل ، تتهتك أمامها حجب الزمان والمكان وتعيش في رحاب الخالق جل شأنه خالدة بما اراد الله لها الخلود

فعالم الروح اذن يحيط بنا ، ويتخلل عالمنا ، يرانا سكانه متى ارادوا ، ويحاورون مخاطبتنا وكثيراً ما يهزون الواحد منا من كتفه أو من يده ولكننا لا نحس بهم ، وهل نحس بموجة الراديو وهي تخترق جسومنا ؟ هل نحس بالاشعاعات الاخرى التي تغمرنا من جميع الجهات ليلاً ونهاراً ؟ على أن الذين رزقوا منا الشفافية الروحية ، اولئك الذين عيونهم وآذانهم ومشاعرهم أعلى درجة اهتزاز من عيوننا وآذاننا ومشاعرنا العادية اولئك الذين رزقوا الجلاء في العين وفي الاذن وفي المشاعر

يحسون بهم ويخاطبونهم واولاء هم الوسطاء الذين لولاهم لظللنا نجهل هذا العالم مادمنا في عالمنا المادي ، وسيظل الكثيرون منا بمعزل عن هذا العالم الى ان يدركهم ذلك التغير المسمى الموت وما هو في الواقع الاّ ولادة لحياة أخرى أرق وأرق كما سيجيء . وما لم يبحث في الروح بدلالة الاهتزازات فاننا لا نستطيع فهمها ، ولا فهم طبيعة العالم الذي تعيش فيه

قال السر اوليفر لودج . موريس البوت في كتابه « حياة المسيح الروحية » بصدد الاهتزازات ما يأتي :—

« كل شيء في الكون يهتز ، وكل شيء له طول موجي خاص به . كل شيء في الدنا المنظورة والدنا غير المنظورة يهتز . وعلى مقتضى السرعة التي يهتز بها الشيء يكون هذا الشيء مرئيًّا أو غير مرئي ، جامداً او ليناً ، صلباً أو سائلاً أو غازاً

« أنا نجعل قطعة الثلج تذوب — أو تضمحل — وذلك فقط باحاطتها بما يزيد في سرعة اهتزازها . وحينما يستحيل الثلج ماء أو بخاراً أو ضباباً أو غازاً فنحن لا نقول : انظروا ! تلك معجزة ! لاننا نعلم ان ذلك راجع الى قانون يسري ويعمل

« وليسمح لي قرائي ، وقد تناولت موضوع الاهتزاز هذا ، أن أذكرهم بأن الكهربائية اهتزاز وان للالوان والروائح ايضاً اهتزازاتها

« والموسيقى اهتزاز . والمرض (انعدام الراحة) معناه ان اهتزازات الجسم ليست متآلفة ولا متناسقة . وما المرض العقلي الاّ اختلال اهتزازات العقل واضطرابها . وها نحن نزداد ، يوماً بعد يوم ، علماً بالاثر البريء الشافي لكل من اللون والعطر والموسيقى في الاجسام والعقول المريضة . ان الاهتزاز هو سر الظواهر الروحية جميعها »

﴿ كيف نتصل بعالم الروح ﴾ ليس لهذا الاتصال الاّ طريق من ثلاث : الاول ان ننتقل الى عالم الروح ، وهذا ما لا يرغب فيه أحد منا ، اذ ان معناه انقطاع هذه الحياة المادية فنحن على الرغم من ايماننا بأن الحياة الاخرى خيرٌ وأبقى من هذه الحياة الدنيا الاّ أننا نفزع من الموت ونرجه . فهذا الاتصال الكلي بعالم الروح مكروه منا جميعاً ، او هو على الاقل غير مرغوب فيه . والثاني ان نرفع من درجة اهتزازاتنا لكي تنسجم مع اهتزازات العالم الروحي ، وهذا غير ميسور — وسنعلم فيما بعد ان الذين ارتقوا الى المستويات العليا يستطيعون الانخفاض الى المستويات الدنيا . أما العكس فغير ممكن . والثالث ان يخفض سكان العالم الروحي درجة اهتزازاتهم بحيث تصبح في مستوى درجة اهتزازات عالمنا فنراهم ونسمع اصواتهم . وفي جهاز الراديو والتلفزة ما يقرّب هذه العملية الى الذهن . فالمستقبل يجب ان يكون متوافقاً مع المرسل والاّ عجز المستقبل عن التقاط الرسالة . وفي الموسيقى أيضاً ما يقرّب ذلك الى الذهن . فلو أنك شددت على الكمان وتراً يعطي نغمةً تتحد في الدرجة مع أحد أوتار البيانو مثلاً ، ثم أمسكت

بالكمان ودق أحد صحبك على وتر البيانو اهتزّ وتر الكمان واهتزت الكمان كلها واعطتك صوتاً يستجيب لصوت البيانو . فكيف اذن يخفض سكان العالم الروحي درجة اهتزازهم ؟ انهم من مادة أرق من مادة جسومنا وأعلى درجة اهتزاز منها . واذن لا بد من مادة تساعد على تكثيف مادتهم ، او بعبارة أصح على جعلها تتماسك من حدة اهتزازها فتتباطأ حتى تصير في منسوب درجة اهتزاز عالمنا ، ومن ثمّ تستجيب لها مشاعرنا اي نراها ونسمعها ونحس بها

وهذه المادة هي الاكتوبلازم الذي يعرفهُ الفسيولوجيون من تكوين الخلية ، وهي الجزء الخارجي من البروتوبلازم . فهذا الاكتوبلازم هو العامل المساعد على التواصل لأنهُ يمتد الى حدّ ما أعضاء الجسم الروحي او الاثيري ، وذلك بتخفيضه اهتزازات هذه الاعضاء فتستجيب لها مشاعرنا . ويستمر الروح الراغب في التواصل هذا الاكتوبلازم من الجالسين جميعهم ، فاذا ما انتهت الجلسة رد الاكتوبلازم الى الجالسين . وعند الكلام على حجرة التحضير الحديثة سنعلم ان اوزان الجالسين تنقص عند حدوث التواصل ، ثم تعود في نهاية الجلسة كما كانت والتجارب في هذا الصدد كمية أيضاً لا وصفية فقط

والوسيط شخص كثرت في جسمه مادة الاكتوبلازم تلك . وقد يسأل سائل ولماذا يمتاز الوسيط بهذه الميزة ؟ وجوابنا على ذلك ولماذا يكون شخص أحد بصراً او أرهف سمعاً من غيره بل لماذا يولد بعض الناس ولهم في اليد ست أصابع لا خمس ؟ بل لماذا يتفاوت الناس في قوة الجسم والعقل ، وفي الفهم والحزم والعزم ؟ بل لماذا يتفاوت الاشقاء في كثير ؟

لقد دلت الصور الفوتوغرافية على امتلاك هذه المادة بوفرة في جسم الوسيط ، ووجد بالتجربة أنها في جسمه اكثر منها في جسم غيره . ولذلك فالظواهر الروحية تكون في وجوده أشد وضوحاً منها في غيابه . ويتم الاتصال بعدة طرق : المائدة — الاجهزة الكهربائية — الصوت المباشر — التجسد . فأما المائدة فعلى ثلاثة أوجه : الاول المائدة وحدها — الثاني المائدة والكوب — الثالث المائدة وجهاز البسايكوجراف

وفي كل من هذه الحالات يجلس الحضور ليلاً ذكوراً واناثاً على التناوب وقد وضعوا أكفهم مبسوطة فوق المائدة ، ثم يضاء ضوء احمر خفيف ، ويدار فونوغراف ينصت الحضور الى موسيقاه انصاتاً تامًّا . فاذا تحركت المائدة الى أعلى او اهتزت من تلقاء نفسها كان ذلك بمثابة اعلان بأن روحاً قد حضر . وليقم أحد الجالسين نفسهُ رئيساً للدائرة وناطقاً عنهم في الكلام مبدياً الى الروح غير المنظور الرغبة في الاتفاق على قانون للتخاطب ، كأن تهتز المائدة او يحدث فوقها نقر مسموع عند النطق بكل حرف من الحروف الهجائية التي منها تتألف الكلمة التي يريد الروح تهجئتها ... وهكذا . وهذه الطريقة مضجرة متعبة قد ينجم عنها خطأ في التواصل

اما في حالة المائدة والكوب فان التواصل يكون أيسر وأسهل . وفي هذه الحالة يؤتى بالمائدة وتكتب الحروف الابجدية على شكل دائرة ، وكذلك تكتب الارقام ، ويكتب التفضل « نعم » - « ولا » فبعد انتهاء الموسيقى كما مر بنا قد يهتز الكوب الذي يكون موضوعاً في مركز الدائرة فاذا اهتز يضع شخصان او ثلاثة السبابة على حافة الكوب بحيث يكاد يلمس الكوب ، وبلاحظ ألاّ يكون ضغط او اندفاع بالاصابع لحركة ارادية . ويحسن عصب أعين واضعي الاصابع لكي تكون الحركة بريئة بعيدة عن الشبهات العلمية . عندئذٍ يسأل الروح من هو . فيتحرك الكوب نحو الحروف التي يتكوّن منها اسم الروح ، فاذا كان الاسم « علي » مثلاً ذهب الكوب الى الحرف ع اولاً ثم عاد الى مركز الدائرة ، ثم الى الحرف ل ثم الى الحرف ي وهكذا . ثم يلقى السؤال ويتلقى الجواب على هذا النمط . وفي الوقت نفسه يدون بعض الحاضرين على الورق الحروف المختلفة فتتكوّن كلمات تكون جملاً مفهومة . ويستمر الحديث

وهذه الطريقة أيسر من سابقتها وأكثر استعمالاً

اما المائدة وجهاز البسايكوجراف او البلانشتا الى آخر ما هنالك ، فالغرض من هذه الاجهزة التي توضع فوق المائدة تسهيل الحركة على الروح . الحروف موجودة كما مضى ، والاجهزة في مجموعها تحتوي على مؤشر يتحرك على هذه الحروف ، والمؤشر اما ان يكون فوق كرات في اغلفة لتسهيل الحركة ، او فوق عجلات . وكلما كانت المائدة ملساء كانت الظواهر اتم

وفي هذه الاحوال كلها لا يحتاج الى وسيط قوي

وأما الاجهزة الكهربائية فنوعان : نوع يحتاج الى وسيط قوي ونوع لا يحتاج الى وسيط

وجهاز الرفلكتوجراف من النوع الاول ، وهو شبيه شيء بالآلة الكاتبة وانما المفاتيح متصلة بمصابيح تضاء اذا تحركت هذه المفاتيح كما تضاء المصابيح الكهربائية العادية . وكل مصباح مسلط على حرف من الحروف الابجدية ، فاذا اضيء المصباح ظهر الحرف واضحاً فوق لوحة معدة لذلك

ولاستعمال هذا الجهاز يجلس الوسيط فوق كرسي بعيداً عن هذا الجهاز ، ثم يشد وثاقه شداً محكماً ، فعند انتهاء الموسيقى يقع الوسيط في غيبوبة ، ويحسن أن يبدأ بالتجربة في الظلام ثم يضاء بعد ضوء أحمر خفيف . وبعد وقوع الوسيط في الغيبوبة يرى الحاضرون الاكتوبلازم وقد انبثق من جسم الوسيط ثم امتد حتى جاور الرفلكتوجراف . ويتكاثف حتى يكون على شكل قضيب مضيء . وسرعان ما يصبح هذا القضيب يد انسان كاملة يستطيع الحاضرون امساكها والتسليم عليها . فهي يد الروح الذي يريد الكلام وقد تجسدت إذ وضعت في غلاف أو قفاز من الاكتوبلازم واحياناً تتجسد اليدان والوجه والجسم فاذا بالروح بشر سوي . ويكون جهاز الرفلكتوجراف قد وصل بالتيار الكهربائي ، أي وصل باسلاك التيار الموجودة في المنزل .

وبعدئذ يبدأ الروح حديثه فيحرك المفاتيح ، وتظهر الحروف وعلامات الترقيم فوق اللوحة . وعند البدء في الحديث يحرك الروح مفتاحاً فيدق جرس ينبه الحضور الى أن الحديث قد بدأ ، وعند الانتهاء يدق الروح هذا الجرس الكهربائي معلناً نهاية الحديث

ومن النوع الثاني الذي لا يحتاج الى وسيط جهاز الكوميوجراف ، وهو مائدة من سطحين علوي وسفلي . العلوي لوحة شفافة ، والسفلي سطح به جملة ثقوب مستديرة موزعة على محيطه . وبين السطحين قرب ميزان يتدلى من أحد طرفيه خيط يحمل كرة ، والميزان دقيق جداً وسهل الحركة جداً ، فاذا مال هذا الطرف سقطت الكرة في احد الثقوب ، فاحدثت تماساً كهربائياً يكفي لاضاءة مصباح كهربائي مسلط على حرف من الحروف الابجدية ، فتظهر لهذا الحرف صورة فوق اللوحة . وكما هو الحال في الرفلكتوجراف توجد علامات الترقيم وجرس التنبيه

وبهذا الجهاز الاخير كتب روح سير فنست كيلارد الكتاب المسمى « رأي جديد عن الحب » وكان سير فنست هذا مهندساً كبيراً من رجال الاعمال في انكلترا

والغريب أن تصميم هذا الجهاز جاء من عالم الروح . أملاه بالصوت المباشر روح ذلك المخترع الانكليزي الشهير المسمى جبسون Tobson ثم أشرف من عالم الروح على بنائه . وذلك لكي يقطع على المعترضين العلميين كل سبيل للشك ، نافياً كل ما يمكن ان يقام من الشبهات

واما الصوت المباشر فهو من أحسن صيغ التواصل وأنقاها للشبهات . فالروح بعد وقوع الوسيط في الغيبوبة تصوغ من الاكتوبلازم قناعاً يخفض من اهتزازات أعضاء الصوت عندها حتى تستطيع هز جوناً واحداث الصوت فيه . فتسمع الصوت . وقد سهل المخترعون الروحيون هذا السبيل باختراعهم البوق المقعر لكي يزيد في الظلام وهو يسبح في جو الحجرة ، ثم جهاز التلفوكس الذي يجمع الموجات الصوتية ويعكسها الى بؤرة . وهو يفوق البوق بمراحل

وأما التجسد الكامل فهو بلا نزاع أبلغ صيغ التواصل كلها . فالروح يستطيع أن يتجسد كله ، ثم يجلس اليك وتجلس اليه ، ويحدثك وتحدثه كأنما هو بشر سوي ، بل يقبل محيك ويشرب الشاي أو القهوة التي تقدمها اليه . فاذا ما ضعفت القوة تلاشى جسمه شيئاً فشيئاً حتى يختفي . ويختفي معه ما أكل وما شرب . ولا يحدث هذا الا اذا كان الوسيط — ذكراً كان أم انثى — قوي القدرة الروحية وبهذه المناسبة نقول ان الروح الحارس للوسيطة الشهيرة استل روبرتس ، وهو المسمى نفسه Red Cloud أي السحاب الاحمر ، قد تجسد في جلسة عقدت في أوائل نوفمبر ١٩٣٨ أمام خمسة وستين شخصاً بعد ان ألقى بالصوت المباشر حديثاً طويلاً نشرته له مجلة بسايكك نيوز في العدد رقم ٣٣٧ الصادر في يوم ٥ نوفمبر الماضي . وقد أعلن هذا الروح انهُ سيتجسد عند بدء كل حديث بالصوت المباشر

لعبد الرحمن شكري

السكوت بعد النغم

أفهمَ الشجوُ مقولَ النغمِ العذ ... بِ فأمسى هذا السكون المهيبا
مثلما تفهمُ الشجونُ خطيباً ... صار في صمتهِ تؤولاً خطيبا
كسكوتِ الشاقِ في نشوة الحـــب تناجي فيهِ القلوبُ القلوبا
او سكوت الهيف فوجيءَ بالشـــعرى ويخشى من حسنها ان تخيبا
او سكوت الشباب في حُلُمِ الآ ... مال من قبل ان تعافَ المشيبا
او سكوت الخشوع في صلوات الـــقلب صار البعيد منهُ قريبا
او سكوت الأُمِّ الرؤومِ حنانا ... وابنها نائم حَمَتْهُ الخطوبا
حلمت حلمها بما سوف يمحى ... في ساعيهِ حيثُ وذهبوا
من ثمار الحياة تختار أحلا ... ها له نعمة وصعـــدا وطيبا

* * *

نغمةٌ خلّفت بواطن لحن ... دق عن أن يصيب سمعا طروبا
وكأنْ لم تزل يسمع سحـــ ... ـر من اللحن آملٍ أنْ تؤوبا
فهو يُصغي لعودة الصوت منها ... وهي في نفسهِ تدبُّ دبيبا
سَحَرَ القلبَ شدوُها ام سكون ... خلّفتهُ فكان سحراً عجيبا
عجباً بسحر السكوت ام اللحـــن وايٌّ الحالين يسبي القلوبا
وكأنّ المسحور من اثر اللحـــن يناجي في ذا السكون الغيوبا
وكأنّ الاصداء من بَعدها في الـــنفس تشدو وتستثير الوجيبا
هامسات في النفس همس سرٍّ ... باثٍّ بالهوى ويخشى الرقيبا
في سكون كأنما هدأ الكو ... نُ خشوعاً لها وسحراً عجيبا
هدأةَ الكون في المساء وقد يخـــشع راءٍ والشمس تُحدي غروبا
فكأن الحياة عادت سكوناً ... كسكون الردى رهيباً مهيبا
تحسب الدهر ساعةً دقّها قـــد ... منع الصمتُ صوتَه ان يجوبا
ساعةً توهم الورى ان هذا الـــسكونَ قلبٌ ما إن يحسُّ وجيبا
تحسب الدهرَ مسقطَ الماء غال الـــسماء فيهِ جمودُهُ أن يصوبا
فدويٌّ بالذكر في النفس منهُ ... وسكوتٌ في الاذن يسبي القلوبا

من ايام اسماعيل العظيم

ضباط اميركيون
في الجيش المصري

للبوزباشي عبد الرحمن زكي

كتب القاضي الاميركي بيير كرابيتس أثناء الاعوام الاخيرة سلسلة من المؤلفات التي تبحث في التاريخ المصري خلال القرن الماضي ، نذكر من بينها « البطل ابراهيم » و « جوردون والسودان والرقيق » و « الخديو اسماعيل المفترى عليه » و « استرداد السودان »

وأخيراً أخرج كتاباً عنوانه «ضباط أميركيون في الجيش المصري»[1] يروي فيه قصة ضباط البعثة العسكرية الاميركية التي استدعاها المغفور لهُ الخديو اسماعيل عام ١٨٦٩ لتنظيم الجيش المصري ولتدريب هيئة اركان حربه بوجهٍ خاص[2]

واليوم الذي نشرقبه القاضي كرابيتس كتابه الذي نحن بصدده ، كانت معلوماتنا عن أعمال البعثة العسكرية المذكورة مبعثرة بين أوراق المحفوظات الرسمية ومجلدات نشرة الجمعية الجغرافية الملكية وأعداد جريدة اركان حرب الجيش المصري التي كانت تصدر في عصر المغفور لهُ الخديو اسماعيل ، او في المؤلفات التي كتبها بعض أفراد البعثة المذكورة كالضابط داي (Dye) [3] وزميله لورنج[4]

ومنذ أعوام نشط القاضي كرابيتس للبحث في المحفوظات التاريخية بقصر عابدين ومحفوظات وزارة الحربية والمفوضية الاميركية بمصر ، فكشف لنا الستار عما كان لا يزال مجهولاً من أعمال البعثة الاميركية . ونظم أخبارها . وسرد ما خفي من أعمالها الفنية التي امتدت من البحر

(١) Pierre Crabites — Americans in the Egyptian Army. George Routledge London وعدد صفحاته ٢٧٧

(٢) راجع أعداد نشرة يوليو ١٩٣٧ مقال « صفحة من تاريخ الجيش المصري » . وعدد ابريل ومايو ١٩٣٨ مقال « الجيش المصري والاستكشاف في افريقية » . للملازم الاول عبد الرحمن زكي

(٣) Col. William Mee Dye - Moslem Egypt and Christian Egypt

(٤) Gen. Loring—A Confederate Soldier in Egypt

المتوسط الى منابع النيل. وليس هناك أدنى شك في ان القاضي كرابيتس قد ألف كتابه وهو مغتبط بما كتبهُ عن مواطنيه الاميركيين على انهُ لم يسترد بايضاح ذلك الاثر العظيم الذي اشترك فيه هؤلاء مع زملائهم من الضباط المصريين، وقد تكاتفوا جميعاً على العمل الرائع كما سنرى

كنا نعلم الى عهد قريب ان أول ضابط أميركي طلب اليه الخدمة في الجيش المصري أثناء حكم اسماعيل العظيم هو الماجور جنرال موط Thaddeus P. Mott، الى ان قرأنا في صدر الفصل الثاني من كتاب القاضي كرابيتس أن منصب قيادة الجيش المصري عرض في بادىء الامر على الجنرال الاميركي جوستاف بورجارد Gustave Beauregard وقد عثر القاضي في أوراق المحفوظات التاريخية الملكية على خطاب كتبهُ الجنرال المذكور بالفرنسية الى موظف مصري كبير أوضح فيه رغبته في الحضور الى مصر لكي يشغل المنصب الذي عرض عليه. وقد بين استعداده ليجعل الجيش المصري قوة دفاعية يتحدى بها اي جيش اوربي لدولة ثانوية (الدرجة الثانية) وان يجعل موانىء القطر المصري في حالة منيعة لتقاوم بنجاح تام كل الهجمات التي تقوم بها ضدها اقوى الاساطيل العالمية [1]

لكننا لا نعلم ما تمَّ عليه الامر مع هذا القائد. لاننا نقرأ فيما بعد عن وصول الماجور جنرال موط الى القاهرة وصدور مرسوم بالانعام عليه برتبة الفريق في ٢٤ سبتمبر ١٨٦٩ وبمنحه مرتب مبلغهُ مائة جنيه في الشهر. ولم يلبث الجنرال موط طويلاً حتى غادر مصر الى الولايات المتحدة للبحث عن نخبة من الضباط الاميركيين يضطلعون معهُ بالمهمة التي كلف القيام بها. ومن حسن الحظ ان كانت الحرب الاهلية الاميركية قد انتهت فسهلت المهمة أمامهُ. واختار من أراد من الضباط، ومن رشحهم الحكومة الاميركية

وقبل قدوم هؤلاء الضباط الى مصر وقعوا عقوداً مع الحكومة المصرية التي كان يمثلها «موط». وجاء في الشروط ان يشهروا الحرب على عدو الفريق الاول (مصر)، كائناً من كان وان يواصلوا تلك الحرب بكل شدة، على ان يعفوا من حمل السلاح في وجه الولايات المتحدة

كان في مقدمة الذين رشحهم الجنرال شيرمان Sherman القائد المشهور الاميركي، ضابط ممتاز هو البريجادير جنرال ستون Charles Pomery Stone. ومن زملائه في الجنرالية ثلاثة ضباط كبار وهم: البريجادير جنرال ويليام لورنج William Loring من فلوريدا — والبريجادير جنرال سيبلي Henry Sibley — والبريجادير جنرال كارول تفيس Carrol Tevis

---

(١) المحفوظات التاريخية الملكية بمصر عابدين وقد ورد في هذا التقرير ما يلي:

"comme officier de Génie je pourrais mettre tous les forts de Son Altesse en condition de combattre avec succès les attaques des flottes les plus puissantes du monde etc...„

ولنقف هنا لحظة لكي نعرف كيف انتهى الامر بالجنرال موط . فقد كان أقدم الضباط الاميركيين في خدمة الحكومة المصرية . لكنه كان يتحاشى الاندماج مع زملائه لانه لم يكن من هيئة اركان الحرب . فضلاً عن انه لم يكن « ضابط ميدان » . وقد اطلع القاضي كرابيتس على عدة خطابات كتبها موط الى بعض اصدقائه يشتم منها عدم توفيقه مع زملائه . فضلّل اخيراً الاستقالة بعد وصول افراد البعثة بأشهر قلائل . وقد أهدى اليه الخديو اسماعيل قطعتين نفيستين من الماس . أهداها الجنرال فيما بعد الى شقيقته « المس إيزاك بل »

وكان عدد الضباط الذين برتبة كولونيل عشرين وهم :

شايبه لونج — ووليام مالك داي — وسمارو بوردي — وهـ. براوت — وهـ . ريد — وروبرت روجرز — وفندربلت آلين — والمهندس العسكري كولستون — ودريك — وشارلز فيلد — وا. جنيفر — ويفرلي كينون — وصموئيل لوكيت — والكسندر ماسون الكسندر — ورينلدز وريت — وجون سافدج — وهـ . وارد — والكولونيل ماكيفور

وكان عدد الضباط من رتبة الليفتنت كولونيل ثلاثة وهم : جيمس باسيل — وجريفز — ودنلوب

وكان الماجورات كامبل وهنت وهول وهوايت وجيمس مورجان ودنيسون وشارلز لوش وروبرت شوتر لامسون والماجور باركيز . وكان بين افراد البعثة أربعة ضباط برتبة كابتن وهم : ايرجين ، وامكس بورتر ، وفريمان ، وكوبنجر

وهناك أيضا ثلاثة من الجراحين : جولسون وويلسون وواترين . كما ألحق المهندس ليفز ميتشيل للعمل في الابحاث العلمية الخاصة بهيئة اركان الحرب برتبة معادل ليفتنت كولونيل . وانتخب ايضاً بعض المرظفين للقيام بالاعمال العلمية والفنية . وهؤلاء هم برنارد (السكرتير الخاص للجنرال ستون) وميدلتون وكيلي . وقد بلغ عدد أفراد البعثة الاميركية ثمانية وأربعين أوصى باتخاب عشرين منهم الجنرال موط

وفي الفصل الرابع سرد القاضي كرابيتس الظروف التي وصلت فيها النخبة الأولى من رجال البعثة . فقد وصل هؤلاء في خامس ابريل عام ١٨٧٠ على السفينة التي أقلت اللورد نابيير الى الهند لتسلم قيادة الجيوش البريطانية فيها

وكان الجنرال موط في انتظار مواطنيه الجدد على الميناء . ثم صحبهم الى «اوتيل دوريان» Hotel d'Orient حيث اقاموا فيها . وفي اليوم التالي قدّمهم الى شاهين باشا ناظر الحربية فدعاهم الى مرافقته في عربته الخصوصة الى القاهرة . فلما وصلوا الى العاصمة وقضت بضعة أيام استقبلهم الخديو اسماعيل في ١٥ ابريل ١٨٧٠ . وقد قدمهم الى سموه ذو الفقار باشا كبير الأمناء وكان يحمل صدره بمجموعة نفيسة من النياشين والميداليات [1]

(١) والد صاحب المعالي سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء الحالي لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

وقد وصف المؤلف كيف أدخلوا قاعة الاستقبالات العظيمة وكيف قابلهم عاهل مصر اذ ذاك فحيّاهم تحية طيبة بدون ان يتكلم . وجبوا التحية العسكرية ثم امرهم باجلوس على يمينه وظلّ الصمت سائداً لحظة الى ان نظر الخديو نحوهم ثم تكلم باللغة الفرنسية قائلاً : —

"اني وبلادي ارحب بكم أيها السادة . وأود ان اعبر لكم عن اغتباطي لإجابتكم السريعة لدعوتي . وقد استطيع ان اقول لكم وبثقة كاملة انه من المنتظر ان تدعوا للخدمة في الميدان بأسرع مايمكن . وان تجاربكم في الحرب الاميركية الاخيرة ، وعدم وجود مصالح خاصة لدولتكم في مصر هما اللذان اوحيا اليّ ان استدعيكم لتلك الخدمة . وسيحسدكم بعض الضباط المصريين على الحالة التي ستجدون انفسكم فيها . لذلك اسألكم ان تتحملوا هذه المظاهر بالصبر والتسامح . فاذا وصل الأمر ولم تتحملوا فلا تترددوا في الحضور الي لاخباركم . واني اعتمد على حبكم واخلاصكم ورعايتكم لشروط الكتمان لتعيني على تحقيق استقلال مصر . ومتى تم ذلك وسيتم باذن الله فسأكافئكم اعظم مكافأة"(٢)

لكنهم لم يستلموا سيوفهم لمحاربة السلطان تحقيقاً لمطامع الخديو . لان اوربا ارادت ذلك على نحو ما وقفت امام محمد علي . . . وكانت فرنسا وانجلترا يقظتين لجميع مشروعات اسماعيل

ولعلّ اهم يوم في تاريخ خدمة الضباط الاميركيين في الجيش المصري هو يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ ففي ذلك اليوم عين الجنرال ستون رئيساً لاركان حرب الجيش المصري . وكان هذا التعيين نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية في الجيش بعد ان كانت هيئة اركان حربه معظمها ان لم يكن كلها في ايدي الضباط الفرنسيين

فأنا نعلم جيداً ان عقب حرب القرم (١٨٥٣—١٨٥٥) وبوفاة الجنرال سليمان باشا الفرنساوي رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في أيام محمد علي الكبير والبطل ابراهيم وعباس الاول وسعيد باشا ، اندثرت هذه الهيئة الى ان حاول اسماعيل بعثها

بدأ الجنرال ستون عمله في ربيع عام ١٨٧٠ . وقصد نظارة الحربية ليدرس ويكتب تقاريره فقسّم هيئة اركان الحرب الى سبعة أقسام أو ادارات لكل منها رئيس أميركي . وأوصى بانشاء مدرسة لاركان الحرب . ففتحت أبوابها وانتخب لها عشرون طالباً من نابهي طلبة المدارس العالية وكان لتلك المدرسة الفضل الاول في اخراج طائفة مختارة من شبان الضباط المتعلمين بين الاعوام ١٨٧٣ و١٨٧٨ . فوزعهم على الاقسام العسكرية لهيئة اركان الحرب والاسلحة المختلفة

[للبحث تتمة]

(٢) راجع كتاب شايه لوتج . ج ١ ص ٣٢ وعنوانه « حياتي في القارات الاربع »

السرطان والمرأة

أعراضه وتشخيصه

للدكتور فيليب الدبس

﴿ اعراض السرطان ﴾ أعراض السرطان الرحمي سواء أفي جسم الرحم كان ام في عنقه متشابهة ولهذا سنذكرها دون ان نتركين التفريق عند الكلام عن تشخيص الداء. وهذه الاعراض تختلف حدة باختلاف درجة السرطان فان اجتمعت كلها كان الداء في درجاته الاخيرة فعلى كل امرأة عندما تلاحظ شيئاً غير طبيعي في وظائف اعضائها الجنسية ان تراجع طبيبها وعلى الطبيب ان يجتهد في معرفة سبب هذه الاعراض هل هي سرطانية او لا. العارض الاول والمهم سيل الدم من المهبل. كل امرأة يمر على انقطاع طمثها فترة من الزمن ثم تعود ترى دماً يسيل من المهبل يجب ان تشتبه في وجود ورم سرطاني في رحمها. ولكي تستوثق من ذلك يجب ان تراجع طبيبها في الحال. اما في النساء اللواتي لم يزلن في سن التوالد فللنزيف المهبلي عدة اسباب غير السرطان فعليها ان تراجع الطبيب حالاً وعلى الطبيب ان يجد سبب هذا النزيف. وللنزيف الناتج عن وجود السرطان خصائص يجب معرفتها منها أنه يحدث على اثر استعمال حقنة مهبلية او مباشرة جنسية او رضّ ما والنزيف في الابتداء لا يكون متواصلاً بل يظهر مدة ثم ينقطع ومن خصائصه ايضاً ان يكون شديداً عند الحيض دون ان يكون هنالك سبب آخر لهذه الزيادة

﴿ العارض الثاني السيلان المهبلي المخاطي ﴾ السيلان المهبلي المخاطي كثير الحدوث في النساء واسبابه عديدة وكل امرأة تعودت ان تراه فوجوده بحد ذاته لا يدل على شيء مهم إلاّ اذا تغيرت طبيعة هذا السيلان فازداد مقداره او اصبح ذا رائحة كريهة أو غدا مصحوباً بألم شديد او ممزوجاً بخيوط دموية فالسيلان المهبلي بحد ذاته كاف لحمل المصابة به على استشارة طبيبها فكيف بها اذا لاحظت ان طبيعته قد تغيرت عما تعودته

﴿ العارض الثالث: الالم ﴾ وهذا العارض لا يظهر الاّ متأخراً عندما يمتد الورم السرطاني الى النسج المجاور للرحم وهذا النسج تكثر فيه الاعصاب فعدم وجود الالم لا يدل على عدم وجود الداء ووجوده دليل على ان الداء اصبح في ادواره الاخيرة

﴿ الاعراض المتأخرة ﴾ تظهر الاعراض عندما يصيب السرطان الاعضاء المجاورة كالمثانة والمستقيم ومجرى البول من الكليتين الى المثانة او الاعضاء البعيدة كالكبد والرئتين والغدة الفقرية وما شاكل

﴿ اعراض عمومية ﴾ وظهور هذه الاعراض يدل على قرب اجل المصاب وهي اصفرار شديد يقرب من لون الليمون الحامض وهزال ونقص في الوزن وفقر دم شديد واعياء دائم وضعف الشهية للأكل ثم الاغماء والاسهال عند قرب النهاية

﴿ تشخيص داء السرطان الرحمي ﴾ سرطان الجسم او قمر الرحم — سبق وقلنا ان سرطان قمر الرحم اقل وقوعاً من سرطان العنق واكثر ما يصيب المرأة في العقد الرابع من عمرها وما فوق غير ان وجوده داخل الرحم لا يمكن لمسه عند الكشف الطبي ولا رؤيته بالعين المجردة فعند ما يشتبه في وجود السرطان يجب على الطبيب ان يجري على المريضة عملية القحط[1] وان يفحص المادة التي تأتي بها القاحطة فحصاً مكروسكوبيًّا وعملية القحط لاجل التشخيص ضرورية جدًّا في كل امرأة في سن الاربعين وما فوق تشكو نزيفاً مهبليًّا غير طبيعي وبالاخص اذا كان هذا النزيف بعد انقطاع الطمث بمدة . ورغبة في زيادة الاستيثاق يجب تصوير داخل الرحم بعد حقنه بمادة لا تخترقها الاشعة المجهولة فأدنى تغير في شكل الرحم المعروف يدل على وجود ورم طبيعي يجب ان يحقق نوعه . والسيلان المائي الدموي في سرطان قمر الرحم لا يكون مستديماً كما هي الحال في سرطان العنق بل متقطعاً فقد يأتي في فترات بين الواحدة والاخرى عشرة أيام او خمسة عشر يوماً ولربما كان ذلك ناشئاً عن تضيق في عنق الرحم

ومما يجب الانتباه لهُ في هذا العمر هو وجود الاورام الليفية في الرحم فهذه الاورام لا تسبب نزيفاً بعد انقطاع الطمث فان أصيبت امرأة بنزيف دموي بعد انقطاع طمثها وكان في رحمها أورام ليفية يجب ان لا تعالج هذه الاورام بالكهرباء ما لم يستوثق الطبيب من عدم وجود ورم سرطاني في قمر الرحم وذلك عند اجراء عملية القحط وفحص المادة التي تأتي بها القاحطة

ومن خصائص سرطان القمر الرحمي انهُ بطيء الانتشار وهذا ما يجعل معالجتهُ اكثر نجاحاً من سرطان العنق

﴿ تشخيص سرطان عنق الرحم ﴾ يمكن ان نقسم سرطان عنق الرحم من الوجهة التشخيصية الى ثلاثة أقسام الورم الظاهر بجميع أعراضه والورم الذي يمكن ان يشخصه الطبيب عند الكشف البسيط والورم في ابتدائه الذي لا يمكن تشخيصه الا بعد الفحص الدقيق واستعمال جميع الوسائل الفنية لمعرفته

﴿ النوع الاول ﴾ امرأة في العقد الثالث فما فوق تشكو نزيفاً مهبليًّا متواصلاً ذا رائحة

(١) يعني الجرف وهي عملية في لبنان وتقابل لفظ Curettage

كريهة قد يكون هذا النزيف مصحوباً بألم في أسفل البطن وأسفل الظهر او بدون ألم . يلمس الطبيب عند الكشف المهبلي ورماً يملأ المهبل سريع التقشت يدمى بسهولة ولا يجد أثراً للعنق بل يجد مكان العنق قروحاً وأوراماً حلمية مغطاة بأغشية الهابية صديدية وكل من يفحص هذه المرأة يعرف أنها مصابة بالسرطان

﴿ النوع الثاني ﴾ امرأة في الثلاثين من عمرها صحيحة الجسم لا تشكو الا من سيلان مهبلي مصحوب بقليل من الدم وهذا النزيف لا يظهر الا عند المباشرة او عند استعمال الحقن المهبلية

بالفحص المهبلي يلمس الطبيب بأصبعه تضخماً في عنق الرحم وهذا التضخم نوعان حلمي او لبني صلب ففي النوع الحلمي يظهر عند فوهة الرحم حلمات متعددة بعضها مندمج وهذه تنتشر الى الانسجة المجاورة والى انشاء الجاور

وفي النوع اللبني يكون عنق الرحم متضخماً على الشفة الواحدة شوه قاس كقطعة الخشب وهذا النوع قلما يتقرح وهو كالنوع الاول يمتد الى الانسجة المجاورة والى فوهة الرحم الداخلية

ومع هذا الورم يؤدي الى تآكل العنق وقد يكون العنق كله ورماً سرطانياً

﴿ النوع الثالث ﴾ ومن الصعب جداً معرفته بالفحص المنظاري او الكشف الطبي فهو بمظهره الخارجي لا يختلف عن الالتهابات العادية وهو احمرار مرضي او بقع منتشرة حول الفوهة وهذا النوع يستدعي دقة في الفحص الكليبكي والفحص الميكروسكوبي

﴿ الفحص ﴾ الكشف اليدوي — علامات السرطان باللمس اليدوي هي القساوة وتقشت الانسجة والتضخم وترف الدم من هذا اللمس ويستحسن في الحوادث المشبوهة ان يجري الفحص بدون تخدير ليتمكن الطبيب من الشعور بالتصلب والقساوة . والفحص اليدوي ضروري ليس لتشخيص الداء فقط بل لمعرفة مقدار انتشاره الى الانسجة المجاورة للرحم ففي كل حادثة سرطان رحمي يجب اجراء فحص المستقيم والمثانة وعلى مقدار انتشار الداء يتوقف امر المعالجة ونوعها والمنفعة التي يمكن أن نرجى من هذا الفحص

﴿ الفحص المنظاري ﴾ وهذا يكون بواسطة العين المجردة وبواسطة المكبر المعروف باسم Colposcope . الآفات التي تنظرها العين هي القروح ، والاورام والتوآت واللطخ البيض Leukoplakia وتآكل رحمي ومن هذه الآفات ينزف مقدار من الدم يتفاوت بين النزف الشديد وبعض قطرات وهذا يتوقف على نوع الآفة وعلى مقدار انتشارها

ماتقدم ذكره يصدق على السرطان المتقدم اما السرطان في دوره الاول فيظهر كقرحة عادية او التهاب موضعي في شفة العنق او تموء مرتفع قليلاً عن مستوى النسج المجاور ففي هذه الحوادث يجب الاستعانة بالمكبر وبالتعامل الكيماوي . المكبر يكبر الصورة اربعين مرة فتظهر

القروح واللطخ البيض ومقدار انتشارها. والتعامل الكيمياوي هو ان يوضع على العنق قليل من محلول (Lugol) يود ١ يودور البوتاس ٢ ماء ٣٠٠ فالنسيج السليم يصطبغ بهذا المحلول اصطباغاً كستانوياً قاتماً. اما النسيج السرطاني فيبقى بلونه الاصلي اصفر وهذا الاصطباغ هو نتيجة للتعامل الكيمياوي الذي يحدث بين مادة اليود والمادة الكلكوجينية فالخلايا السرطانية تقدر ان تحول المادة الكلكوجينية اكثر من سواها فلا تصطبغ بمحلول اليود

﴿ الفحص الميكروسكوبي ﴾ كل طبيب يشتبه في وجود ورم سرطاني في الرحم او في عنقه ولا يأخذ قطعة صغيرة لفحص الميكروسكوبي يكون مقصراً في ما يجب عليه من الناحية الفنية نحو المريضة وأخذ القطعة عملية في غاية البساطة لا تحتاج الى اختبار جراحي ولكن المهم — وذلك في الادوار الاولى — ان تؤخذ القطعة من النسيج السليم قبل ان يكون الداء قد وصل اليها فاذا لم يتمكن الفاحص من معرفة المكان المشبوه بالفحص العادي فعليه ان يستبين اما بالمكبر وإما بالتعامل الكيمياوي بمحلول Lugol

﴿ فحص داخل العنق ﴾ يبتدىء السرطان في بعض الحوادث في مجرى العنق بين الفوهة الداخلية والفوهة الخارجية فلا يمكن لمسه في بدائه او رؤيته ولكي يكون الفحص كاملاً يجب ان يشمل هذا المجرى حتى ولو ادى الى شق العنق شقاً مستطيلاً واظهار المجرى وفحصه فحصاً دقيقاً

﴿ سير داء السرطان ﴾ كثيراً ما تكون المرأة مصابة بورم سرطاني في رحمها وهي جاهلة وجوده فالاعراض في اولها مما لا تنتبه له فليس هنالك عارض خاص بالداء فالسيلان الملوث بقليل من الدم او للازدياد اليسير في مقدار الحيض اسباب عديدة غير السرطان فان لم تراجع المرأة الطبيب في فترات معينة لمشاهدة سير العلة التي تسبب هذه الاعراض فان السرطان ينمو نمواً مضطرداً الى أن يصل الى النسيج المجاور للرحم فعلى مقدار هذا الانتشار يتوقف نوع المعالجة والامل بنجاحها وقد قسمت لجنة درس السرطان في جامعة الام سرطان العنق من جهة انتشاره الى النسيج المجاور الى اربع درجات

١ — الدرجة الاولى السرطان لا يتعدى عنق الرحم وعند الفحص يمكن ان يتحرك جسم الرحم بسهولة ولا أثر للصلب في النسيج المجاور

٢ — الدرجة الثانية حيث يكون السرطان قد وصل بنموه الى الجدار المهبلي غير ان الرحم والانسجة المجاورة لم تزل سليمة

٣ — الدرجة الثالثة حيث يكون السرطان قد لحق بالنسيج المجاور للرحم فيكون الرحم ملتصقاً ولا يمكن معالجة هذا النوع معالجة جراحية . ٤ — الدرجة الرابعة حيث يكون السرطان قد لحق بالاعضاء المجاورة كالمستقيم والمثانة والحالب او قد يكون قد انتقل الى عضو بعيد

العوامل الفعالة

في

الادب العربي الحديث

بهذا الفصل النفيس — في ما كان لكفاح القومية المصرية ، والثورتين العراقية والسورية ، والمشكلة الفلسطينية من تأثير في الادب العربي الحديث ولا سيما الشعر — يختم العلامة الاستاذ أنيس المقدسي ، أستاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية ، الحلقة الاولى من دراسته الممتعة في «العوامل الفعّالة في الادب العربي الحديث» . وقد كان الموضوع الخاص بهذه الحلقة « بحث العوامل السياسية في المواطن الرئيسية للنهضة أي مصر والعراق والاقطار السورية من منتصف القرن الماضي الى الوقت الحاضر » . أما العوامل الاجتماعية والفكرية فلها فصول أخرى

ومن بواعث اغتباط المقتطف ان أتيح لهُ نشر هذه الفصول القيمة الممتازة بالانصاف والتحليل العلمي التاريخي ووصف تقلب الحالة النفسية في الشعوب العربية خلال الفترة التي تناولها والتقصّي الدقيق . ولا يخفى على القارىء المتبصر ما تكبدهُ الاستاذ المقدسي من مشقّة في مراجعة الصحف والمجلات لاستخراج ما نثر فيها من انباء النهضة القومية العربية في شتى مراحلها وما قيل فيها من الشعر ثم في مراجعة الدواوين العربية التي طبعت ونشرت في سوريا ولبنان والعراق والمهاجر الاميركية فجاءت هذه الفصول «ديوان النهضة العربية» او هي مهّدت الطريق لوضع هذا الديوان ، لان الاستاذ المقدسي اضطر في معظم الاحيان الى الاكتفاء بمختارات من القصائد او حتى بمطالعها او أبيات منها فقط مراعاة لمقتضى الحال

ويسرنا ان نذيع ان هذه الفصول ستظهر قريباً مجموعة في كتاب على حدة يسهل اقتناؤه على جمهور المعجبين بها [المقتطف]

الشاعرة

بين الانتداب والاستقلال

انيس المقدسي
استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

وضعت الحرب الكبرى أوزارها والوطنيين في البلدان العربية ، ولا سيما مصر وسوريا والعراق ، آمال قومية واسعة . على ان عصبة الامم لم تلبث ان قررت ان هذه البلدان لا تزال في حاجة الى وصاية او ارشاد بعض الدول الكبرى . وهكذا وضع نظام الانتداب او الحماية (متى ما شئت) . فاعترى الشرق العربي شعور عام بالخيبة واستفزّ ذلك العناصر الوطنية فهبّت تسعى لنيل أمانيها . وهذه المساعي هي أساس العوامل التي كان لها أعظم أثر سياسي في شعر الحقبة الاخيرة . وهي تظهر في أربع ظواهر رئيسية : —

١ — كفاح القومية المصرية
٢ — الثورة العراقية
٣ — الثورة السورية
٤ — المشكلة الفلسطينية

ولنلق نظرة عجلى على كلّ منها

(كفاح القومية المصرية) وهو قديم يرجع عهده الى بدء الاحتلال البريطاني ، على ان أول من نظمه وأول من وحد الاتجاهات الوطنية مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني . وقد صدق أمين الرافعي إذ قال[1] — « تبددت بمصطفى كامل كلّ الاباطيل التي كان خصوم مصر يذيعونها عن الروح الوطنية في البلاد ، وكان احتفال الامة بجنازته أروع مظهر اثبتت به مصر أنها أمة حية لا تستطيع ان تعيش الاّ أمة مستقلة »

(١) أبطال الوطنية (رضا) ١٩٢٣ ص ١٥

وقد لخص مصطفى كامل الشعر العربي في مصر وجرأ الشعراء على مواجهة المحتلين ومطالبتهم بالجلاء ، كما دفعهم الى التغني بالحرية والكرامة القومية

فلا بدع ان نرى في الشعر العربي عند موته انقاداً تتأجج فيه العواطف القومية كقول حافظ ابراهيم من باثيته المشهورة في ذلك الزعيم [1]: —

هنيئاً لهم فليأمنوا كلّ صائح ... فقد أسكت الصوت الذي كان عاليا
وماتَ الذي أحيا الشعور وساقهُ ... الى المجد فاستحيا النفوس البواليا
شهيد العلى لا زال صوتك بيننا ... رنيناً كما قد كان بالامس عاليا
يناشدنا بالله ان لا تفرّقوا ... وكونوا رجالاً لا تسرّوا الاعاديا

وأشد من ذلك قصيدته في حفلة تأبينه ومطلعها [2] : —

نزلوا عليك نوادي الازهار ... وأتيتُ آخر بينهم أشعاري
زين الشباب وزين طلاّب العلى ... هل أنت بالنهج الحزينة داري
غادرتنا والحادثات بمرصدٍ ... والعيش عيش مذلةٍ وإسار
ما كان أحوجنا اليك اذا عدا ... عادٍ وصاح الصائحون بدار
ومنها : قم وامح ما خطت يمين كرومرٍ ... جهلاً بدين الواحد القهّار
جزع الهلال عليك يوم تركتهُ ... ما بين حرّ أسىً وحر أوار
متلفتاً متحيّراً متخيّراً ... رجلاً يناضل عنهُ يوم فخار

وقصيدته الذكرى ومطلعها: [3]

طوفوا بأركان هذا القبر واسلموا ... وانهضوا هنالك ما تقضي به الذمم
ومنها : هنا الكميُّ الذي شادت عزائمه ... لطالب الحقّ ركناً ليس ينهدم
لبيك نحن الألى حرّكت أنفسهم ... لما سكنت ولما غالك العدم
قبل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا ... عسف الجفاة وأعلى صوتنا الألم
لبيك إنا على ما كنت تعهده ... حتى اسود وحتى تشهد الامم
فيعلم النيل أنا خير من وردوا ... ويستطيل اختيالاً ذلك الحرم
يا أيها النشء سيروا في طريقته ... وثابروا رضيَ الاعداء أم نقموا
فكلكم مصطفى لو سار سيرته ... وكلكم كامل لو جازهُ الهمم

(١) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١٠٧ (٢) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١١٠
(٣) ديوانه (١٩٢٢) ٣ — ١١٧

ولشوقي في رثاء مصطفى كامل قصيدة مشهورة مطلعها —

المشرقان عليك يبتجلان في نأتم تأصيها والداني

وهي من عيون الشعر ويدور اكثرها على مآثر الفقيد وشخصيته ومنزلته في قلوب الناس. ومثلها قصيدة خليل المطران نجدها في ذيل ديوانه (مطلعها « اعلى مكانتك الاله وشرّفا ») وهي اكثر من تسعين بيتاً طاراً وتصوّر الفقيد زعيماً وطنيّاً ضحى بحياته في سبيل بلاده كقوله

مصر التي كافحتَ لُدَّ عُداتها متصدّراً لرُماتها مستهدفا
مصر التي سقت الجيوش ثمانياً ومُنىً لتكفيها المُثير المجحفا
عرّفت أهلها حقيقة قدرهم وكفاهمُ من قدرهم أن يُعرفا

ومن المراثي التي تذكر قصيدة احمد نسيم — ما بال دمعك لا عاصٍ ولا جارٍ[1] —

وبمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل نرى لشوقي قصيدة تنضح بالوطنية كقوله يخاطب الفقيد[2]

لك الخُطبُ التي غصّ الاعادي بسورتها وساغت للندامى
فكانت في مرارتها زئيراً وكانت في حلاوتها بغاما
بك الوطنية اعتدلت وكانت حديثاً من خرافة او تناما
بثيت قضية الاوطان فيها وصيّرت الجلاء لها دواما

وفي هذه القصيدة يستعرض احوال البلاد السياسية ثم يستطرد الى البحث فيما تحتاج اليه من وسائل الاصلاح

ومن اراد ان يعرف شيئاً عن الحركة الادبية التي احدثها موت مصطفى كامل فليرجع الى الصحف العربية سنة ١٩٠٨، والى ما نشر من الشعر في ذلك العهد

***

وينتقل لواء الجهاد الوطني الى يد سعد زغلول. وفي سعد تجسّمت خوالج الامة المصرية واماليُّها بعد الحرب الكبرى. وقد اصبح مثالاً في الجهاد القومي لكل الامم العربية المجاورة فما هو يثير مصر مطالباً بالاستقلال، وها هو يُنفى مع رفاقه الى جزيرة سيشل. ولما افرج عنهم وعادوا الى الوطن استقبلهم الشعر العربي استقبال الابطال وقد اشترك فيه اكثر الادباء في وادي النيل وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمطران والعقاد والمازني واضرابهم. وبموت سعد بلغت الحماسة الشعرية اعلى درجاتها. فنظم في مصر، كما نظم في سورية ولبنان والعراق والمهاجر

(١) راجعها في ديوانه (١٩٠٨) ص ٢٣ (٢) الشوقيات ١ — ٢٧٧

ما لا يستطاع حصره الا في مجلد خاص ، من مراثٍ تصف مثالبه الغالية وكفاحه الوطني الجيد . وقد اقيمت له حفلات تذكارية متعددة نذكر منها على سبيل التمثيل تلك التي اقامها العراقيون في بغداد ١٩٢٧ وادباء المهجر البرازيلي في سانباولو سنة ١٩٢٨ وقد اشترك فيهما أبرز الادباء في تلك الاقطار

ولم تمت الحركة الوطنية المصرية بموت سعد بل ظل خلفاؤه يناضلون . وقد استطاعوا بثباتهم ان ينالوا حق الاعتراف باستقلال مصر وعقدوا مع بريطانيا معاهدة صداقة ثم لم تنظم شؤونهم . ولم يلبثوا ان دخلوا عصبة الامم

وقد تخلل هذا النزاع الطويل الذي رفع لواءه مصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهما من رجال مصر حوادث شتى كان لها أثرها الخاص في الشعر كحادثة دنشواي ورفع الحماية ، واعلان الملكية ، وثورة ١٩١٩ ، ومسألة الامتيازات الاجنبية ، وغيرها . على ان هذه الحوادث عند التحقيق ليست الا حلقات من سلسلة المشادة بين الانتداب والاستقلال

(الثورة العراقية) من المعلوم انه لما احتلت بريطانيا العراق نشرت للعراقيين (كما نشرت لسواهم من ابناء العربية) منشوراً تبين فيه اسباب احتلالها وانها انما تقصد تحرير العرب لا فتح بلادهم . واليك نص هذا المنشور : — (١)

« إن الغاية التي ترمي اليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواصلتها في الشرق تلك الحرب التي اثارتها مطامع الالمان هي تحرير الشعوب الرازحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريراً تاماً وتشييد حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغائب الاهالي الوطنيين الصادرة عن رضاهم وحسن اختيارهم . وتوصلاً لهذه الغاية قد اتفقت بريطانيا العظمى وفرنسا على تشجيع ومساعدة حكومات وطنية في سوريا والعراق اللتين قد تم تحريرهما فعلاً على يد الحلفاء وفي البلدان الاخرى التي يسعى الحلفاء لتحريرها والاعتراف بهذه الحكومات عند ما يتم تنظيمها فعلاً . وإن بريطانيا وفرنسا لا تخطر في خلديهما قط ارغام هذه البلدان على قبول نظامات معينة من اي نوع وجل اهتمامهما هو ان تضمنا لهذه البلدان بمساعدتهما الفعالة سير الحكومات والادارات التي يتخذونها عن محض ارادتهم سيراً منتظماً الخ الخ »

فكان من الطبيعي ان يتوقع العراقيون والسوريون وسواهم عهداً استقلالياً تاماً . لكن الامور في العراق جرت منذ الاحتلال على غير ما يرام فقد رأى العراقيون سوريا تتمتع حيناً (أيام فيصل) بالاستقلال وبالملك وهم لا يزالون تحت نير الانتداب . ثم حدثت حوادث زادتهم امتعاضاً من حكامهم البريطانيين . فأخذ الوطنيون منهم يتفاوضون ويبحثون سراً في موقفهم

(١) راجع في « العراق ليدوري الاستقلال والانتداب » للعسلي ص ٨٥

واتفق الوجهاء ورجال الدين على طلب الاستقلال وتعيين أمير من آل البيت . وفي سنة ١٩٢٠ دارت بينهم وبين البريطانيين مراسلات ادّت الى مؤتمر عام قدّم فيه المندوبون العراقيون ثلاثة مطالب رئيسية هي :— (١)

١ — الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الامّة العراقية ليعين مصيرها وشكل ادارتها ونوع علاقتها بالخارج

٢ — منح حرية المطبوعات ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه وأفكاره

٣ — رفع الحواجز البريدية بين أنحاء القطر اولاً وبينه وبين الاقطار المجاورة والممالك الاخرى ثانياً ليتمكن الناس هناك من التفاهم بعضهم مع بعض ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم

والظاهر ان التفاهم بين السلطة والوطنيين كان متعذراً فعمدت السلطة الى سياسة الارهاق، وقبضت على بعض الزعماء فنفت بعضاً واعتقلت آخرين . لكن هذه السياسة لم تأت الاّ بعكس المطلوب . فقد أحرجت الوطنيين ولا سيما سكان وادي الفرات حتى افتى امامهم الكبير محمد تقي الشيرازي بجواز امتشاق الحسام في وجه السلطة دفاعاً عن الحقوق القومية (٢)

وهكذا تمت فكرة اعلان الثورة . وقد القى محمد الباقر الشبيبي يومئذ خطبة حماسية وانشد قصيدة منها (٣)

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرا خذوا حذركم سُمّ فقد أخذوا الحِذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا اضاليلهم في الهند والكذب في مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

وفي هذه الثورة يقول الجواهري من قصيدة (٤)

إلام التواني في الحياة وقد قضى على التواني الموتَ هذا التنازعُ

وبعد ان يذكر ان في العراق نهضة يقابلها نهضات في سائر البلدان العربية يقول عن الثائرين

ويوم نضتْ فيه الخمول غطارفٌ بصان الحمى فيهم وتحمى المطالع
تشوّقتهم للعز نهضة ثائر حنين ظماء اسلمتها المشارع
لقد عظموا قدراً وبطشاً وانما على قدر اهليها تكون الوقائع
وما ضرهم بُنّو السيوف وعندهم عزائم من قبل السيوف قواطع

(١) نقلاً عن العراق للحسني ص ٩٠
(٢) العراق — ص ١٠٣ (٣) العراق — ص ١٠٢ (٤) ديوانه (١٩٣٥) ص ٤٩

اذا استكرهوا طعم المنايا فأبطأوا أُتيح لهم ذكر الخلود فسارعوا

ثم يصف الثورة في الكوفة ووادي الفرات واستفزاز الانكليز لهم ، ويبدد مناقب موري شرارتها الاولى الشيخ الشيرازي . ومن قوله فيه : —

تثور به للموت نفسٌ أبيّة وتأبى سوى عاداتهنّ الطبائع
يطارحهُ وقع السيوف اذا مشى كما طارح المشتاق في الأيك ساجع

والقصيدة أكثر من ٧٥ بيتاً وكلها على هذا النمط الحماسي . وله قصيدة اخرى في الثورة مطلعها [١]

ان كان طال الامدُ فبعد ذا اليوم غدُ

ولحيري الهنداوي في الثورة قصيدة طويلة نارية الروح مطلعها [٢] — ايها الشرق هل فقدت الشروقا — ومنها مخاطباً وطنه

أنت أذنبتَ ام بنوك ام الظـــلاّم شاءوا ان يغصبوكَ الحقوقا
بِتّرا امرهم بليلٍ وجاءوك جهاً يتلو فريق فريقا
حاولوا — لا أبا لهم — ان يكون الـــشرق كالعبد مستضاماً رقيقا
فنهضنا كالأُسد في أوجه الـــقوم لنجتثّ بئيهم والعروقا

ومنها : ويك لا ارتضي الحياة بذلٍّ ثم فرّقْ إهابها تمزيقـــا
وأدرْ لي في الرافدين حميّا الـــحرب صرفاً وكسّر الابريقا
ان موتاً يكون في ساحة العزّ لموتٌ أجدرٌ به ان يروقا

الى ان يقول —

ليت شعري هل مبصر إنا يوماً تعلمَ ابن الحمين فيها خفوقا
تلك أمنيّتي فلا عيش الاّ ان أراها تهزّ غصناً وريقا

ومن موقدي الشعور الوطني يومئذٍ الشيخ مهدي البصير شاعر الحلّة وهو من الذين اعتقلوا وهوا . ومن شعره الثوري المحرّك قوله في قصيدته « لبيك ايها الوطن » . ومطلعها [٣] —

ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا فلتتسعْ بي للانام خطاكا

ومنها بك همتُ او بالموت دونك في الوغى روحي فداك متى أكون فداكا ؟
ثق أنني سأذبُّ دونك باذلاً روحي لارخصها فما اغلاكا
فليسخط الغربيّ أني ناهضٌ أقضي رجائي ان أنال رضاكا
كذبتك أقطاب السياسة عهدها فلتضمنّ لك الحياة ظُباكا

(١) راجعها في ديوانه ٢٣٦ (٢) الادب العصري (بطي) ١ — ١٦٦ (٣) — الادب العصري ٢ — ٩٦

أفيظلمون لك الرعاية ضلة ما كان أقصرهم وما احجاكا
لو أنصفوك لحرّروك لانهم رجحوا قضيتهم بظل لواكا

ومثل هذه العواطف تتجلى في شعر عبد الحسين الازري ، ومحمد ابي الخاسن ، وعلي الشرقي ، ومحمد الهاشمي ، وسواهم . اما الزهاوي والرصافي فلم نر لهما شبئاً من ذلك في ما نشر من شعرهما

***

اشتعلت الثورة فوقع من ضحاياها مئات من الطرفين . ولم تر بريطانيا بدّاً من مصالحة الثوار . فأصدرت منشوراً بالعفو العام . ثم « شكلت » للعراق حكومة وطنية موقتة الى ان يتم انعقاد مؤتمر عربي عام يعين مصير البلاد وشكل حكومتها

وكان فيصل في اثناء ذلك قد انهار عرشه في دمشق ، فقرر باتفاق الطرفين انتخابه ملكاً على العراق وصرف النظر عن عقد المؤتمر العام على ان الشعب استفتي في امر انتخابه فنال ٩٦ بالمئة من الأصوات وهكذا نودي به ملكاً واحتفل بتتويجه في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٢١

وكان لهذا الحادث التاريخي اثر يذكر في الادب العربي فقد القي فيه من الخطب والقصائد ما لا يتسع المقام لذكره . واليك انموذجاً منهُ قصيدة انشدها الزهاوي في حضرة الملك فيصل على اثر قدومه عاصمة الرشيد[1] وفيها يقول :—

إنا محبوك فاسلم أيها الملك ومصطفوك لعرش شاده الفلك
عرش العراق ضمان العراق وفي تأييده الشعب والأحزاب تشترك
الناس من فرح إذ جئت تأسهم من بعد ما قد بكوا من يأسهم ضحكوا
قد ارتضاك له فاهناً بدولته الله والناس والتوفيق والملك
هذا السلام يعمّ الرافدين غداً فلا دمٌ بعد هذا اليوم يسفك
جرى ليلحق ناس بابن فاطمة حتى اذا تعبوا في جريهم بركوا
من هاشم من قريش من ذوائبها حيث الوشائج والارحام تشتبك

ومنها :

لله يا فيصلٌ ما أنت مورثه للعُرب من شرف في شكره اشتركوا
في نهضة برجال كنت تأسهم حيناً لتحرير اوطان بها السبكوا
عش للرقيّ فانّ الشعب اجمعهُ مذ حبّ يفتح عينيه بهِ شدكُ

***

ولا ينكر انهُ بتنصيب فيصل استقرت الحال نوعاً في العراق على ان الاماني القومية لم تصل

(١) الادب العصري (بطي) ١ — ٤١

وثبة واحدة الى غايتها . فكان موقف العرش حرجاً بين السلطة المنتدبة والقومية العراقية المتوثبة لكن فيصلاً كان ربّاناً ماهراً فسيّر المركب بين اللجج برفق وحكمة ، واستطاع قبل موته ان يوقّع معاهدة الاستقلال التام وان يدخل العراق في عصبة الامم

ولم يخل الشعر العراقي في اثناء ذلك من روح الترم فرغم الهيئة السياسية في العراق وبرغم ما كان يضيء في العهد الفيصلي من انوار الامل والاستبشار ظلّ فريق من كبار ادبائه يطلب عليهم الشاؤم فينظمونه شعراً قاتم اللون ناقماً سوء الحال . وزعيم هذا الفريق الرصافي كما ترى في قصيدته للربعاني سنة ١٩٢٢ اذ يقول [1] —

أأمين جئت الى العراق لكي ترى ما فيه من غُرر الفلى وحجوله
عفواً فذاك النجم أصبح آفلاً والقوم محتربون بعد افوله
ومنها : واذا وقفت بدارس من مجده فكوقفة الباكين بين طلوله
وانحبّ كما نحب الحزين مكفكفاً غُرب الدموع بجانبي منديله
ومنها : حال لو افكر الحكيم بكنهه طولَ الزمان لعيّ من تعليله
من ذا يدله فان قوارعي بثّت لصبر الله من تبديله

الى ان يقول : —

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله

وتظهر هذه الروح في قصيدته في حفلة الحزب الوطني البغدادي للسر كراين الاميركي (سنة ١٩٢٩) اذ يقول [2]

واذا تسأل عما هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقي الضرع غربي اللبان
وطني الاسم لكن انكليزي الشناشن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن...
نحن في الباطن لا نملك تحريكاً لساكن

ومثل ذلك قصيدته « الحرية في سياسة المستعمرين » (ديوانه ٤٢٦) وفائدة الانتداب (٤٢٧) وكيف نحن في العراق (٤٣٥) وحكومة الانتداب (٤٣٧)

(١) ديوانه ٤٠٣ (٢) ديوانه ٤١٤

هذا الشعر القومي الذي كان شائعاً في الاوساط القومية المتشددة ويقابله شعر وطني مستبشر كان ينظر الى الامور بعين الرجاء مؤمناً بالنهضة الجديدة واثقاً بتقدمها . ومن أمثلته ما قيل في المتكلم العراقي . والنهضة العربية ، وآمال الشباب والملك العربي والسيادة القومية وما الى ذلك كقول الجواهري من قصيدة في سفر الملك فيصل الى جنيف (١٩٣١) تمهيداً لدخول العراق عصبة الامم [١] يفتتحها بوصف مناقب فيصل وحسن سياسته وجميل خدمته للعراق ثم يقول

لا أدعي انّ قد أتم نموه من كان امس بشكل طفل حاب
فالملك ليست بالبعيد منالها عن كل شعب طامح وثاب
لكن اقول أريته مستقبلاً لا بالعديم سناً ولا الخلاب
كالشهد اول ما تذوقه فمٌ ما زال بين لهاه طعم الصاب
فاليوم هاهو ذا يظلك بحتي مثل احتماء العين بالاهداب

ومثل هذا القول بل واكثر منه استبشاراً وايماناً بالمستقبل يتجلى لك في كثير من الشعر الذي نظم في عهد فيصل وعهد خلفه الملك غازي الأول

﴿ الثورة السورية ﴾ ذكرنا ان دمشق كانت بعد الحرب الكبرى أول عاصمة خارج الحجاز نودي فيها بالاستقلال العربي . وهاك اول برقية وردت الى بيروت بعد دخول العرب دمشق (وقد نشرت في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ بتوقيع الامير سعيد الجزائري) — « بناء على تسليمات الترك فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعائم الشرف طهّروا البلاد واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية »

ومعلوم أن سوريا بعد الحرب عهد بادارتها المستقلة الى الامير فيصل . ثم حدثت حوادث وجرت مفاوضات سياسية لا مجال لذكرها الآن . وفي خلال ذلك تم لحكومة دمشق تنظيم المؤتمر السوري ممثلاً لجميع الاقطار السورية وعنها فلسطين فأعلن في ٧ اذار (مارس) سنة ١٩٢٠ المنادى بالامير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد السورية [٢]

على ان ذلك الاستقلال لم يطل عهده . ففي ٢٥ تموز (يوليو) من السنة نفسها دخل الجيش الفرنسي دمشق فاضطر فيصل الى ترك عرشه وأصبحت سوريا داخلة في منطقة الانتداب . وبذلك أخذت تلك الناشئة الملكية التي كان السوريون قد بدأوا يغتبطون بها . فبعد ان كان الشعر العربي في حمائم شعر القومية السائدة والوطنية الجذلة والراية العربية الخفاقة اصبح ذكريات مؤلمة كقول حليم دموس من قصيدة في وداع فيصل مطلعها : —

اضاعوه وكان فتىً هماماً وبالأوطان صبّاً مستهاما

(١) ديوانه (١٩٣٥) ١٠٦ (٢) راجع الثورة العربية (سعيد) ٢ — ٣٠

(أضاعوه وأي فتىً أضاعوا) أضاعوا القلبَ واليدَ والحسامَا
فودَّع في الدجى تاجاً وعرشاً ومملكةً وآمالاً جسامَا
هو التاريخ عاد فمُدَّ اليه وصف غرناطةً تصف الشآما
سلاماً يا أبا الغازي سلاما يعزُّ على المروءة ان تضاما
أطعتَ عصابةً ضلَّت فكانت بصدر جهادك الماضي كلاما
ولولا ذاك كنت الملك فينا ولكن ابعدوا عنك الكراما
فسادت في رُحاب القصر فوضى فلا رأياً هناك ولا نظاما

***

وكقول الخلايلي من قصيدة نظمها في دمشق (٣ك ١٩٢٠) ومطلعها — وقفت على الاطلال اطلال قحطان [1] —

لئن كنتمُ من قبل في يد غاصب ضعيف القوى من خرفة الجهل نشوان [2]
فانكم ذا اليوم نهبٌ مقسَّم بأيدٍ شداد شرّها منكم دانِ
وقدتم وسيف القوم يرهف حدَّه وما غمده الا طُلى آل عدنانِ

وله كثير مثل ذلك

وكذلك خير الدين الزركلي كقوله من قصيدة سنة ١٩٢٢ وهو في عمان [3]

أبكي ديارا خلقتْ للجمال
ابهى مثال
أبكي ثراك العزّ والعزُّ غال
صعب المنال
أبكي نفوساً قعدتْ بالرجال
عن النضال
أبكي جلال الملك كيف استحال
الى خيال

وله قصيدة سماها الفاجعة [4] لنظمها على اثر واقعة ميسلون ودخول الجيش الفرنسي الشام ومطلعها —

الله للحدثان كيف يكيد يَرِدي بغيض وقاسيون يميدُ

(١) ديوانه ص ٢١ (٢) يقصد الاتراك (٣) راجعها في ديوانه ٢٤ (٤) ديوانه ٤٢

ومنها ما في دمشق لناهض من عزة وبها سرادق غاصب مسدود
بلد تبوأه الشقاء فكلما قدم استتام له به تجديد

وبعد ان يصف الجيش والمخذال السوريين لتافر زعمائهم يقول —

خدعوك يا أم الحضارة فرتمت تجني عليك فبالق وجنود
من ذا يكفكف أدمعاً مهراقة كالغيث تهطل حسرة وتجود
تسقى بها في الفوطتين مباسم ذهب الترواح بمائها، وخدود

ولو راجعنا ما نظمه كبار شعراء سوريا بعد سقوط العرش الفيصلي، كخليل مردم وفارس الخوري وشفيق جبري، ومحمد البزم وفؤاد الخطيب ومحمد الشريقي وبدر الدين حامد واضرابهم وما نظمه زملاؤهم في سائر الأقطار العربية والمهاجر لوجدنا عليه سمة من الألم تشف عن أسفهم على ماضاع من أماني وتبدد من احلام

***

في خلال ذلك كانت العراق (كما مرّ معنا) تتقد بالثورة ومصر تجاهد تحت لواء سعد. وقد رأى السوريون تأجج الثورة العراقية والجهاد المصري، فكان ذلك دافعاً لهم الى تنظيم الكلمة ومناوأة الانتداب

ولم تلبث هذه المناوأة أن انجلت عن ثورة ١٩٢٥

ولسنا نبحث الآن عن الاسباب البعيدة او المباشرة لهذه الثورة فذلك عمل مؤرخيها، على أننا نقرر هنا انها كانت خطوة كبرى في سبيل الهدف المنشود فقد انتهت بتنظيم الكتلة الوطنية، ثم باعلان الجمهورية (سنة ١٩٣٢) وبالاتفاق مبدئياً على معاهدة شبيهة بمعاهدة العراق

وقد نظم في الثورة السورية والحركة الوطنية شعر كثير اشتركت فيه جميع الاقطار العربية. فمن مصر مثلاً شوقي وحافظ، ومن العراق الرصافي والجواهري، ومن المهاجر السورية اللبنانية الشاعر القروي، والياس فرحات، والدكتور جورج صوايا، والياس قنصل، وابو الفضل الوليد

ومن لبنان وفلسطين مصطفى الغلاييني وعلي الحوماني وابراهيم طوقان وفتى الجبل وسواهم فاذا أضفت هذه الاسماء الى أسماء شعراء سوريا الذين مرّ ذكرهم والى اسماء كثيرين في انحاء البلاد العربية ممن لم يذكروا استطعت ان تقدر ما كان لهذه الثورة من الاثر في الشعر العربي واننا نشير هنا اشارة خاصة الى دواوين الغلاييني، والحوماني، والشاعر القروي، والياس قنصل وبدر الدين حامد لما يتأجج فيها من نيران تلك الثورة وما تحمله الى الاقطار العربية من حرارتها المتقدة

﴿الجامعة العربية والروح الاقليمية﴾ رأينا من الفصول السابقة ان الدعوة للعربية لم تكن قبل الدستور العثماني منظمة او ذات هدف معين بل كانت عاطفة قومية تظهر من حين الى آخر في الادب العربي بمظهر التذكير بالماضي والاهابة بابناء الشرق العربي الى التقدم في سبيل العلى. فلما دخل العرب العهد الدستوري واصبحوا يرون بجلاء ما لهم وما عليهم اخذتهم الغيرة القومية فبدأوا يلهجون بها، وشعروا ان العنصر السائد في السلطة يقاومها فازدادوا تعلقاً بها، ولم يلبثوا ان نظموا الجمعيات والهيئات السياسية، فانتشرت بينهم دعوة قومية ترمي الى استقلال الاقطار العربية استقلالاً اداريًّا

وفي الحرب الكبرى اعلنت الثورة الحجازية باسم العرب والملك العربي ولما وضعت الحرب اوزارها انتشرت الدعوة الجامعة العربية تحت لواء الهاشميين انتشار النار في الهشيم، وكانت ترمي الى احياء مجد العرب بتنظيم دولة كالدولة الاموية في الشام تضم الاقطار السورية والعراقية والحجازية ثم تتدرج الى سواها

حلم جميل استعذبهُ السواد الاعظم من سكان تلك الاقطار، وقد كان مصدر الهام لكثير من الشعر القومي والخطب الحماسية. ولن ننسى يوم نُشر العَلَم العربي في بيروت وقد استولى فيه على الناس شعور غريب لا عهد لهم به من قبل شعور الكرامة القومية الحرة. وكان الاحتفال في دار الحكومة. وهاك بعض ما قاله الخطيب «الرسمي» مخاطباً الشعب العربي [1]—

«ان هذه الراية التي تنشر اليوم هي شعار استقلالك وستكون خافقة فوق رأسك ما خفق فؤادك لها، فان بقاءها لهو اليوم في يديك. فان احببت لها البقاء فاستمت في حبها واعمل على اعلائها بين الامم. ان البلاد العربية اليوم هي بمثابة كتلة وطنية واحدة خاضعة لحكم شريف مكة واميرها وملك البلاد العربية جلالة مولانا المفدى حسين الاول. واننا لا ننسى ابداً لحلفائنا ونخص منهم دولة انكلترا العظمى المساعدة العظيمة التي قاموا بها نحونا لحصولنا على هذه النعمة الكبرى»

وقد اقيمت المهرجانات لرفعه في الشام وسائر المدن السورية. ولم يشكك احد يومئذ في ان الملك العربي اصبح امراً واقعاً وان انتصار الحلفاء على الاتراك كان الحجر الاساسي في توطيده

ودارت الايام فاذا بالانتداب يفرض على البلدان العربية. واذا بالحكومات العربية الاقليمية تحل محل الدولة المتحدة، واذا في الادب العربي فكرتان تتصارعان فكرة الوحدة وفكرة الاقليم، الجامعة العربية والروح الاقليمية :—

اما الاولى فكانت ولا تزال رسالة الشعر العربي منذ عهد الدستور (١٩٠٨). وقد رأينا

(١) راجع جريدة صوت الاحرار ٢١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٧

كيف برزت بعد الثورة ، وعبثاً حاول دعاة التقسيم اماتتها . فهي عند السواد الاعظم من عرب الشرق الادنى رسالة المجد والتاريخ . وقد ساعد على احيائها في الادب بضع حوادث هامة — منها المشكلة الفلسطينية ، وموت الحسين . وموت فيصل ، وتقدم الروح القومية في العراق وسوريا ، واتجاه مصر نحو الاخاء العربي

***

فالعرب عموماً يعدون مسألة فلسطين مسألة عربية عامة ولذا ترى الشعر العربي في كل قطر يعطف عليها كقول مهدي الجواهري (النجف) من قصيدة موضوعها فلسطين الدامية [1] —

فيا فلسطين ان اعدمك زاهرةً قلست أولَ حقٍّ غيلةً هُضما
سورٌ من الوحدة العصماء واعهم فاستحدثوا ثغرة جوفاء فانثلما
ثار الشباب ومن مثل الشباب اذا ربع الحمى وشُواظ الغيرة احتدما
يأبى دمٌ عربيٌّ في عروقهم ان يصبح العربيُّ الحرّ مهتضما

وقول بشاره الخوري (بيروت) من قصيدة موضوعها جهاد الجزائر [2] —

يا جهاداً صفق المجد له ليس الفارُ عليه الارجوانا
شرف باهت فلسطين به وبناه للعالي لايدانى
إن جرحاً سال من جبهتها لثمته بخشوع شفتانا

والشاعر القروي (البرازيل) في اواخره من قصيدة موضوعها « وعد بلفور » —

الحق ملك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر
قد الوعود وتقتضي انجازها موج العباد خشيت يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسناً يابلفرُ
عد من تشاء بما تشاء فانما دعواك خاسرة ووعدك اخسر
فلقد فقوز ونحن اضعف امة وتؤوب مغلوباً وأنت الاقدر

ولعل شعر ابراهيم طوقان (نابلس) اصدق مرآة لحال فلسطين السياسية والاقتصادية ولولا حرج الحال لاثبتنا هنا كثيراً من قطائعه الوطنية المستمدة من شقاء فلسطين وسوء احوالها . وهي منشورة في مختلف الصحف السيارة كالبرق وفلسطين والدفاع والمعرض والجامعة الاسلامية وسواها

اما الحسين ملك الحجاز ففي نقله الى قبرص ، ثم مبايعته بالخلافة في عمان ، ثم موته في تلك المدينة عبر أثارت الشعر العربي وأذكت فيه روح الرسالة القومية واننا نكتفي هنا بالاشارة

(١) ديوانه (١٩٣٥) ١٧٦ (٢) ملحق جريدة المعرض عدد ١١٠٥

الى بعض القصائد التي قيلت فيه وهي قلّ من كثر ، بل وشل من بحر

فللشوقي مرثاته : —

لك في الارض والسماء مآتم قام فيها ابو الملائك حاشم

ولفؤاد الخطيب : —

هي المواكب فاشهد كيف تبتدر كالسيل مصطخب التيار ينحدر

اوفت تودع جثمان الذي دُفنت الى الجزيرة في اكفانه مضر

واشفيق جبري : —

تلكم قريشٌ وما جفت عوالبها على الحطيم ولم تنشف مواضيها

من ذاكر في ظلال البيت ثورتها والمهد غير بعيد عن لياليها

ولابراهيم طوقان — ذكرى ثورة الحسين : —

اطلقي ذاك اليارا قدك ضيماً واصطبارا

يُطلب العز ابتدارا يدرك المجد اقتسارا

ولبدر الدين حامد — في خلافته

تاج مجد الخلافة انتظما فوق رأس الخليفة العربي

كم لبثنا السنين في وجل وذرفنا مدامع الحرّب

وله في منفاه الى قبرص: —

اسرفت فيما جئته يازمانُ فما لهدرٍ منك يوماً امانُ

وللجواهري في ذلك : —

هي الحياة بإحلاء وامرار تمضي شعاعاً كزند القادح الواري

وله مرحباً بالحسين الى العراق: —

أرى الشعب في اشواقه كالمعلق لما حدثوماً عنك يرجو ويتقي

وشبيهٌ بما قيل في الحسين ماقيل في ابنه الملك علي فقد نظمت فيه مراث وطنية تكشف عن شعور العرب في مختلف الامصار نذكر منها هنا قصيدة شبلي ملاط : —

أمن جرح على جرح دمىٌّ الامّ يصاب بيت الهاشميّ

فما كاد الحسين يغيب حتى هاوت شهب فيصلَ والعلي

وأما فيصل فان موته كان عند أدباء العرب الفجيعة الكبرى وقد أقيمت لهُ مآتم في مختلف الاقطار العربية وفي المهاجر . ولو جمع ما نظم في أعماله وفي تمداد مناقبه لملأت مجلداً ضخماً فهو عند الجميع بطل العروبة وحامل لوائها . واليك على سبيل التمثيل بعض ما وصلنا من المراثي فيه: —

جميل الزهاوي — فجع المشرقين خطبٌ جليلٌ وعرى المغربين حزن طويل
لامين الريحاني — حلق النسر في الفضاء بعيداً — (وهي قطعة من الشعر المنثور)
لبشاره الخوري — لبستْ بعدك السواد العواصمْ واستقلت لك الدموع الغمائمْ
لمحمد البزم — رُم عظيماً اذا أردت خلوداً وامتط الشهب في السماء صعودا
للدكتور أبي شادي — : هكذا هكذا شعوب تميتم أيها الموت ساء غشك مقدم
لعلي محمود طه — تألق كالبرقة الخاطفهْ وجلجل كالرعدة القاصفهْ
للشاعر القروي — أقصر النجلد ان العقل منهزمُ وأهون الخطب ان الدمع منك دم
لوديع البستاني — قمرٌ — وبات الفجر — والثقلان يوم الخميس بحضرة الجثمان
لحليم دموس — هوى من سما عليائه بعد ان سما فسالت عليه دمعة الارض والسما
لابراهيم طوقان — شيعي الليل وقومي استقبلي طلعة الشمس وراء الكرمل
لصلاح الملايدي —
كفكف دموعك وأعد شجو المأتم فالموت من جند الملك الاعظم
لصلاح الرفاعي — علم العروبة غار في العلياء طفي على الاسلام والغرباء
لعبد المسيح حنظ : — عبقري الملوك أي فؤاد اسكتهُ يد الزمان العادي

هذا فضلاً عن كثير من الاناشيد الشجية وكالتالي لها نشيد بعض فقرات من نشيد الكشاف المسلم في صيدا : —

دافعت بالصدق عن حرمة الحق
والناس قد كانت في الغرب والشرق
تراك يا فيصل
تراك يا فيصل
اليأس قد أبلى في الناس واستولى
في رحبة الوادي عروبة تكلى
تفديك يا فيصل
تفديك يا فيصل

***

﴿ الاقليمية والقومية العربية ﴾ يظهر ان اشتداد الاقليمية مقرونٌ باشتداد السلطة الانتدابية ففي العراق وفي سوريا ولبنان وفلسطين نشأت هذه الفكرة كما رأينا بعد استقرار الانتداب، وهي ترمي الى فصل الاقطار العربية بعضها عن بعض روحيًّا وماديًّا وتطويق كل منها بحواجز اقتصادية وسياسية تجعل اتصالها بسائر الاقطار العربية أمراً متعذراً أو شاقًّا.

وللوصول الى هذه الغاية اخذوا يبنون لنظام التربية الوطنية والادارة الملكية والعسكرية على اساس الوحدة الاقليمية لا على اساس الجامعة القومية العربية . فالسورية مثلاً والبنانية والفلسطينية والعراقية والمصرية والحجازية واليمنية وحدات مستقلة لا ترتبط بعضها ببعض الا كما ترتبط الصين بالهند او ايران وتركيا ، اللهم الا ما كان منها تحت انتداب واحد او ما كان منها مرتبطاً بمعاهدة خاصة فقد تظهر النزعة الاقليمية فيه في اخف الوانها

على ان ما نالتهُ مصر والعراق من السيادة الملكية ، وما يملأ صدور السوريين من آمال بالاستقلال قد انشأ من كل من هذه الاقطار شخصية مستقلة . شخصية تستطيع ان تفكر بما لها وما عليها بحاضرها ومستقبلها ولذلك تراها تقترب من فكرة التضامن القومي

وقد رأينا ان الادب المصري الصميم كان من قبل نفوراً من فكرة الجامعة العربية . ولكنهُ اخذ الآن يجاري الادب العراقي والسوري . بل اخذ ساسة مصر اليوم ينظرون بعين العطف الى ما كان اسلافهم قبل عشرين سنة يرمقونهُ شزراً . وها نحن نرى شيوخ الامة المصرية ونوابها يتحركون لنصرة فلسطين ويدعون الى عقد مؤتمر برلماني عربي (يمثل جميع الاقطار العربية) للبحث في هذه المسألة (١)

ولا ينكر ان السياسة لا تزال في جانب الاقليمية وربما ظلت كذلك أحقاباً طويلة . اما شعور الامم العربية فانهُ يتجه ببطء وثبات نحو الوحدة العامة . وقد كان الشعر العربي ولا يزال افضل وسيلة لإنماء هذا الشعور وتقويته . الشعر العربي اليوم سواء كان في مصر او العراق او الاقطار السورية أميل الى مصارعة الاقليمية فلا غرابة ان نرى لبنانيًّا في حفلة اقيمت له ببغداد (١٩٢٤) يقول من قصيدة مطلعها (٢)

غريبٌ قد طوى الفلوات سعياً الى هذي الربوع السندسيه

سلاماً نهر بغداد فاني احبي في حماك الاريحيه
احبي فيك عن قومي اخاه سوريا شقيقتك الوفيه
إخاه من اهل الضاد يحيي اماني في نفوسهم الفتيه
ألا ان الزمان لقد دهاهم بما تهوى النفوس الاشميه
وفرّق شملهم حتى كأن الـ ـتخاذل بينهم امسى مزيه

(١) راجع تفصيل ذلك في صوت الاحرار ٢ تموز ١٩٣٨ (وما بعده)
(٢) للكاتب راجعها في مجلة الطلبة (بيروت) حزيران ١٩٢٤

وهل هم غير اخوان فيحفظوا ويشقوا في مساعيهم سويه
لنا بلسانا وطن كريم وفي تاريخه صفحة قويه

وان نرى شاعراً مصرياً كبيراً كاحمد محرم ينادي الامة العربية بقوله من قصيدة مطلعها[1]

حيّ المنازل واسأل امة العرب ما بال سهمك لم يظفر ولم يصب
بني العروبة هذا صوت شاعركم يرمي بكم عربي الدار والنسب
يطوي البلاد اليكم لا ينالبه تحنان مرتحل او شوق مغترب
انا الذي ان شكوتم وقع نائبة انظرت حولي هل تهوي البسيطة بي
أعزّ عليّ بما تلقون من عنتر وما تذوقون من همّ ومن نصب

ولا يمنع ذلك تغزّل اللبناني بلبنان والمصري بمصر والعراقي بالعراق ولكن يمنع هذا التغني الاقليمي الذي ليس فيه الا الضرر الجسيم على الشرق العربي. والذي يلوح لنا من تحليل العواطف الشعرية في مختلف البيئات العربية ان العراق وسوريا وفلسطين في مقدمة البلدان التي تعزز القومية العربية العامة. أما في لبنان ومصر فلا يزال الصراع الروحي قائماً بين الفكرتين وقد بدأت الاقليمية تتراجع قليلاً الى الوراء. وانما هذا التراجع لما طرأ على فكرة الوحدة العربية من تطور في هذه الحقبة الاخيرة

فمعظم الداعين الى الوحدة الآن لا يؤمنون بما كان يؤمن به الدعاة الاولون من توحيد الاقطار العربية في مملكة واحدة. ذلك أمر يرونه بعيد المنال. وانما هم يدعون الى تعاون عام بين تحالف اخوي يشد أزر كل اقليم ولا يمس استقلاله التام. فمصر في رسالة الشعر العربي الحديث ستبقى مصر وكذلك العراق وسوريا وسواها. وستصير كل منها في طريق الحياة مستقلة عن الاخرى ولكنها ستمد الى جارتها يد الاخاء فتهدم من بين هذه الاقطار الحواجز الاقتصادية والسياسية بحيث يشعر كل عربي أينما كان أن كل بلاد عربية هي بلاده وانه اذا اصاب اي قطر عربي حيف فعلى سائر الاقطار ان تهبّ لمساعدته

ان افراد الاسرة الواحدة قد يستقلون بعضهم عن بعض استقلالاً اداريًّا واقتصاديًّا ولكن يبقى بينهم رابطة لا تزول هي رابطة الاسرة التي تجعل منهم اخوة مهما تكن اختلافاتهم في الحياة حتى اذا ألمت بهم ملمة كانوا يداً واحدة فلا يتسنى لغريب ان يستعبدهم او يستذلهم

تلك هي رسالة الشعر اليوم فهل يحققها الزمان أو يمزقها ثم يحمل الى الاقطار رسالة بغير هذا العنوان؟

(١) جريدة النداء (بيروت) ٧ حزيران ١٩٣٣

حديقة المقتطف

باقة اشعار

ابتهال

—

الغبار

—

أفراح هائمة

—

على ضفة الماء

—

اذا استطعت

للشاعر الفرنسي سولي برودوم

[نقلها خليل هنداوي]

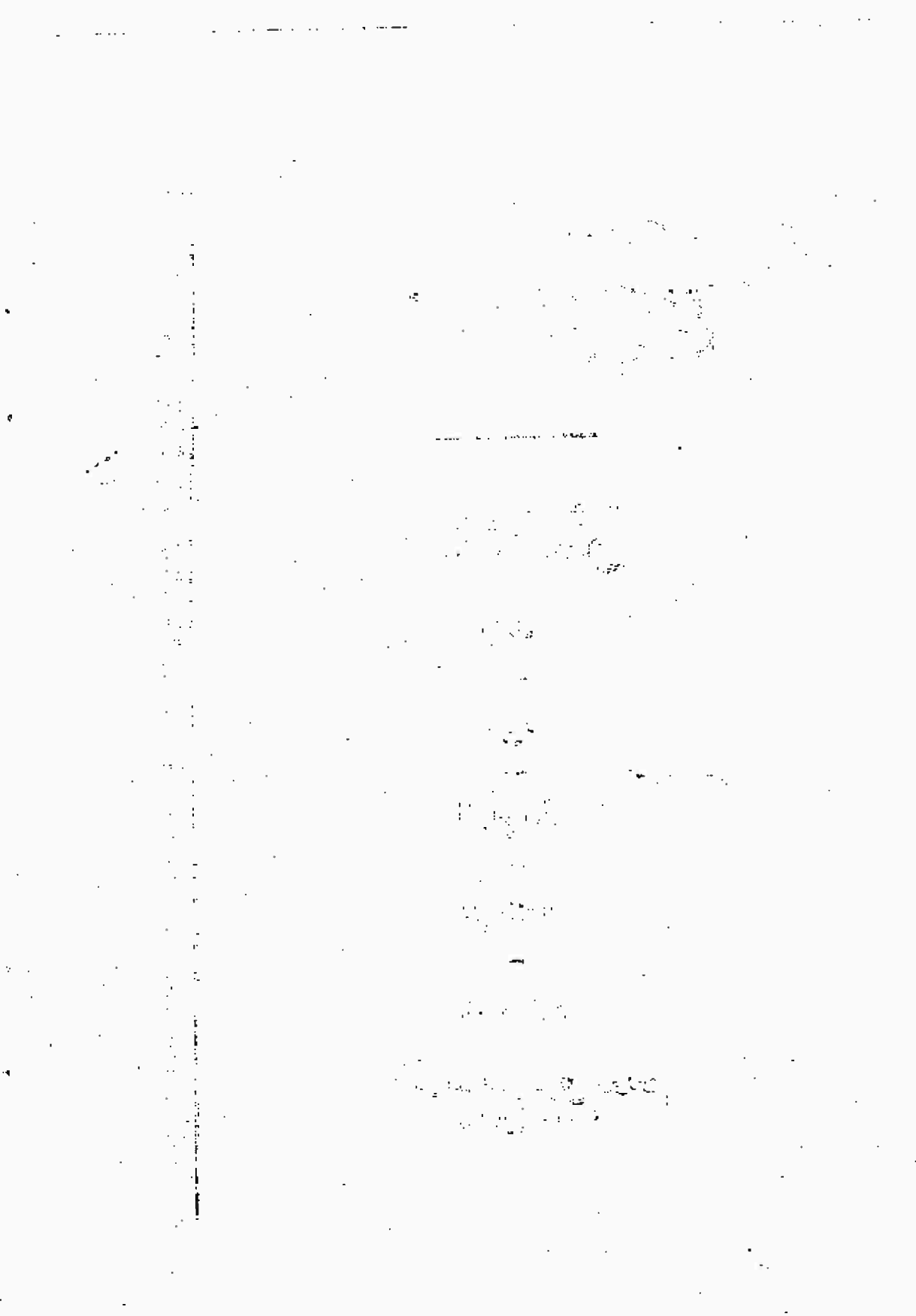

باقة أشعار

للشاعر الفرنسي سوللي برودوم

[نقلها خليل هنداوي]

الابتهال

آه لو تعلمين كيف أبكي وحدتي ووحشتي !
اذاً لخطرت مرة تجاه منزلي

آه لو تدرين ما عسى تولده نظرة بريئة في النفس الحزينة !
اذاً لتطلعتِ علي صدفة الى نافذتي

آه لو تعرفين أي طيب يحمله الى الفؤاد وجود فؤاد !
اذاً لجلستِ على بابي كشفيقة .

آه لو تدركين أني أحبكِ ، أو تعلمين كيف حبي !
اذاً لدخلتِ علي ببساطة وسلام .

***

الضرير

أردت أن احبَّ كل شيء
وإنّي لشقي لأنني عددتُ أسباب شقائي .
انَّ قيوداً لا تُحصى عدداً ، قيوداً واهية شتية في العالم الكامل ،
تذهب من قمي الى الاشياء .

كل شيء يجذبني اليه في خطوة واحدة ، بجاذبية متعادلة .
الحقيقي يجذبني بلمعانه ، والمجهول بأسراره
ولمعة ذهبية مرتعشة تربط قلبي بالشمس
وخيوط طويلة ناعمة تجمعهُ بالنجوم .

الايقاع يقيدني بلحن الجميل
ورقة المخمل بالورود التي أمسُّها
وبسمة أضع قيد عيني ،
وبقبلة ألصبُ قيد في .

حياتي متعلقة بهذه العُقد الواهية
وأنا أسير ألوف من الكائنات التي أحبها
وبأضعف رجفة تثيرها نفخة فيها
أحس ان قليلاً مني ينفصل عني . . .

***

أفراح ثائرة

يدرك الانسان دائماً اسباب شقائه
ولكنهُ يفتش أحياناً عن أسباب سروره
وأني لأيقظ حيناً ساطع النفس
يؤثر فيها رقة غريبة لا أستطيع امساكها

سماء وردية تسطع على وجودي وتغزلي
فأحب كل الوجود ، ودون ان أدري لماذا ؟ اراني أشع !
لكن هذا لا يدوم الا ساعة ، ثم أحس كسرب الظلمات الى نفسي

من أين تقبل انوار هذا الفرح الفجائية ؟
وهذه الفراديس المتفتحة التي لا تُرى الا استشفافاً .
وهذه الكواكب المجهولة في ليل الاعوام ،
التي تجري تاركة أعماق الفؤاد أشد سواداً ؟

هل ليسان قديم يضيء لونه
وريح يولد من رماد الأيام ؟
كنار خامدة تطرح لمة . . .
ام هو التفاؤل السيد لأيام الحب المقبلة ؟

لا . ان هذا الأثر الحق السريع
ليس له ذكرى ولا شعور به
قد يمكن ان يكون سعادة هائمة تسافر ،
وهي — ضالة الفؤاد — ولا تضيء علينا الا لحظة . . .

***

على ضفة الماء

جلسا على ضفة موجة جارية ، ينظرانها تجري
اذا مرت سحابة في الفضاء ، يبصر انها تسري
واذا سطع دخان خلال السقوف ، يرمقان الدخان
واذا عبق حولهما أريج من زهرة ، ملأ نفسيهما بالأريج
وإذا فتتها ثمرة يأكل منها النحل ، اكلا منها
واذا غرد عصفور في الغابة المضيئة اليه ، ألصقا لتغريده
واذا هدر الماء حيث يهدر تحت الصفصافة ، سمعا هديره
وهما لا يحسان — ما دام هذا الحلم — ، بدوام الزمان
ولا يحملان من الهوى العميق ، الا عبادة متبادلة
دون ان يتبرما بخصومات الوجود ، لانهما يجهلانها
وهما وحدهما سيدان تجاه كل ما يحمل السأم ، دون أن يسأما
ويشعران بالحب ازاء كل ما يمشي ، دون أن يمشيا .

اذا استطعت

آه لو استطيع الرواح اليه لأقول له :
« انها لك . وانها لم تمنحني شيئاً ، حتى ولا صداقة .
ليس عندي منها شيء لهذه الناكثة ...
لكنها صفراء شاحبة ...
كن مشفقاً عليها ، رؤوفاً بها .

أصغ اليّ دون ماغيرة
لان جناح هواها لم يستطع شيئاً — ووالهفاه — الاّ أن يمسني خفيفاً
واني أدري كيف تدفع يدها !
ولكن ما أرق نفسها على من سواي !
لا تتركها تبكي أبداً . . .

آه لو استطعت الدنوّ اليه لأقول له .
« انها كئيبة ، متأبية الابتسام ،
أعطها أزاهير كل يوم .
ولكن الزهر الأزرق اكثر من الورود .
لان أعطية الاشياء الحقيرة تؤدي الحب .

أستطيع ان أحيا بالفكرة التي هي عزيزة
عليكما — لا أنا — ولكن قلبي .
أيتها الطفلة الشبهة التي هجرتني أنظري الألم الذي أورثتنيه .
لا أقدر على شيء يعطيك السعادة . . .

يبدأ المقتطف في الشهر القادم في نشر سلسلة من المقالات موضوعها « الحركة الادبية في سوريا ولبنان » بقلم الكاتب والشاعر اللبناني الياس ابي شبكة

سير الزمان

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٨

حوادث فبراير

استقالة ايدن واتفاق روما

الانشلوس

اضطراب الوزارات الفرنسية

الطريق الى مونيخ وسرها

من وستفن الى ليما

الحرب في أسبانيا والصين

جنوده التسلح

أقطاب الرجال

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٨

توطئة

انتهت سنة ١٩٣٧ وأهلّت سنة ١٩٣٨ وليس في أفق السياسة الدولية غيوم تبعث على القلق والجزع الا غيمة الحرب الاهلية الاسبانية. وكان الامل معقوداً حينئذٍ بامكان الاتفاق على تنفيذ مشروع عدم التدخل بسحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا، على ان يلي ذلك توسط يزيل اسبانيا من حلبة السياسة الدولية كباعث من بواعث الاضطراب. الا ان الكتّاب السياسيين الذين ظنوا هذا الظن ما كان في وسعهم أن يتصوروا ما سوف تجيء به السنة الجديدة من الحوادث الجسام، التي غيرت من الخارطة الاوربية وبدلت من أوضاعها السياسية، واقتربت بدول اوربا الكبرى من شفير حرب عامة. فسنة ١٩٣٨ تتصف بأنها كانت أتعس سنة مرت بالعالم بعد انتهاء الحرب الكبرى، ولولا سفت الشعوب الصادق للحرب ويلاتها، وبقية حكمة وتعاقل في رؤوس بعض الاقطاب لكنّا الآن لهاثي من هذه الويلات، مالا يتصوره خيال

حوادث فبراير

لعل شهر فبراير من سنة ١٩٣٨ كان أهم شهر في السنة الماضية ما عدا شهر سبتمبر، من ناحية الحوادث التي حدثت فيها. بل لعل الحوادث الخطيرة التي حدثت في سبتمبر وكادت تزج العالم في حرب طاحنة، ترتد الى الحوادث التي حدثت في شهر فبراير

كانت عادة الهر هتلر ان يدعو الرخستاج في يوم ٣٠ يناير من كل سنة — وهو عيد تقلده منصب المستشار وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ — فيلقي عليه خطبة يلخص فيها اعماله واحوال المانيا في عهد النظام الوطني الاشتراكي، ثم يلمح أو يصرح ببعض ما ينويه في المستقبل. ولكن انقضى ٣٠ يناير من سنة ١٩٣٨ والرخستاج لم يجتمع لسماع الخطبة التي جرت بها التقاليد، فأخذ الناس يسألون عما يدور في طي الخفاء في المانيا، ولكنهم لم يلبثوا بضعة أيام حتى انكشف الغطاء اذ أعلن في يوم ٤ فبراير ان المارشال فون بلومبرج، وزير الحربية، والجنرال فون فرتش قائد الجيش قد استقالا وان سبعة من قواد الجيش وستة من قواد سلاح الجو قد أحيلوا على المعاش: وعين الجنرال فون براوشتش قائداً للجيش وتقلد الهر هتلر نفسه القيادة العليا للقوات المسلحة وعين الجنرال فون كايتل رئيساً لاركان حربه

ولم ينتصر عمل « التطهير » على ضباط الجيش بل امتدت يد النقل والتبديل الى وزارة الخارجية ، فنقل البارون فون نويراث وزير الخارجية رئيساً لمجلس سري يستشيره الهر هتلر في الشؤون الدبلوماسية وعين الهر فون ريبنتروب سفير المانيا في لندن وزيراً للخارجية واجرى تبديل في مناصب السفراء والوزراء المفوضين

فكانت هذه الحوادث ايذاناً بتفوق العنصر المتطرف في مجالس الحزب الوطني الاشتراكي على العنصر المعتدل واشارة الى ما قد يحدث في المستقبل القريب . وفعلاً لم ينقض اسبوع على هذا الحادث حتى دعي الدكتور شوشنج مستشار النمسا الى برختسجادن حيث أبلغه الهر هتلر — وكان يحيط به اقطاب الحزب والجيش — ان النمسا تتصرف تصرفاً لا يليق بدولة جرمانية او هو تصرف مناقض لاتفاق ١١ يوليو ١٩٣٦ وأملى عليه وجوب تعديل وزارته بحيث يدخلها الهر تسايس انكوارت النازي النمسوي وزيراً للداخلية . وقد حاول الدكتور شوشنج في هذا الاجتماع أن يؤيد موقف حكومته والدفاع عن استقلال النمسا باجراء مشروع لأخذ النمسا بالمنقب قبل انهُ وجد في مقر الحزب النازي النمسوي ، ولكن الغضب البادي في حملة الهر هتلر عليه ، ومظاهر القوة ممثلة في انقلاب الجيش أقنعاه بالخطر الذي يواجههُ فخرج من برختسجادن ، عائداً الى فينا وهو مغلوب على أمره

وأعلن في المانيا ، ان الخطبة التي كان ينتظر ان يلقيها الهر هتلر يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٨ سيلقيها في ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨ وما كاد مساء عشرين فبراير المذكور ينتهي حتى كانت الخطبة قد أُلقيت ، ولكن اسلاك العالم البرقية كانت مشغولة حينئذٍ بنبإ حجمها ، نعني نبأ استقالة المستر انطوني ايدن من وزارة الخارجية البريطانية

استقالة ايدن واتفاقه مع روما

كان الخلاف بين المستر ايدن والمستر تشمبرلين قد بلغ أشده في ذلك اليوم على موضوع التفاهم مع ايطاليا . فايدن من اولئك الساسة المثاليين الذين أملت عليهم معرفتهم بوقائع الحالة الدولية ان يقف موقفاً حازماً ، من مطامع البلدان الدكتاتورية ، والوعود التي تقطعها ثم تتنكر لها . والمستر تشمبرلين من اولئك الساسة العمليين ، الذين يتبرون الاعمال السياسية كالاعمال التجارية التي تُرجى في احضانها . فالاول لا يريد أن يتفق مع ايطاليا الا اذا أقامت الدليل الفعال على حسن نيتها بتصفية المسألة الاسبانية ، والثاني يعتقد ان التفاهم معها مستطاع بقليل من حسن النية . وتعذر على المستر ايدن ان يقتنع بموقف رئيسه ، فاستقال فهزت استقالته الوزارة البريطانية ، ولكن ما لبثت الحالة الداخلية في بريطانيا حتى استعادت استقرارها وعين لورد هاليفاكس — نائب الملك سابقاً في الهند — وزيراً للخارجية محل المستر ايدن

ومن ثم أقبل المستر تشمبرلين على بذل الجهد للتفاهم مع ايطاليا (٢١ فبراير)، وعهد بجراء المفاوضات الى لورد بيرث سفير بريطانيا في روما ، فاتصل بالكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا لهذا الغرض مدى شهرين تقريباً . فلما حدث حادث ضم النمسا الى الرايخ الثالث في أوائل مارس — وسبحيء ذكره فيما يلي — كان لهذا الحادث صدى كبير في نفوس الايطاليين ، فاستعجلت المفاوضات الدائرة بين بيرث وتشانو حتى انتهت الى اتفاق روما المشهور الذي وقع في روما يوم ١٦ ابريل قبيل أحد الفصح المجيد ،

وقد انطوى هذا الاتفاق على بروتوكول وثمانية ذيول واتفاق حسن جوار تشترك فيه مصر ورسائل عدة تبادلها الكونت تشانو ولورد بيرث ووزير مصر المفوض في روما . أما البروتوكول فقد أكدت فيه رغبة الدولتين في وضع العلاقة بينهما على أساس دائم يعزز قضية السلام وانه متى وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ تجري مفاوضات لوضع اتفاقات خاصة بحدود السودان وكنيا والصومال البريطاني من ناحية وشرق افريقية الايطالي من ناحية أخرى . أما الذيول فأحدها أكد الاتفاق الانكليزي الايطالي الذي وقع في روما في ٢ يناير ١٩٣٧ خاصاً بالبحر المتوسط والمحافظة على الحالة الراهنة فيه وفي نية ايطاليا أن تبدل من موقف اسبانيا وممتلكاتها، ونص آخر على تبادل المعلومات الخاصة بالاعمال الادارية وتبديل توزيع القوات البحرية والجوية والبرية في الاراضي الواقعة على سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج عدن وغيرها اجتنابا لسوء الظن، وفي ذيل آخر تعهدت الدولتان باحترام وحدة واستقلال المملكة السعودية واليمن واتفقتا على أنه من مصلحتهما ألا تتدخل دولة ثالثة هناك . وعالج الرابع موضوع الدعاية في الشرق الادنى وخامس موضوع بحيرة ناما وفي السابع والثامن تعهدت ايطاليا بألا تجند من الاحباش الا ما يلزمها لاعمال البوليس والدفاع المحلي

أما في المذكرات التي تبودلت فقد تعهدت ايطاليا بتقص قواتها في ليبيا بمعدل ألف في الاسبوع حتى تصبح قواتها هناك في منزلة القوات المألوفة إبّان السلام . وتعهدت بريطانيا بأن تبذل مساعيها اللازمة في مجلس عصبة الامم للاعتراف بالسيادة الايطالية أو لازالة العراقيل التي تحول دون الاعتراف بالسيادة الايطالية في الحبشة . واشترطت بريطانيا ألا ينفذ الاتفاق الا بعد تسوية المسألة الاسبانية ، ولكن لم يبين معنى « التسوية » وكيف تكون

وعلى هذا وقع اتفاق روما في ١٦ ابريل ، وبدا لمتتبعي السياسة البريطانية أن تشمبرلين نجح حيث اخفق ايدن مع ان كثيرين ظلوا يعتقدون ، ان اسبانيا — وهي الحلك لحسن نية ايطاليا — ستوقظ أتباع تشمبرلين الى خطأهم وتفهمهم الى حقيقة الحال ، ولكنهم ظلوا على رأيهم هذا ، حتى ١٧ نوفمبر عندما اقترح المستر تشمبرلين تنفيذ الاتفاق . فانهم اعترضوا عليه ، بأن سحب

عشرة آلاف من الشاة الايطاليين من اسبانيا ، لا يمكن ان يعتبره عاقل حلاً او تسوية للمسألة الاسبانية وما تنطوي عليه في حالتها الحاضرة من الخاطر الاستراتيجية لانكلترا وفرنسا . الا ان المستر تشمبرلين فاز على منتقديه في مجلس النواب ، فأقر اقتراح ابرام الاتفاق وتنفيذه لان الحزب المحافظ كان من ورائه بشد أزره

وبعد توقيع الاتفاق في ابريل ، عقد مجلس العصبة اجتماعه الدوري في مايو ، وحضره لورد هاليفاكس واقترح فيه ان يُحَلَّ أعضاء العصبة من القرار السابق الذي صدر « عدم الاعتراف » بأي تبديل جغرافي يتم بالقوة ، فقبل الاقتراح ، وكذلك حلت بريطانيا وفرنسا من قيد « عدم الاعتراف » ، وفي نوفمبر أرسلت الاولى اوراق اعتماد جديدة الى سفيرها في روما موجهة الى « الملك والامبراطور » فكان ذلك ايذاناً بالاعتراف الموعود ، وجارتها فرنسا فعينت المسيو فرنسوى بونسيه سفيرها سابقاً في برلين سفيراً في روما وارسلته بأوراق اعتماد موجهة الى الملك والامبراطور كذلك ، بعد ان ظلت سفارتها في روما نحو سنتين لا يشغلها الا موظف من درجة قائم بأعمال

الانشلوس

عودة بسيرة الى الوراء . فقد قلنا في ما تقدم ان الهر هتلر أنذر الدكتور شوشنج بوجوب تعيين الهر تسايس انكوارت وزيراً للداخلية فعينه في ١٦ فبراير . ولكن ما عاد شوشنج الى فينا مغلوباً على أمره ، واتصل ببعض العناصر الراغبة في المحافظة على استقلال النمسا ، حتى استرد قليلاً من شجاعته وقوته المفقودتين في برختسجادن أمام مظاهر القوة الناشعة ، وأعلن في خطبة حازمة اللهجة ان التسليم له حدود يقول عندها « الى هنا وكفى » . وكان ذلك اشارة منهُ الى نشاط النازي النمسوي . ثم اعلن انه ينوي اجراء استفتاء يدور حول استقلال النمسا في ١٣ مارس ، فأحدث هذا القرار صدى غريباً في دوائر النازي الالمانية ، التي كانت تطالب دائماً بالاستفتاء اعتماداً على قوة اتباعها من النمسويين . ولكنها أبت ان توافق عليه الآن ، واعتمدت في ابائها على ان قرار الاستفتاء ليس من حق رئيس الحكومة ، وعلى ذلك ارسل الهر هتلر انذارين في ١١ مارس الى فينا طلب في الاول الغاء الاستفتاء وفي الثاني طلب استقالة الدكتور شوشنج وتأليف وزارة اخرى محل وزارته يكون ثلثاها من النازي النمسوي ، فاستقال الدكتور شوشنج في مساء يوم ١١ مارس منعاً للحرب وحقناً للدماء لعلمه بما يتوقع اذا أصر على البقاء في منصبه والدفاع عن استقلال النمسا . وفي يوم ١٢ مارس اجتازت الجيوش الالمانية الحدود النمسوية ودخل الهر هتلر مدينة لنز دخول الظافرين وصدرت في يوم ١٣ مارس مراسيم في برلين وفينا

أعلنت ان النمسا اصبحت جزءاً من الريخ الالماني وفي يوم ١٤ مارس دخل الهر هتلر فينا. وفي ١١ ابريل اي بعد انقضاء شهر على استفتاء الامر الناري في النمسا حدث الاستفتاء النمسوي الخاص بالانضمام الى الريخ فكانت الموافقة على هذا الانضمام ٩٩ في المائة

اضطراب الوزارات الفرنسية

حدثت حوادث النمسا وفرنسا بغير وزارة. ذلك ان المسيو شوطان كان قد استقال المرة الثانية في سنة ١٩٣٨ وقد كانت استقالته الاولى في ١٤ يناير فقبلت وقضى رئيس الجمهورية خمسة ايام في استشارة الزعماء وعهد الى غير قطب واحد بتأليف الوزارة التي تليها. فعجزوا وأخيراً تمكن شوطان من تأليفها ثانية في يوم ١٨ يناير، فكان تأليف هذه الوزارة الشوطانية قائماً على حزب الراديكاليين الاشتراكيين دون الاشتراكيين، اي ان وزارة شوطان هذه كانت دليلاً على تصدع الجبهة الشعبية التي تألفت في سنة ١٩٣٦ وفازت في الانتخابات النيابية تلك السنة وكان قوامها الراديكاليين الاشتراكيين والاشتراكيين والشيوعيين. الا ان وزارة شوطان التي تألفت في ١٨ يناير لم تلبث حتى سقطت في ١١ مارس — يوم الانذار الالماني للنمسا — وفي اليوم التالي والذي يليه تم « الانشلوس »، وكان الرئيس قد عهد الى المسيو بلوم زعيم الاشتراكيين، فحاول ان يؤلف وزارة قومية يمتد أساسها من يمين الوسط الى يسار الاشتراكيين فأخفق في ذلك فاكتفى بتأليف وزارة على طراز وزارته الاولى اي وزارة مستندة الى تأييد الاشتراكيين والراديكاليين الاشتراكيين. ولكنها لم تعمر لانها اصطدمت بمجلس الشيوخ الذي عارض في برنامجها الاقتصادي المالي وأبى ان يمنحها السلطة المطلوبة فأثرت الاستقالة على احداث ازمة دستورية في حين ان الاخطار الخارجية كانت تهدد البلاد، وكان ذلك بعد انقضاء شهر او نحو شهر على تأليفها، فدعي المسيو دالاديه الى تأليف الوزارة الجديدة، فأسسها من الراديكاليين الاشتراكيين وبعض من أيدهم من أحزاب الوسط، وبذلك زال ظهر الصدع في الجبهة الشعبية، فلما تقدمت هذه الوزارة الى المجلس في دسمبر بعد عودته الى الاجتماع، تم انهيار الجبهة الشعبية عندما اقترع الاشتراكيون والشيوعيون ضد دالاديه، ولم تفز الوزارة على خصومها في المجلس الا بتأييد احزاب الوسط واليمين

هذا التقلب في الوزارات الفرنسية مظهر للقلق الذي يسود البلاد. فالحالة الاقتصادية متفاقمة فيها، العمال لا يرضون بديلاً عن التشريعات التي تمت لمصلحتهم في عهد بلوم الاول، واصحاب الاموال يرون في هذه التشريعات سبيل الخطر على أموالهم، فلا يرضون بابقائها في فرنسا خوفاً عليها والحكومة واقفة بين المطرقة والسندان، تريد زيادة العمل في المعامل لكي تنجز أعمال

الدفاع بحيث تصبح القوة الحربية متكافئة وتكافؤ البلاد الدولية ، وهذا لا يكون الا بزيادة ساعات العمل ، وبمورد رؤوس الاموال ، ومن هنا المراسيم التي استصدرها المسيو رينو وزير المالية الجديد ، التي جعلت اتحاد العمال على اعلان اعتصاب عام فاجابهُ المسيو دالاديه بالحزم فلم يصب القائلون بالاضراب الا قسطاً يسيراً من النجاح ، وكان القسط الاكبر من النجاح في جانب الحكومة . لكن هذا لا يعني ان وزارة دالاديه ثابتة ، مستقرة ، وان الحوادث الخارجية تقضي على الفرنسيين بالاتحاد ، والاتحاد الصادق غير مستطاع ما زال هناك شعور بالخوف . ولولا الخطر الخارجي لما رأينا في فرنسا حتى مظاهر الاتحاد . فالمستقبل في فرنسا قاتم على ما يلوح لنا الآن

ومما لا ريب فيه الآن ان فرنسا غدت بعد حوادث السنة الماضية دولة من الطبقة الثانية في اوربا ولا سيما بعد ضم النمسا وانهيار نظام تحالفتها في اوربا الوسطى والشرقية على اثر مونيخ

الطريق الى مونيخ ومنها

الطريق الى مونيخ مرّ بمكدن في منشوكو ثم بأديس ابابا في الحبشة ثم ببناو في اسبانيا ثم بنيما عندما تم الانشلوس . وكان الطريق محفوفاً على جانبيه بألواح كتب عليها «لا تخفض السلاح الا بعد ضمان السلامة» (فرنسا) و «أطلقوا الرصاص على هؤلاء الكلاب» (روسيا) و «احرصوا على الابتعاد عن اوربا» (اميركا) و «انقذوا العالم من الحرب» (دعاة السلام في كل ارض)

هذا الطريق المفروش بصرعى منشوكو والحبشة واسبانيا الجمهورية والعقوبات هو الطريق الذي أفضى الى مونيخ ، فأضيف الى الاشلاء التي فرش بها شلو تشيكوسلوفاكيا

لم يطل الاطال على ضم النمسا حتى بدأ كل مشتغل بالسياسة الدولية يقول ومتى يجيء دور الالمان السوديت . والواقع ان دور السوديت جاء في مايو ولكن حزم الحكومة التشيكوسلوفاكية حال حينئذٍ دون المأساة التي مثلت في سبتمبر ، إذ سارعت الى التعبئة ولو وقعت حوادث على الحدود حينئذٍ لأفضت الى نشوب الحرب ، ولخاضتها فرنسا حتماً . وانقضت أزمة مايو ولكن مشكلة السوديت لم تنقض

ما العمل ؟ بريطانيا تعلن بلسان رئيس وزرائها انها لا تستطيع ان تقف بمعزل عن حوادث أوربا الشرقية . وفرنسا تؤكد غير مرة لوزير تشيكوسلوفاكيا في باريس ، بأنها عازمة على تنفيذ المعاهدة التي تربطها ببراج . والصحف الالمانية ، ومحطات الاذاعة الالمانية لا حديث لها الا مصائب السوديت وما يتعرضون له كل يوم من صنوف الاضطهاد . والفوهرر هتلر يخطب فيطلب ان تكون السوديت دولة داخل دولة . ولكنهُ لم يشر مرة الى الضم الصريح حتى تكرم به الستر تشمبرلين بعد اشارة اليه في التيمس

يوليو مضى على ذلك وأغسطس ثم جاء شهر سبتمبر الضغط من ناحية المانيا يزداد . والمارد رلسمن يحاول ان يدع حلولاً بغية التوفيق . ولكن ما فعله رلسمن في الواقع كان ان عدد التشيكوسلوفاكيين فكرة التسليم بقليل هنالك ، حتى اذا جاءتهم الضربة الكبرى ، كانت مشيئة المقاومة فيهم قد انكسرت، وكذلك ضمن تشمبرلين ولادلديه سلامة لندن وباريس، على حساب تشيكوسلوفاكيا . بين رحلة تشمبرلين الى برختسجادن ورحلته الى جودسبرج تراوح الامل بين الشعوب ، بأن يغلب الحل المعقول او تغابل القوة بالقوة ، فلما كانت رحلة مونيخ ، كان التسليم فيها بأكثر مما طلبه الهر هتلر في مذكرة جودسبرج التي ألقاها تشمبرلين الى براج وأبى ان يتحمل تبعة الاشارة بهبوطها

وكذلك تغيرت خارطة أوربا للمرة الثانية في خلال ستة أشهر فضمت الى المانيا مناطق من تشيكوسلوفاكيا فيها المان وفيها تشكيون وفيها صناعات وماجم وخط من الحصون عظيمة الشأن « وتشت » بولندة منطقة تشن . وأخذت هنغاريا منطقة في الجنوب . وصحت سلوفاكيا استقلالاً ذاتياً . وأصبحت تشيكوسلوفاكيا المبتورة تابعاً يدور في فلك المانيا السياسي والاقتصادي وغدت بلدان أوربا الوسطى وشرقها الجنوبي ، تتراءى على أقدام المانيا ، لانها وقد كانت في الماضي تعتمد على فرنسا في الغالب ، أمست وهي لا تستطيع الاعتماد عليها ، بعد تحصين منطقة الرين وانهيار قلعة التشيك

وما نالت انكلترا ؟ سلاماً مؤقتاً وتصريحاً بأن المشكلات تحل بعد الآن بالمباحثة وبغير حرب وبأن الهر هتلر لا مطالب له في اوربا خاصة بالاراضي وأن مشكلة المستعمرات ان تحل بالقوة . ثم ذهب فون ريبتروب الى باريس ووقع تصريحاً من هذا القبيل مع المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا

ولكن لم يكد يجف حبر التصريح الاول — هتلر تشمبرلين — حتى شرع الهر هتلر واقطاب حكومته يخطبون فيحطون في خطبهم على ايدن وتشرتشل ودف كوبر وجريفوود ثم أخيراً على بلدوين . فلما علم من عهد قريب ان خطبة المستر تشمبرلين في مأدبة الصحافيين الاجانب بلندن ستنطوي على تقريع بسيط للصحف الالمانية لانها حملت على بلدوين ، قاطع جميع الالمان من دبلوماسيين وصحافيين — المأدبة التي كانوا قد دعوا اليها وقبلوا الدعوة !

أما ايطاليا فما كادت تفوز بعد مونيخ بالاعتراف بامبراطوريتها الحبشة من قبل انكلترا وفرنسا على ما مر بك ، حتى شرعت تطالب بتونس وكورسيكا وساقويا ونيس وتعديل نظام ترعة السويس ، في مظاهرات عامة في مجلس النواب الايطالي وفي الشوارع وفي الصحف ، في الوقت الذي كان فيه الهر ريبتروب يوقع مع المسيو بونيه تصريح « لاحرب » في باريس

وهذا ليس الا قليلاً مما يقال في الطريق الذي افضى الى مونيخ والطريق الذي يمتدُّ منها الى المستقبل

من وشنطن الى لجما

الاتجاه بين جمهوريات الفارتين الاميركيتين الى عقد الخناصر على الاستعداد لمقاومة كل تدخل سياسي أو ايديولوجي في نصف الكرة الغربي . وهذا يفسر النفقات الهائلة التي أقرتها حكومة الولايات المتحدة الاميركية في خلال السنة الماضية لتعزيز اسطولها الجوي بحيث يبلغ عشرة آلاف طيارة للخط الاساسي أو اكثر ، وتعزيز اسطولها البحري بحيث يصبح لها اسطولان كبيران احدهما في المحيط الهادىء والثاني في المحيط الاطنطيقي

ولا ريب في ان نداءي الرئيس روزفلت كانا ذا شأن كبير في حسم ازمة سبتمبر بغير امتشاق الحسام ، ولكن الرئيس أعرب مع ذلك — بعيد عقد اتفاق مونيخ — عن رأيه في ان السلام لا يستقرُّ في نصابه الحقيقي بالتهديد بالحرب . ثم لمح وصرّح غير مرة ، هو وبعض اعضاء وزارته الى الشدة في معاملة اليهود في المانيا ولا سيما مروي عن المصائب التي عرضوا لها بعد مقتل فون راس في باريس . وقد استدعي السفير الاميركي من برلين ، لمشاورة الرئيس عن كثب ، ولكن قيل انهُ قد لا يرجع الآن الى برلين ، فكان هذا العمل من جانب وشنطن تقريعاً للحكومة الالمانية فاستدعت هي الاخرى سفيرها في وشنطن متوسلة بالعذر نفسه . والعلاقات الالمانية الاميركية سائرة بوجهٍ عام نحو التوتر والجفاء

ويلوح من تتبع الرأي العام الاميركي انه بدأ يتحجر ضد المانيا يدلك على ذلك رد وكيل وزارة الخارجية الاميركية المستر سومنر ولز على القائم باعمال السفارة الالمانية في وشنطن عندما جاءه يحتج على ما قاله وزير الداخلية الاميركية — هارولد ايكس — من تعريض رجال الحكومة الالمانية في خطبة لهُ . فقد رد عليه المستر ولز بأنهُ لا يرى وجه الحق في احتجاجه حالة ان كتاب الصحف الالمانية المقيدة بأوامر الحكومة ، بل ورجال النظام القائم أنفسهم يكتبون ويخطبون ويطوون كتاباتهم وخطبهم على اقوال فيها أشد تعريض بالرئيس وبرجال الحكومة الاميركية ، ثم وجه نظر القائم باعمال السفارة الالمانية الى ان اقوال المستر ايكس تعرب عن رأي وشعور الاكثرية الساحقة من الاميركيين

فاذا أضيف الى ذلك استدعاء البرازيل لسفيرها من برلين واجتماع مؤتمر الجامعة الاميركية في عاصمة بيرو (٩ ديسمبر وبعده) حيث أجمع الرأي على استنكار التغلغل النازي والفاشيستي في العالم الجديد أثبت لنا ذلك ان الاتجاه العام في جمهوريات القارتين الاميركيتين ضدّ الدكتاتوريات الاوربية الكبيرة فاذا استمر على ذلك في السنة الجديدة كان ذا أثر حاسم في موقف انكلترا وفرنسا

الحربان في أسبانيا والصين

في ٧ يوليو انقضت سنة على غزوة اليابان للصين ، وفي ١٨ يوليو انقضت سنتان على بدأ الحرب الاهلية الاسبانية . ولا تزال الحربان تقتضيان من البشرية ضحايا كثيرة . فاليابان ماضية في غزوتها ، حتى غدت اكبر مدن الصين في قبضتها . فقد خلصت سنة ١٩٣٧ باحتلال مدينة نانكين واحتلت في اواخر سنة ١٩٣٨ مدينتي كانتون في الجنوب ، وهانكو في القلب وهي المدينة التي اتخذها الصينيون مقراً لحكومتهم بعد احتلال نانكين . ولكن موقفها العسكري في الصين لايزال على ماكان بوجه عام . فهي لاتحتل مناطق واغا تحتل نقطاً وخطوطاً . النقط هي المدن وعقد المواصلات . والخطوط هي السكك الحديدية . اما هدفها العسكري الاصيل وهو كسر شوكة الجيش الصيني ، واقصاء شانغ كاي شيك عن مقام الزعامة في الصين فما تزال بعيدة عنه . وهي لذلك تواجه في الصين مشكلة يواجهها كل غاز عسكري لبلاد واسعة مترامية الاطراف وهي مشكلة ابقاء جيش عظيم في المناطق الواسعة التي تحتلها لحفظ الامن فيها لان الشعب غير مضمون الى الفزاة والعصابات كثيرة متبثة في طول البلاد وعرضها تضرب هنا ثم هناك ثم تختفي لتظهر في مكان آخر وعلى الرغم من مظهر النجاح الباهر الذي يبدو على اعمال اليابان العسكرية في الصين ، لاتزال مهددة في مصيرها . فهي لاتزال عاجزة عن كسر مشيئة المقاومة في الشعب الصيني ، وفصم الصلة بين الزعيم وشعبه . فالغزوة الصينية قد تحولت الآن الى نضال صبر ، بين صبر الصينيين على ويلات الغزوة ، وبين صبر اليابانيين على ما تقتضيه هذه الغزوة من النفقات والمتاعب المالية والاقتصادية

اما في اسبانيا ، فقد أحرز الجنرال فرانكو في مارس ومستهل ابريل انتصارات باهرة مكنت جيوشه من الوصول الى ساحل البحر المتوسط بين برشلونة وبلنسية وكان الرأي ان الحكومة الاسبانية لا تستطيع ان تصمد طويلاً في وجه هذا التيار العسكري الحاسم ، ولكن قوات الحكومة الجمهورية صمدت لقوات الجنرال فرانكو عند نهر الايرو وكبدتها خسائر كبيرة بل وفازت عليها غير مرة وقد انقضى الصيف والخريف ودخل الشتاء ببرده القارس وامطاره وثلوجه والموقف من الناحية العسكرية جامد بين الفريقين ، لولا بعض تحول غير حاسم فيه

أما من الناحية الدولية فلا تزال مهزلة عدم التدخل قائمة واذا كان سحب العشرة الآلاف من المشاة الايطاليين مهد لتنفيذ اتفاق روما، فلا تزال الحكومتان البريطانية والفرنسية تعارضان في منح الجنرال فرانكو حقوق المحاربين ، يقابل هذا ان رغبة ايطاليا والمانيا في فوز الجنرال النهائي ما تنفك قائمة ولذلك ستبقى الحرب الاهلية الاسبانية حافلة بالخطر من الناحية الدولية

مشروع التسلح

بلغت برامج التسلح خلال السنة الماضية حدها الاقصى بعد الحرب الكبرى . وحسبنا تمالي اذا قلنا ان الدول انفقت عليها خلال هذه السنة عشرة آلاف مليون جنيه . وذلك لانها جميعاً كما تزعم تبغي أن تعزز قوى الدفاع لكي تذب عن حياضها اذا هاجمها مهاجم . واذا كانت جميع الدول لا تنوي الاعتداء فمن يجرؤ الخطر اذن ؟

وليس الباحث بحاجة الى الحكمة الخالصة والنظر النافذ الى المستقبل لكي يدرك ان هذه الاموال التي تنفق في مواد لا تضلع للتبادل ، تصرف الصناعات عن عملها الحقيقي ، وتشغل الوفاً وعشرات الالوف من العمال بصنع بضائع — واي بضائع ! — ليست من البضائع المألوفة في عهد استتباب الطمأنينة والسلام . فقدت الحكومات الآن بين المطرقة والسندان . صنع الاسلحة والذخائر يحل مشكلة التعطل عن العمل في بلدانها — على تفاوت بينها — فلا يسعها الانصراف عنهُ الى اعمال الصناعة والتجارة المألوفة فجأة ، حتى لا تتلقفها موجة طاغية من التعطل عن العمل قد تفضي الى ثورة اجتماعية ، ولا يسعها في الوقت نفسه ان تمضي في هذا الانفاق الطائل الذي يكاد ينتفض ظهر رجال الضرائب ، وهذا علاوة على ما ينهكُ تكدس الاسلحة من روح الحرب او جوهرها

وليست الدول الكبيرة ، التي لها موارد غنية من الثروة هي وحدها المقبلة على هذا النوع من الترف الجنوني — كان مشروع المستر تشمبرلين قبيل تقلد رئاسة الوزارة ان تنفق بريطانيا على تعزيز قواها ٧٥٠٠ مليون جنيه في ثلاث سنوات فتبين خلال هذه السنة ان المبلغ سيكون اقرب الى ٢٥٠٠ مليون جنيه منهُ الى ١٥٠٠ مليون ومع ذلك عاد المستر تشمبرلين من مونيخ وهو يقول انهُ لا بد من القوة حتى تستطيع ان تعزز كلمة انكلترا بالمقام اللازم في مجامع الدول وهذا يعني ان انكلترا لم تنل على جانب كاف من الاستعداد الحربي عندما اشتدت ازمة سبتمبر الماضي — بل الدول الصغيرة ترهق جميع مواردها وترهن هي والكبيرة ، مستقبل الاجيال القادمة لكي تكدس طائرات وقنابل واسلحة ، يعلم جميع متقدمي العلوم والمخترعات الحديثة انها اذا كانت من الطبقة الاولى الآن فانها ستصبح قديمة لا يؤبه لها كثيراً بعد سنوات . وقد اصيب القطر المصري بهذه الموجة الطاغية فتعرض من ناحية ما يقضيه الواجب وتحتمه المصلحة القومية لاعباء مالية ثقيلة ، وقد تكون مرهقة

كانت الحضارة تباهي بأن رفع مستوى المعيشة غرض تطلبه الحكومات بكل ما في جهدها ولكن الجهد عاد لا يجدي كثيراً في هذه الايام ، لان ما يغتق جزافاً على التسلح ، قد بدأ يؤثر

في دول بينها حيث هبط مستوى المعيشة هبوطاً محسوساً ، ولا بد ان يؤثر طويلاً أم قليلاً في الشعوب الاخرى . وهذا وحده كاف — اذا لم نشب حرب تحصد الاخضر واليابس — لان يراجع اهل الحل والربط انفسهم في ما يكبدونه لشعوبهم وللاجيال التي تليهم في حين يتقلدون امرهم يعززون الهية ويرفعون اللم . ان ذرة واحدة من الفلسفة تكفي لاقناعهم بأن كل ذلك باطل ولكن اينها في بلاد كانت وهيجل ؟ أينها في بلاد سرفنس اوريليوس وتوما الاكويني ؟ اينها في قارة افلاطون ؟ إلى هذا انتهى تعاليم الفلاسفة وغيرهم من بناة الحضارة ؟ إما الى هستة مسلحة واما الى فتال مدمر ؟ انكلترا تنفق ما يزيد على ٥٠٠ مليون جنيه في السنة ، وفرنسا مايقرب من ذلك ، والمانيا ما هو اقرب الى الالف منه الى نصفه ، واميركا لا تتكلم على ماديتها الا بالارقام الفلكية . حتى بولندة قررت انفاق ثمانين مليوناً من الجنيهات علاوة على ميزانية الدفاع العادية ، وايطاليا المرهقة بتعمير الحبشة وتوفية نفقات حربها فيها ونفقات متطوعيها في أسبانيا ، ماضية في الاضافة اضافات كبيرة الى أسطولها الجوي وأسطولها البحري معاً . لقد غدا العالم وهو في غمرة التسلح هذه ، وهو كأنه طائرة سريعة مندفعة بأقصى سرعتها . فاما ان تمضي في سبيلها لتبقى في الجو واما ان تهبط وتتحطم اذا وقف محركها فجأة . اما الحل الوسط ، وهو ان يأخذها سائقها بالرفق فيخفف من سرعتها قليلاً قليلاً حتى اذا استطاع الهبوط الى الارض فعل ذلك آمناً مطمئناً — فأين من يعنى به من أقطاب الحكومات ؟ ان حوادث السنة الماضية تقنطنا بان صوت العقل قد خفت — خلالها على الاقل — وارتفع صوت الغريزة المسعورة

اقطاب الرجال

— كانت الخسارة الكبرى بين اقطاب الامم ، في السنة الماضية في وفاة كمال أتاتورك منشىء تركيا الحديثة . ومن غريب ما يسجله التاريخ ، انه مرض في اكتوبر مرضاً أشفى فيه وقطع الامل منه ، ولكنه تغلب على المرض بعزمه أن لم يكن بسليم جسمه ، فاستطاع ان يعيد مع امته العيد الخامس عشر للجمهورية التركية في ٢٩ اكتوبر الماضي ، ثم عاوده المرض ، وكأنه قضى آخر لبانه من الحياة باشتراكه في هذا العيد ، فأسلم الجسد الفخر الى التراب والروح الى خالقها

— وخسر جميع المشتغلين بالشؤون العالمية على اساس التعاون المثل في عصبة الامم الدكتور ادوار بنش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، الذي استقال بعد ان رأى الصرح الذي بناه على محالفة فرنسا وصداقة انكلترا قد انهار بعمولها . ولعله حين يخرج من عزلته يكون وهو خارج منصة الحكم عاملاً افعل في العودة بالعالم الى مهبع العقل والتعقل منه وهو فيها

— اما زيارة رجال السياسة فقد اصبح حادثاً لا نعلم مدى ما تحمله به من شأن ولكن زيارة الملك جورج والملكة الزابث لفرنسا تخرج عن الزيارة المألوفة وكذلك زيارة أمير هتلر لايطاليا . فالثانية كانت في مايو والاولى في يوليو ، وكان لكليتهما مغزى سياسي واضح

***

من الطبيعي ألاَّ نكون قد اجملنا في هذه الصفحات الموجزة جميع حوادث السنة الماضية ولكننا نعتقد اننا اجملنا اهم الحوادث التي كانت ذات شأن في التيارات السياسية العامة ، فنحن لم نشر بكلمة واحدة مثلاً الى حادث الخلاف بين روسيا واليابان في اغسطس الماضي على موقع فوكنيج ، ولا على خلافهما المتجدد في آخر كل سنة على المصايد . وقد اهملنا كذلك رحلة الملك كارول الى غرب اوربا ، ومصرع رئيس الحرس الحديدي الروماني كودريانو ، ونشر تقرير لجنة ودهد الفلسطينية وتبنِّي الحكومة البريطانية مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل الملكية والدعوة الى مؤتمر يعقد في لندن لحل المشكلة الفلسطينية ، ولمحنا الى غيرها تلميحاً فقط ، والعذر في ذلك باد . فالغرض ليس ان نعد سجلاً للحوادث المختلفة بل ان تنظر نظرة عامة الى الاتجاهات الرئيسية

وكذلك ختمت السنة الماضية ، وفي جوها غيمة قاتمة — غيمة الخلاف بين ايطاليا وفرنسا — تنذر بأن تتسع رقعة وتزداد قتاماً في مستهل السنة الجديدة ، ولذلك تتوقع الدوائر السياسية ازمة دولية من الدرجة الاولى بين يناير وأوائل الربيع ، اخلف الله ظنهم ، ورقى العالم شر هذه الازمات المتكررة

كلما أنبت الزمان قناة ركّب المرء في القناة سنانا
ومرادُ النفوس أصغر من ان تتعادى فيه وان تفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهـــوانا
ولو ان الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا اضلّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جبانا
كلُّ ما لم يكن من الصعب في الانـــفس ، سهل فيها ، اذا هو كانا

باب المراسلة والمناظرة

الطبيعة الميتافيزيقية
والعلوم التجريبية

ان بعض ما يصب على العلوم الحديثة هو تطليب ما يعبر عنهُ بكلمة ال Experimentalisme اي النزعة التجريبية فتكون العلوم الحديثة تخضع العقل الانساني للتجربة والحس قد يكون مقبولاً اذا كان الحس هو ارقى ما في الكائن البشري الذي يتميز بالادراك قبل تميزه بالحس

نحن لا ننكر التقدم العظيم الذي وصلت اليه العلوم الحديثة وما بلغتهُ العلوم التجريبية من ابحاث في الكشف عن حقائق المظاهر الطبيعية وما جنتهُ البشرية من ثمار هذه العلوم غير اننا هنا نتكلم عن المعرفة من الوجهة النظرية البحتة فنقول ان الوصول الى معرفة حقائق الكون يكون منطقيًّا من نصيب نواهي الانسانية العليا وان ال Experimentalisme Scientifique وهي الصفة المميزة للعلوم الحديثة تقيم للمشاهدة الوزن الاول وتخضع الادراك البدهي للمشاهدة وربما كان هذا الامر وحده ممكناً في التحقيق العلمي المتداول غير انهُ ليس الطريق الصحيح لاستنباط الحقائق العلمية فما يعبر عنهُ بكلمة ال Intuitive Knowledge اي المعرفة البدهية لا يحظى بنصيب في الميدان العلمي وكل ما يصنع العلماء هو بناء نظريات خاصة بالاستناد الى مشاهدات حسية والحس كثيراً ما يخطىء بل ان لفظة الحس قد تكون مرادفة للخداع الادراكي والحقائق التي تأتي عن هذا الطريق حقائق نسبية محدودة وهي ان كانت ناقصة حقًّا الا انها لا تمت بصلة كبيرة للمعرفة الصائبة الماهية للمظاهر الكونية لانها لا تدخل في حسابها القابليات الاولى للفرد الانساني وهي الوصول الى معرفة الحقائق العامة بطريقة مباشرة ولا يجب ان نترك مسألة المعرفة الادراكية لطبقات المتصوفة وحدها بل من اللازم ان يجعل لها نصيب في استنباط الحقائق العلمية او على الاقل اذا لم نفعل ذلك ان لا ننسى ما لدينا حقائق علمية مطلقة ولا أقول ان طرق العلم الحديث عقيمة ولكنني أعني انها تستجعل المعرفة وقد طغت عليها فكرة ال Phenomenalisme التي تتلخص في تعليل المظاهر الكونية بظواهر أخرى وينتهي الامر بألا يجد العلماء أنفسهم على بينة من أمر اي ظاهرة طبيعية ولا على قدرة على معرفة طبيعية اي قوة او مادة بالنسبة لذاتها فالعلم التجريبي يعرف الطبيعة التفاعلية والتحليلية للعناصر ولا يعرف طبيعتها الميتافيزيقية التي هي العلة في الطبيعة التفاعلية والتحليلية[1]

خطأ العلم التجريبي سيتضح في عجزه الظاهر عن جمع شتات العلوم الانسانية في كلٍّ واحد

---

(١) مذكرات عن الطبيعة الميتافيزيقية (خاصة)

هو المعرفة الحقة فالعلم او المعرفة كلٌّ روحي لا يتجزأ وسلم المرء وحدهُ يقدر موضوع المعرفة في ظهورها له فهي لا تقسم من حيث الكمية ولكن من حيث الظهور

والعلم الحقيقي على ما اعتقد هو الذي يعطي الـ Intuition مكانته التي يستحقها في استنباط الحقائق لان المعرفة الادراكية هي الطريقة الفعالة للاتصال بالكون وحل معمياته وليست المعرفة الحسية وربما احتج البعض بان هذا غير عملي ولكنني اقول ان المعرفة لا يمكن ان تكون الاَّ كذلك

نحن نقترح ايجاد علم جديد هو La Physique Metaphysique او الميتافيزيقا الطبيعية[1] الذي يمكن تعريفه بأنهُ العلم الذي يرجع الظواهر الطبيعية الى اسبابها فيما وراء الطبيعة ولا يعللها بظاهر طبيعية بأخرى كما يفعل العلم التجريبي . واسم آخر يمكن ان يطلق على الطبيعة الميتافيزيقية هو Science formulaire او علم الصيغ لاننا اذا بحثنا في التحقيق العلمي بهذه الطريقة نجد لكل تفاعل بين عنصرين صيغة خاصة هي الصيغة الميتافيزيقية فالعلم التجريبي عندما يرى تبخر الماء بسبب الحرارة يقول انهُ يحدث لانهُ كذلك فيعجز عن معرفة الطبيعة الميتافيزيقية للماء والنار وهو ان أفلح في معرفة الطبيعة التعادلية لكلاهما فانهُ يقف عند ذلك[2]

فال formula تشرح العلاقة بين عنصرين في تفاعلهما من الوجهة الميتافيزيقية وال Inter formula تبحث في الصلة بين صيغة وأخرى وال Conjunction تبحث في صيغة واحدة في حالة تبديل أحد العناصر المشتركة فتفاعل الماء والحرارة ينتج عنهُ صيغة وتفاعل الاكسجين والهيدروجين ينتج عنه صيغة مخالفة والعلاقة بين الصيغتين هي ال Inter formula بينما تفاعل الماء والبرودة ينتج عنه ال Conjunction بينهُ وبين تفاعلهِ مع الحرارة وهكذا[3]

ونحتاج أيضا لفصل بالتحقيق الى سر الميتافيزيقي للعناصر والطبيعة الغير مادية للمادة فنعرف كنهها وهذا على ما أظن هو الطريقة الوحيدة للوقوف على أسرار الطبائع الكونية ومعرفة الماهية لذاتها لان العلم التجريبي يبحث عن الماهية التحليلية والتفاعلية ولا يعرف الماهية الذاتية للعناصر . وما اسميه الكيمياء الخالقة سوف تكون إحدى نتائج التوسع في دراسة الطبيعة الميتافيزيقية[4]

هذه كلمة موجزة عما اعتقده طريقة علمية صائبة تكشف عن سر المادة والقوة[5] وهو ما اشتغل ببحثه منذ زمن وأراني على استعداد لبحث الموضوع مع من يهمهم هذا الامر ويسرني ان انشر صفحات من مذكراتي عن الطبيعة الميتافيزيقية والحركة الدائمة وسر التكوين المادي والميكانيكا غير المتوازنة وغيره مما ترون اشارة اليه في أسفل الصفحة

علي حافظ

(١) الكلمة مكونة من جزئين — الطبيعة التي تبحث الظواهر المادية والميتافيزيقا تهتم بما وراء الطبيعة والميتافيزيقا الطبيعية علم مقارنة

(2) Inter—formulas & Nature of Elements.
(3) The metaphysical physics and non experimentalism (notes)
(4) Light on Creative Chemistry and Existence of Elements.
(5) Secrets of Force and Material Constitution.

باب الأخبار العلمية

القندس كعامل جيولوجي

القندس حيوان من القوارض المائية موطنهُ الانهار الشمالية من آسيا واميركا ويرى الفريق أمين المعلوف باشا في معجمه « معجم الحيوان» ان القندس او الخارود يجب ان يستعملا مقابلاً للفظ Beaver الانكليزي وكلب الماء لـ otter

هذا الحيوان ثديي مائي قارض كالسنجاب صغير القدة لكلب طولهُ نحو قدمين ونصف قدم وارتفاعهُ اقل من قدم ولهُ ذنبٌ عريض مفلق طوله نحو قدم يستعمله للسباحة وعليط مدَّر بالطين وعليه . ومن مزاياه ان اسنانهُ القواطع كالازاميل فيتقطع بها سوق الاشجار ويبني بعضها سدًّا في مجاري المياه لتكون فوق السدّ بركة يقيم فيها . ويحتفظ بالبعض الآخر مؤونة للشتاء لان اكثر طعامهِ من لحاء الاشجار

وقد روى الباحثان رويدمان وسكوغايكر في العدد الاخير من مجلة العلم (٢ دسمبر ١٩٣٨) ان اولها شاهد في الصيف الماضي سدًّا بنتهُ القنادس فهدم السيل جانباً منهُ فأقبلت القنادس حالاً على اصلاحهِ ثم انتقلت الى مجرى النهر فوقهُ فبنت سدًّا آخر. ثم شرعت في بناء ثالث لتقي بهِ الثاني من شرِّ السيل . والحكومة الاميركية تعتمد الآن على عمل القنادس في بناء السدود حيث تشتدُّ الحاجة اليها لوقاية مناطق من الفيضان ، تنتقل طوائف كبيرة منها من حيث تكثر الى حيث تندر ، ويعهد رجال الحكومة ببناء السدود في اماكن معينة من مجاري الانهر فتكمل القنادس بناءها . وقد وضع المستر ايكس وزير الداخلية تقريراً اثبت فيهِ ان حملاً قيمتهُ ستون جنيهاً تضمهُ القنادس بنفقة لا تزيد على جنيه واحد

ومن أغرب ما يروى عن هذه السدود أن باحثاً يدعى ملو وصف سدًّا صنعتهُ القنادس في ولاية مونتانا فاذا طوله ٢١٤٠ قدماً (نحو سبعمائة ذراع) . ولكن هذا نادر . أما المألوف فهو سدود يتفاوت طولها بين ٥٠ قدماً و٢٠٠ قدم . وقد كتب باحث يدعى شيراس Shiras ان الضفة اليسرى من بحيرة ايكو في جزيرة جراند الواقعة في بحيرة سوبيريور الاميركية أصلها سدّ قنادس طولهُ ١٥٠٠ قدم ويرجع الى ٤٠٠ سنة على الغالب . وطول السد الذي كوّن بحيرة بيفر في حديقة يلوستون بأميركا طولهُ ٧٠٠ قدم

والغالب ان يكون علو السدّ خمس أقدام أو ستًّا ، ولكن منها ما يرتفع الى ما يزيد

على عشر أقدام . فالسدّ الطويل الذي وصفهُ كان علوه ١٤ قدماً وهناك سدٌّ وصفهُ مورغن فقال ان طولهُ ٣٥ قدماً وارتفاعه ١٢ قدماً

أما البحيرات التي تتكون فوق هذه السدود فتختلف مساحة . فقد روى ورين ان سدًّا طولهُ ١٠٣ اقدام كوّن بحيرة مساحة سطحها نحو ٧٨ الف قدم مربعة . وان سدًّا طولهُ ١٦٥ قدماً كوّن بطيحة مساحتها ٢٧٢ الف قدم مربعة . اما السدود الصغيرة فتكوّن بركاً من الماء تختلف مساحة باختلاف طبيعة الارض والمجرى

ثم أن القنادس لا تكتفي ببناء سدٍّ واحد يعترض مجرى النهر ، وليس بالنادر أن تجد ستة سدود في ما طولهُ ميل من مجرى النهر . وقد عدَّ هولك [illegible] ٤٦ سدًّا في ما طوله خمسة اميال وثلاثة أرباع الميل من نهر في كولورادو وكان متوسط المسافة بين كل اثنين منها ٦٦٠ قدماً . وكان عمق البركة المتكونة وراء بعض هذه السدود خمس اقدام ونصف قدم

لهذه الحيوانات هذه بعض آثارها لا بدَّ ان تكون عاملاً ذا شأن في تغيير سطح الارض . فالماء الذي يجري في هذه الانهر يحمل دقائق من التراب ترسب الى القعر عندما يسدُّ النهر وتتكوّن بركة فوق السدّ . وما زالت القنادس تنظر هذه البقعة فانها تمضي في رفع السدّ كلما ارتفع مستوى قعر البحيرة برسوب الطمي عليه . فاذا هجرتها القنادس شق الماء مجرى لهُ ويترك ارضاً مرتفعة تصبح مرجاً ولذلك كثيراً ما تقع في امريكا حيث أجري هذا البحث على مناطق تعرف بين الاهلين باسم مروج القنادس

جائزة نوبل الطبيعية ١٩٣٨

للعالم الايطالي أنريكو فرمي

منحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٨ للباحث الايطالي أنريكو فرمي المختص بدراسة الذرة وتركيبها وأحد الاساتذة بمعهد الطبيعة في الجامعة الملكية بروما

ولد فرمي في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ وحاز شهرة عالمية في الطبيعة العملية والنظرية فكان اول باحث تنبأ بأن اطلاق النوترونات على العناصر يحدث تحويلاً فيها . فلما اكتشف الاستاذ كوري جوليو وزوجته النشاط الاشعاعي الصناعي أقبل الاستاذ فرمي على دراسة ستين عنصراً باطلاق النوترونات عليها فثبت لهُ ان أربعين عنصراً منها ظهرت فيه ظاهرة النشاط الاشعاعي . ثم انهُ كان أول من بيَّن أن إبطاء سرعة النوترونات يساعد على اعتقالها عند اختراقها الذرَّة . وهذه الحقيقة من أهم ما يعتمد عليه في دراسة تحوُّل العناصر

أما في الطبيعة النظرية فقد اشتهر ببحث الاحصاءات الرياضية التي يعتمد عليها في التنبؤ بتركيب الذرة وتصرفها . وله في الطبيعة الرياضية نظرية خاصة بانحلال أشعة بيتا لتفسّر

بها التوفيق بين النوترينو (الجايد الصغير) والطاقة أشعة بيتا (الالكترونات) من المواد المشعة ، ومع ان هذه النظرية بعيدة عن الصواب ، الا أنها لا تزال الوحيدة بين النظريات المختلفة الخاصة بهذه المشكلة التي عليها سمة من الاحتمال

واذ كان الاستاذ انريكو يطلق النوترونات على عنصر الاورانيوم تمكن من ان يجعل النوترون يلصق بنواة الاورانيوم او يندمج فيها فتكونت نواة ذرة اثقل من ذرة الاورانيوم فذاع حينئذ ان فرمي اكتشف العنصر الثالث والتسعين فشك بعضهم في ذلك ، ولكن البحث العلمي أثبت صحة قوله بل وأثبت كذلك ان في الامكان توليد العنصرين ٩٤ و٩٥ وهي عناصر صحيحة من الوجهة العلمية اي ان نوى ذراتها أثقل من نوى ذرات الاورانيوم — وهو أثقل العناصر كما لا يخفى — الا انها من الناحية العملية لا شأن كبير لها لان مدى حياة هذه العناصر قصير جداً

جائزة نوبل الكيمياوية

وقد قرر معهد كارولين ان لا يمنح جائزة نوبل الكيمياوية عن سنة ١٩٣٨

جائزة نوبل الادبية

منحت جائزة نوبل الادبية عن سنة ١٩٣٨ للكاتبة الاميركية المسز پرل بك Pearl Buck ولدت پرل بك سنة ١٨٩٢ وكان والداها مرسلين في داخلية الصين فقضت سني حداثتها فيها حيث كان من النادر الالتقاء بأحد من البيض . وطبعتها والدتها بحب الفن وتقديره ولا سيما الموسيقى . وكانت منذ صغرها تدون ما تراه وتسمعه وتشعر به فكانت انها تنقده وتدلها على مواطن الضعف والخطأ

وكان لنشأتها في داخل الصين أثر في نفسها لانها تعلمت عن حياة الشعب الصيني ما قلما يتاح لبيض فلما كانت في الخامسة عشرة من العمر طلبت العلم في مدرسة بشنغاي حيث التقت بطبقة من الصينيين والصينيات مختلفة عن الطبقة التي نشأت فيها في الداخل . ومع ذلك كانت لا تحسب نفسها مختلفة عن هذه الطبقة او تلك . وكان والدها كثيراً ما يروي لها حديث رحلاته فاتسعت دائرة معارفها الصينية

ثم طلبت العلم في احدى كليات اميركا حيث احست غربة عن زميلاتها من الاميركيات لتأثرها بالتقاليد الصينية وبعد تخرجها عادت الى الصين حيث بدأت تتاون والدتها في الغاية بالمرضى وهناك تزوجت بمرسل اميركي وعاشت في منطقة اصابها الجوع وعصفت بها الثورة . وكان زوجها يدرس في جامعة نانكين فدرست اللغة الانكليزية في غير جامعة صينية واحدة . ولكنها انتقلت من عهد قريب الى اميركا لتسكن فيها ، وقد طلقت زوجها المستر بك وتزوجت رئيس تحرير مجلة « آسيا »

نشرت روايتها الاولى في سنة ١٩٣٠ وكان عنوانها « ريح الشرق : ريح الغرب .. » ثم تفز .

بعناية خاصة من النقاد والكتاب. وفي السنة التالية نشرت روايتها «الارض الطيبة» وكانت قد وضعتها سنة ١٩٢٧ فاحرزت نجاحاً باهراً وفي السنة الماضية صنعت فلماً رآه قراء المقتطف في مصر وغيرها من البلدان — ومنحت جائزة بولتزر وهي الجائزة التي تمنح لافضل رواية اميركية كل سنة واتبعتها برواية «الابناء» سنة ١٩٣٢ وبترجمة لرواية صينية عنوانها «جميع الناس اخوان». ومن رواياتها ايضاً «الام» و«الملاك المكافح» و«المنفي»

ويعتقد النقاد الاميركيون انها منحت جائزة نوبل مكافأة لها على روايتها «الارض الطيبة» في المقام الاول، وهي دراسة في حياة الشعب الصيني تجمع بين الفهم الدقيق والعطف والقوة فتبوأت القرب الى حياة الامة الصينية

ولعل السويد ارادت بهذا المنح ان تعرب عن عطفها على الصين الديمقراطية المتألمة التي لصقها يرل بك في قصتها

زرع سرطان بشري

في عيون الارانب

في قراءة الصحف اليومية في الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر الماضي باسبوع السرطان وما التي فيه من المحاضرات الطبية والطبية في انواعه واسبابه واساليب علاجه، وفي مكان آخر من هذا الجزء جانب من فصل نقبس عن السرطان والمرأة للدكتور فيليب الاشقر. الا اننا اطلعنا والمقتطف مائل للطبع على نبأ علمي خطير الشأن خاص باصل السرطان ومعرّ وهو ان الدكتور هاري جبرن احد الاطباء الباحثين في معهد روكفلر الطبي بنيويورك تمكن من نقل قطعة من سرطان الثدي في المرأة وزرعه في عيون الارانب فنجح النقل والزرع. وغرضهُ من هذه التجربة على ما جاء في تصريح لهُ السعي الى معرفة طبيعة البروتين الذي في النمو السرطاني. فنحن نريد ان نعلم هل يبقى بروتين السرطان بعد نقله بشريّاً او يتخذ خصائص الارانب فاذا استطعنا ان نحصن الارانب ضدَّ النسيج البشري السوي بحيث يبقى السرطان المنقول الى الارانب آخذاً في النمو فتكون عندئذٍ قد خطونا خطوة كبيرة نحو فهم طبيعة السرطان». وقد اوضح الدكتور جبرن ان الغرض من هذه التجربة محاولة النفوذ الى سبب السرطان لا كتشاف طريقة لعلاجه

وليس الدكتور جبرن اول من حاول زرع السرطان البشري في الحيوانات. ولكن تجاوب من سبقهُ الى ذلك لم تفز بالتأييد العلمي اللازم. وقد تمكن في اثناء تجربته من نقل سرطان الثدي الى اثني عشر ارنباً فنما في سبعة منها. وقد مضى عليه ثمانون يوماً وهو يتدرج تدرجاً بطيئاً في نموه. وبعض هذه الاورام السرطانية قد بلغ حجمهُ في بعض الارانب خمسة اضعاف ما كان عليه عند نقله وزرعه

رائدان

كرنيليوس فانديك — جورج بوست — رسالتان باللغة الانكليزية في حياتهما وخدماتهما
بقلم لطفي سعدي

وضع الاديب الباحث لطفي سعدي رسالتين باللغة الانكليزية اورد فيهما سيرة الدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور جورج بوست. وقد نشرت الرسالة الاولى (فانديك) في عدد مايو ١٩٣٧ من مجلة ازيس (ISIS) التي اسسها العلامة الكبير الدكتور جورج سارطون ووقفها على البحث في تاريخ العلوم باعتبارها لساناً لجمعية تاريخ العلم والاكاديمية الدولية لتاريخ العلم. اما الرسالة الثانية (بوست) فقد نشرت في عدد مايو ١٩٣٨ من المجلة نفسها

يعلم قراء المقتطف مما نشر فيه ان الدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور جورج بوست من اركان النهضة العلمية الحديثة في البلاد السورية. وهما مرسلان اميركيان جاءا تلك البلاد بنية التعليم والتثقيف وسؤاساة المرضى والعناية بهم. وكانا كذلك من الاركان التي قامت عليها جامعة بيروت الاميركية. وفضلهما على المقتطف — ولاسيما فضل الاول — لا يمكن المقالة في تقديره فقد كان الدكتور فانديك استاذاً لمنشئيه، وهو اول من شجعهما على اصداره واختار لها اسمهُ وكتب فصلاً — لشرفي اول عددٍ صدر منهُ — ، تلته فصول

تعلم فانديك وبوست اللغة العربية فاجادا اها وخلفا فيها تراثاً علمياً في الطبقة الاولى قلما جاراهما فيه احد بعدهما من الاجانب. فوضع الاول مؤلفات جليلة القدر في الهندسة والهيئة والجبر والمثلثات والتمام والتفاضل والكيمياء وسلسلة من الكتب الصغيرة في بسائط العلوم لا تزال مشهورة باسم النقش في الحجر علاوة على اشتراكه في ترجمة العهد الجديد من الكتاب المقدس

اما الدكتور بوست فقد اشتغل بالتاريخ الطبيعي خاصة فوضع كتاب نظام الخلقات في سلسلة ذوات الفقرات، وآخر في علم النبات وشرح بنيته ووظائفه ووصف الفصائل النباتية. ولا ريب في ان اهم آثاره في هذه الناحية اخراجهُ ذلك المجلد الضخم الواسع العلم الدقيق التحري في نبات سورية وفلسطين ومصر. والف كذلك كتاباً في الجراحة وانشأ مجلة الطبيب وحررها ووضع قاموساً للكتاب المقدس (ترجمة وتأليفاً) لا يزال على ما نعلم المرجع في هذا الباب

وقد الف هذان العالمان الجليلان الكتب المتقدم ذكرها وهما قائمان باعباء التدريس في الكلية الطبية بجامعة بيروت الاميركية (وكانت تعرف باسم الكلية السورية الانجيلية) فاحياء ذكرهما وتعيين مقامهما في نهضة الشرق العلمية خدمة اسداها المؤلف الى ورثة هذه الاعمال العلمية المجيدة

وزارة الدعاية

للدكتور احمد فريد رفاعي — مدير مصلحة الصحافة والنشر سابقاً —
صفحاته ٢١٤ بالقطع الكبير — مطبوع على ورق صقيل فاخر

هذا سفر في حاجة مصر الى وزارة دعاية وضعهُ خبير بشؤونها ورفعهُ الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول.

والدكتور رفاعي عالج شؤون الصحافة والنشر صحفيًّا بارعاً ومؤلفاً قديراً وموظفاً ممتازاً وأتيح لهُ خلال القيام بأعماله الرسمية زيارة أوربا لحضور مؤتمر الصحافة الدولي المنعقد في مدينة كولونيا فدرس في المؤتمر نفسه وفي مختلف البلدان التي زارها النظم المتبعة فيها حيال هذا الموضوع الخطير في حياة الشعوب في هذا العصر. وقد أودع خلاصة اختباره ودرسه في هذا الكتاب الفخم، وهو في الواقع ليس الا منهجاً للنهوض بحياة البلاد الثقافية في الصحافة والتأليف والفنون، وعنده أن خير السبل الى بث الحياة في نواحي هذه الاعمال الثقافية هو تركيزها في وزارة مختصة بها

يرى الدكتور الرفاعي «ان مصر المحبوبة وقد كتب لها في مستهل عهد « فاروقها » السعيد استكمال استقلال البلاد، فتمت — ولله الحمد على متواصل نعمائه وجزيل فواضله — مقاومتها بمساعدة الشرف والاستقلال — والفت الامتيازات وقيودها وتبوأت البلاد مكانها اللائقة بكرامتها بين مصاف الدول الحرة المستقلة في عصبة الامم، وأخذت النهضة الاصلاحية تمشي في مختلف مرافقها الحيوية ....» غدت في حاجة الى وزارة دعاية من الناحية الزراعية تلفت الانظار الى فواكهها وخضراواتها ومختلف منتجاتها، واستكشاف اسواق عالمية لها، والعمل على ترقية مراتب زراعتها ... الخ

ومن الناحية التاريخية لان « مصر القديمة ذات الآثار النفيسة والتاريخ المجيد والزعامة العلمية والحضارة العتيدة » يجب أن تكون قبلة لافواج السياح من شتى بلدان الغرب والشرق. وكذلك من الناحية الاسلامية والعربية والاصلاحية وغيرها.

والكتاب قسمان. أما القسم الاول فبيان ما تعملهُ مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة، وما يرجوهما من توسيع لنطاق عملها في ما يخصُّ الصحافة وتشجيع التأليف واحياء الادب العربي القديم ونقل المؤلفات الغربية البليغة. وأما القسم الثاني فبيان ما شاهده المؤلف خلال سياحته من النظم المتبعة في ألمانيا وايطاليا خاصة في مثل هذه الاحوال

ويقترح الدكتور رفاعي في الصفحة ٢٧ ان يضمّ الى الوزارة المقترحة المطبعة الاميرية بما في ذلك الوقائع الرسمية — على ان تصدرها الوزارة فتعيدها الى ما كانت عليه من القيام في

عهد المغفور له الشيخ محمد عبده — وكذلك ضم دار الكتب المصرية وادارة الملاهي ومصلحة السياحة وضم الفرقة الحكومية الى رقابة بالتمثيل وانشاء فرع للدعاية بواسطة السينما والمسرح على غرار النظام المتبع في ايطاليا وهو نظام « لوتشي » وضمه الى رقابة السينما . . .

ومما يقترحه ان يعين ملحقون صحفيون مصريون في السفارات والقنصليات المصرية في الخارج ، فيكون مهمتهم من ناحية موافاة الوزارة المصرية بما يجد من الشؤون وما يكتب في الصحف الاجنبية عن شؤون مصر المختلفة ، ومن ناحية اخرى تصحيح ما يكتب في الصحف الاجنبية عن مصر وامدادهم ادارات تحريرها بالدعايات الموفقة عن مصر ومصالحها ونشاطها وحيويتها واستجلاب الرضاء لها وعنها واستدعاء الزوار اليها وتحييد المدافعين عن بيضتها الشاذين بمجدها المتاجرين مع بيوتاتها المؤيدين لقائمها في الحياة والرقي .... »

وهذا الحال لو عني الدكتور رفاعي بنشر موجز هذا السفر النفيس في كتيب حتى يسهل تداوله واطلاع الشعب على مقترحاته بثاً للفكرة التي ينطوي عليها . وليس هناك شك في ان عناية الحكومة المصرية بالحياة الثقافية العامة ، لم تسر على نظام واحد ، بل كانت تتراوح بين النشاط والفتور ، وفقاً للاحوال السياسية وشخصية القائمين في مقاعد الحكم . فاذا استطاعت الدولة ان تنظم هذه العلاقة ، بحيث تجري على قواعد معينة ثابتة من شأنها التشجيع على الانتاج الادبي والعلمي والفني بغير ان يكون ذلك التشجيع مقيداً بقيود سياسية مرهقة فان مصر تجني من ذلك خيراً كبيراً

أناشيد عسكرية لمحمود ابو الوفا

امامنا مجموعة من الاناشيد العسكرية نظمها هذا الشاعر بوحي فطرته وليس له ما يبتغي على منواله سوى ما هيأت له نفسه الوثابة وطاقة شعرياً تقعده عن ان يطير مع الطير ويشارك سواه مشاركة عملية في خدمة الخدمة العسكرية وهذه النهضة القومية فهو يجود بما في ضميره ليضطلع بقسطه من هذا الفرض القومي

والاناشيد العسكرية في العربية قليلة في الشعر « الرسمي » (اذا استثنينا اشعار الحماسة في العصور القديمة) ولكنها شائعة في الموالد واشباهه من الغناء العربي في مختلف بلدانه ففي هذه الاناشيد القومية ما يقطر حماسة وحمية ونشاطاً وشوقاً الى بذل الروح فداء للاهل والوطن ولو انصفنا لاحللنا جانباً منها محل الغناء المخنث الذي ابتلينا به في هذا العصر وهو غناء « الليل » « والعين » وسواها

فاناشيد محمود ابو الوفا تسد ناحية من نواحي هذا الفراغ وتصلح في رأي الذين طالعوها

لان تنشد في المدارس والكليات والاجتماعات الشعبية وفي المناسبات التي يحتاج المجتمعون فيها الى موسيقى قومية وأناشيد تؤجج نار الحماسة في صدورهم او تطابق ما يخامر نفوسهم من شعور يسعى الجميع الى إنمائه وتعزيزه في نفوس النشء فيستقبل العصر الجديد بالتزاماته ومظاهره ومزاياه بما يجب أن يستقبل به

وما برحت الموسيقى ممثلة في الشعر والغناء والالحان من أفعل العوامل في تحريك العواطف وتوجيه القوى ورفع مستوى الخلق حتى صارت جزءاً من مراسم العبادات كما هو مشهود في في ترتيل القرآن والترانيم الشائعة في بيع المسيحيين وكنائس اليهود ومعابد البراهمة والبوذيين

لهذا نرحب كل ترحيب بهذه الاناشيد معتقدين بانها من باكورة أنجاد شديد الفائدة في حياة الامة المصرية

ولسنا مبالغين اذا قلنا ان ترويج هذه الاغاني القومية يجب ان يكون في طليعة الوسائل التي يتوسل بها رجال التربية والتعليم ورجال الجيش معاً

واذا كنا نشاهد الآن في دوائر وزارتي المعارف والحربية اهتماماً خاصاً بالمنهة الرياضية والعسكرية فما أحوج هذا الاهتمام الى مثل هذه الاناشيد لتكون نفوس الشباب مهيأة لما تدعى اليه وحتى يكون اقدامها على التمرن العسكري ونحوه بدافع نفسي قوي فلا تشعر فيه بانهُ نوع من التكليف لان كل تكليف ممقوت

---

١ — نشوء اللغة العربية

ونموها وأكتهالها

بقلم الاب أنستاس ماري الكرملي — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

وهذا كتاب آخر من كتب عام ١٩٣٨ يبحث في اللغة العربية، ألفهُ حضرة العلامة الفاضل الاب انستاس ماري الكرملي أحد اعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية . وحضرة الاب غني عن التعريف بجهاده الطويل في حياته المباركة في سبيل لغة الضاد جهاد مقرون دائماً بالتوفيق

وكتاب اليوم هو رأي للاب المحترم تفتحت لهُ وجوه البحث فيه منذ بدأ بدراسة اللاتينية في التاسع عشرة ثم بدراسة اللاتينية واليونانية في العشرين من عمره . لاحظ ان كل كلمة ذات مجاه او مجابين في الرومية اليونانية ولم تكن من أصل منحوت ، بل من وضع أصيل ، اوتوفيقي فلا بد من أن يكون لها مقابل في العربية

ولما اتضح الاب بفكرته أخذ يدعو لها في الصحف والوضائع والمجلات ، ويكتب الفصول الطوال والقصار مدعماً رأيه بالامثلة الكثيرة — فهو يقول ان كلمة Dama الرومانية للفظ

الجلالة أصلها الحقيقي Deu . وهو يوافق كلمة « ضوء » العربية لفظاً ومعنى . فان أمماً كثيرة عبدت النور وجعلته الهاً . ويقول ان كلمة « حدد » العربية أصل لكلمة Hodos اليونانية بالمعنى نفسه . وكلمة « تنوّس » اليونانية بمعنى القصير الذي قصه المرض فلا يشب ، أصلها كلمة « انتن » العربية . وقد أخذ المؤلف يعد كثيراً من الكلمات اليونانية والرومانية ويرجعها الى أصل عربي

ونحن نرى ان مذهب العلامة الجليل على غرابته وبنائه على الافتراض لا على التحقيق العلمي لا يخلو من فائدة ومتعة . واذا كانت لجنة التحرير في المجمع اللغوي لم تقر حضرة الاب على آرائه فان ذلك لم يثنه عن الدعوة لها بنشرها في الكتاب الذي تتكلم عنه اليوم — وهي محاولة تدل على اقتناعه بما ذهب اليه . وفي الكتاب فصول كثيرة عن نشوء لغة قحطان . وتناظر العربية واليونانية . وتناظر الفارسية واللغات المندثرة القديمة للعربية ، والمعرب او الدخيل ، وشروط الاخذ من لغة ، وغيرها وبعض هذه الفصول معروف لدى الذين يعرفون شيئاً من فقه اللغة العربية . وبعضها — وهو الخاص بتناظر العربية مع غيرها — يرجع الى اجتهاد الاب الفاضل

أما الفصل عن الحرب بين الكلم العربية والغربية والفصل الذي يليه عن الدخيل وأبه يُستتل وأبه يستحيا ، فلنا فيه كلمة صغيرة . فان الاب الفاضل يفرض على اللغة العربية بعض الدخيل ككلمة « بنك » و « تلفون » بفتحتين . ويستقبح — في ذوقه هنا — كلمة التلفزة الرؤية عن بعد وأصلها Television ويفضل عليها كلمة المباصرة ، وكلمة تلغراف مع انهما جاريتان على الوزن العربي فالاولى على وزن فَعْلَلة والثانية على وزن فِعِيلاًل

ولا ادري لماذا يُحل الاب شيئاً ويحرم شيئاً آخر أحل مثله ؟ على ان المسألة مسألة ذوق واستعمال . وقد صارت الآن كلمة التلفزة والفعل تلفز وخفت على السمع فلا معنى لتحريمها

وما دامت الكلمة عن العربية فاننا نسأل الاب الفاضل — مع الاحترام العظيم — لماذا يدخل اللام على جواب لو المنفي بما والاصح والافصح تجريده منها ؟ هل يذهب حضرته مذهب القائل — وهو ضعيف — « ولو تعطى الجياز ما انتزفنا »

ولماذا يستعمل عدة بمعنى كثيرة والمعروف ان عدة معناها عدد قال تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » . ولماذا يقول (أن نفس الكلمة اليونانية) ولا يقول (أن الكلمة اليونانية نفسها) حتى يتم التوكيد المعنوي على اصله ؟

لقد تعوّد حضرة الاب سماع النقد حتى مرد عليه كما يقول في اول كتابه ونحن نرجو أن تثير المناقشة حول هذا الكتاب ما يجلو الحقيقة فان آراء مؤلفه بنيت على الافتراض اكثر مما بنيت على اليقين . . . ولعل هذا هو السر في عدم موافقة المستشرقين عليها

[المقتطف] يرى الاب انستاس ان لفظ « تلفزة » تعريباً للتلفزيون الانجليزية وضعهُ من

« من فقد ذوقه العربي » وسيادته يفضل لفظ الباصرة استناداً الى الجوهري في صحاحه قال : « باصرتهُ اذا اشرفت تنظر اليه من بعيد » . ولما كان المقتطف اول من استعمل « التلفزة » فيجدر بنا ان نقول ان التعريب جرى عليه العرب في القرون الاولى فقالوا فاطغورياس وسالخريا وايساغوجي وارثماطيقا والاسطرلاب والاقرباذين وغيرها . وغني عن البيان ان هذه الالفاظ أسهل وقعاً على اللسان العربي من « تلفزة » الجارية على الاوزان العربية اسماً وفعلاً ومصدراً مع عدم تنافر حروفها . اما الباصرة فقد جاء في اللسان . باصره نظر معهُ الى شيء أيهما يبصره قبل صاحبه . واورد ابن منظور ايضاً قول الجوهري الذي اوردهُ الاب المحترم . ومن السهل ان نقول « الباصرة » تقابل « التلفزة » ولكن هل للاب المحترم ان يستعمل هذا اللفظ او ما يشتق منهُ للدلالة على عمل رجل ينقل مشهد وصول جلالة الملك الى قصر بايدين مثلاً ، بالتلفاز الرسل فيُرى المشهد في التلافيز المستقبلة في دائرة واسعة . ويقول الاب ان الفيزياء « مسخ شنيع » لعلم الطبيعيات Physics فما قوله في الكيمياء ؟ ويقول ان الفسيولوجية « علم مظاهر الحياة » والذي نعلمهُ ان تعريف هذا العلم في كتب العلماء هو علم وظائف الاعضاء . راجع مادة Physiology في معجم دورلند الطبي

ويقول ان الفونوغراف آلة تلتقط الصوت وتنقلهُ فهي « اللاقطة » . ولكن الآلة اللاسلكية التي تلتقط الامواج اللاسلكية وتحولها أصواتاً « لاقطة » أيضاً ولكنها ليست فونوغرافاً . والآلة اللاقطة في « التلفزة » تلتقط الامواج اللاسلكية وتحولها نقطاً من الضوء تجتمع صورة واضحة . فهل نستعمل لفظ لاقطة لجميع هذه الاجهزة المختلفة ؟ وماذا نفعل بلاقطة المثل العربي : « لكل ساقطة لاقطة » !

٢ — مقدمة لدرس لغة العرب

تأليف عبد الله العلايلي — عدد صفحاته ٢٥٦ طبع بالمطبعة العصرية

الرغبة في اصلاح اللغة العربية وتيسير قواعدها وجعلها موافقة لمقتضيات العصر الحاضر هي رغبة أخذت من اللغويين والمصلحين محلها من العناية . ومتى انعقدت النية على الاصلاح واتفقت الآراء على التيسير فان الطريق الى تنفيذ هذه النية — طال أم قصر — موصل الى نتيجة يرضى بها ابناء العروبة .

والكلام في اصلاح اللغة العربية يشمل نواحي كثيرة : يشمل الخط العربي والاستغناء عن الشكل بحروف تقوم مقامه كما في اللغات الاوربية . ويشمل قواعد الاملاء نفسها والاتفاق على توحيدها . ويشمل تعريب الالفاظ الاعجمية او ادخالها في اللغة العربية مع ملاحظة جعلها ملائمة للاوزان العربية . ويشمل تيسير قواعد النحو والصرف تيسيراً يسهل دراسة اللغة ويزيل

الصعوبة القائمة الآن في سبيل تدريسها . وبشمل تدريس علمي المعاني والبيان على طريقة يتبين بها جمال الاسلوب العربي لا على طريقة ميكانيكية يسقم معها الاسلوب ويفسد بها الذوق الادبي

وكتاب الاستاذ عبد الله العلايلي يعد محاولة في سبيل الاصلاح اللغوي . وموضوعات الكتاب تدل على احاطة مؤلفه بأطراف الموضوع احاطة واسعة . ولا شك ان حضرة المؤلف الفاضل قد قرأ كثيراً من كتب اللغة والنحو . ولمس كثيراً من الصعوبة البادية فيها. ولذا كانت آراؤه آراء الخبير العارف والمطلع الواقف

ومؤلف هذا الكتاب من أنصار مذهب التوسع والسماحة في اللغة . يدل على ذلك المقدمة التي كتبها حضرة الاستاذ اسماعيل مظهر . ويدل على ذلك أيضاً الروح التي تنساب في خلال الكتاب . ولكنني أخشى ان تفضي كثرة التوسع في اللغة الى فوضى في استعمالها وعدم احترام لقواعدها . وأخشى ان تكون الاخطاء النحوية في هذا الكتاب نتيجة لهذا التوسع ! وأحسن الظن بالمؤلف الفاضل وأقول لعل هذه الاخطاء مطبعية .. ولو لم يشر اليها في ذيل الكتاب ...

وفي الكتاب فصل عن تخصيص الموازين في العربية . ولعله احق فصول الكتاب بأن نقف عنده . فالمؤلف الفاضل — كما قلنا — من انصار التوسع في اللغة . إنهُ يميل الى الاشتقاق على اوزان وان كانت عربية الاّ انها ثقيلة النطق ثقيلة على السمع . ويكفي للدلالة على ثقلها ونبوها ان كثيراً من هذه الموازين لم يحظ بأكثر من بضع كلمات في العربية

خذ مثلاً وزن «فعنل» . فأشهر الكلمات الواردة منه غضنفر وسجنجل (للمرآة) . وهذه الثانية لا تستعمل . ولن يكتب لها الاستعمال والبقاء في اللغة . ولولا ورودها في معلقة امرىء القيس ما سمع لها احد . ويخيل اليّ ان الواضعين الاولين لهذه الاوزان العربية في اللغة العربية قصدوا منها الى التوسع والاثراء اللغوي . كما يقصد حضرة الاستاذ الفاضل مؤلف كتاب اليوم. الاّ انهم خضعوا في النهاية لاذواق الناس . ولم يُخضعوا ذوق الناس لاشتقاقاتهم العربية .... والاّ فما الحكمة في ان تموت مئات كثيرة من وزان هذه الموازين ويتناساها المتكلم العربي ويودعها غير آسف على فراقها ؟ ؟

الحق ان بعض الموازين التي يرى المؤلف صوغ كلمات جديدة على مثالها مألوف مقبول . وأنا ابشره ان مثل هذه الموازين لو وجدت من يدعو لها لكانت ثروة تنسب الى يده. والحق أيضاً ان بعض هذه الموازين غير مألوف وغير مقبول في السمع ، ولعلي أجد كثيرين يوافقوني على ان كلمات سخطخطات، صوَرّي (لمن يتصور بكل صورة أرادها) » حركّان (البالغ الحركة) وعُجهّاة (للمتكبر) ، أجَنْدَب (للسمن المفرط) لا تحلو في النطق ولا السمع

عني المؤلف بمسألة الخط العربي ومسألة الشكل بالحروف . ومن المصادفات السعيدة ان

يكون من قرارات مجمع فؤاد الاول للغة العربية في دورته الخامسة قرار بتأليف لجنة « مهمتها وضع طريقة لكتابة الكلمات العربية بدون شكل بحيث يكون النطق بها صحيحاً خالياً من اللحن وتحديد مهمتها على ألاّ تخرج في ابتكارها على الاصول العامة في اوضاع كتابة العربية »

وطريقة المؤلف أن يؤلف الخط الجديد من خطوط اربعة : الثلث للحروف المضمومة والنسخ للمفتوحة . وخط الرقعة للساكنة والفارسي للمكسورة ... ومعنى ذلك أن كلمة «منزل» مثلاً تكتب بأربعة انواع من الخط في آن واحد !! ولا يخفى ما في ذلك ايضاً من الصعوبة التي أحسها حضرة المؤلف ثم اعتذر لها بالتعقيد مع المرانة

وأنا لا أحيل الاستاذ على شيء اكثر من دورته السليم وأسأله ان يلقي نظرة اخرى على النموذج الذي وضعهُ في صفحة ٣٨ ليرى انعدام التناسق والجمال الخطي فيه ...

والمؤلف الفاضل اقتراح في سبيل توحيد الثقافة العربية ووجوب اشتراكها في امور ثلاثة اللغة والقانون والثقافة العامة . وتلبية من هذا الاقتراح سامية نبيلة . ولكن قد يكون تحقيقها حلماً. فليست الصعوبة كما اعترض عليه بعضهم — في انشاء مركز لهذه المؤسسات فحسب ولكن الصعوبة في المنال وفي فقدان الاستقلال وفي اختلاف حالات التقاضي باختلاف البلدان العربية

اما المعجم الجديد الذي ينوي المؤلف الفاضل اخراجه ، وأتى بنماذج منهُ في ذيل كتابه فهو خطوة اخرى من خطوات الاصلاح الذي يفيض به قلبه واذا جاز ان يكون لنا رأي فيه — كما هي الغاية من عرض بعض نماذجه — فاننا نشير بأن يكون مصوراً . وبذلك يخرج المؤلف ويخرجنا جميعاً من مأزق يعرفهُ الذين يكشفون عن المعاني في المعاجم العربية . وتضع هذه العبارة «حيوان معروف — أو نبات معروف » ويشهد الله أنهما مجهولان حتى لواضع المعجم

وهناك مسألة أخرى وهي الاسم والصفة فقد خلط المؤلف بينهما خلطاً نرى من الخير أن نشير اليه قبل أن يمضي حضرته في انفاذ المعجم فهو يقول أن (الأبدوان)صفة وهو اسم. يقول (الابتوة)صفة وهي اسم لانها تؤلولة الحروق . ويقول انّ (المثبت) بكسر الميم صفة وهو اسم ايضاً لانهُ الحديدة لاذكاء النار . واذا كان حضرته يقول في نموذج معجمه ان « المثبر » اسم وهو آلة حفر الآبار فما باله يقول أن« المثبت »صفة مع انها آلة اذكاء النار ؟؟

في النماذج التي عرضها حضرته كثير من هذا . وهو بلا شك سيراجع عقله فيها قبل انجازها. وأرجو ألاّ يحمل رأينا في كتابه الا على حسن الظن ، وخلوص النية . فنيته في سبيل العربية نبتغي . وغايته غايتنا . وما دمنا قد اجتمعنا في النية واتحدنا في الغاية ، فالطريق على اختلافها لأمّة . والجوادةُ جاسة . والله يوفقه ويوفق كل مصلح

٣ — مروج الذهب ومعادن الجوهر

المؤرخ العربي الكبير ابي الحسن بن علي المسعودي
طبع في دار الرجاء لنطبع والنشر بالقاهرة

تاريخ المسعودي من التواريخ المعتمد عليها في الدوائر التاريخية عند المسلمين وغيرهم ، وقد استحق مؤلفه بجدارة لقب امام المؤرخين كما ذكر ذلك صاحب تاريخ ابن خلدون . واطلق عليه بعضهم لقب « هيرودوت العرب » وهو خليق بذلك كله . فانهُ — على غير غرار بعض المؤرخين والرحالين — يميل كثيراً الى التحقيق العلمي ولا يقبل ما يسمعهُ على علاته وانما يناقشهُ مناقشة العالم المفكر فيقبله أو يرفضهُ . ومما يؤيد ذلك الفصل الممتع الذي كتبهُ عن اخبار انتقال البحار واخبار الانهار . فهو فصل يعد مقدمة لآراء الجغرافيين المعاصرين أمثال ددلي ستامب ولايك في المحيطات والقارات

وقد سخر المسعودي في هذا الفصل من الجاحظ لزعمه أن نهر السند يأخذ مياهه من النيل ورماه بأنهُ حاطب ليل . وذكر منابع السند ومنابع النيل والاقاليم التي يمران فيها ووصف جنادل النيل وبحيرات الدلتا

والبروفسور نيكلسون من المعجبين كثيراً بالمسعودي وكتابه وقد خصهُ باكثر من موضع في كتابه المشهور (تاريخ الادب العربي) . ويقول فيه [1] « كل ما كتبهُ المسعودي ولو انهُ تعوزه وحدة الجمال التي تميز كتابات مؤرخي اليونان الا انهُ يرينا روح التحقيق واتساع العقل والميل الى تسجيل الحقائق من غير هوى ووصف العجائب التي رآها او سمع بها والتجارب الناضجة ونظرته الواسعة الى الحاضر والماضي »

وقد اطلعني المستشرق الفاضل المسيو ب. ه ستريكو الهولندي على كتاب الاستاذ Gibb في الادب العربي ونبه وصف لمروج الذهب (بانهُ ليس في اللغة العربية أمتع من هذا الكتاب)

والطبعة التي بين ايدينا الآن لهذا الكتاب النفيس أشرف عليها بالتصحيح والضبط والتعليق حضرة الاستاذ محي الدين عبد الحميد المدرس بالازهر . وهو عالم فاضل عرف بنشاطه في عالم النشر والتأليف

ولم أطلع على غير هذه الطبعة التي اتكلم عليها اليوم حتى يمكن المقارنة بينها وبين ما طبع قبل ذلك . ولكني سمعت من المسيو ب. ستريكو ثناء عظيماً على طبعة المستشرق باريه دي ميناز في باريس سنة ١٨٧٢. فعسى ان تلقى هذه الطبعة الجديدة ما تستحقه من عناية الباحثين والقراء

محمد عبد الغني حسن

(١) تاريخ الادب العربي لنيكلسون ص ٣٥٣ طبعة ثالثة

اعترافات فتى مصري — لالفريد دي موسيه

هكذا تكلم زرادشت — فريدريك نيتشه

ظاهرة جديدة في أوساطنا الأدبية خليقة بالتسجيل لدلالتها على يقظة النفس وشعورها بالحاجة الماسة الى النقل عن الغرب والنهل من ينابيع آدابه المتفجرة وعلومه الفياضة، وهذه الظاهرة التي نسجلها بفرح واطمئنان هي كبتلائع الربيع، زهرات جميلة تفتحت براعيمها فأبرزت بعض وجوهه من جمال أنوارها في الموسم السعيد الذي يحق ان نسميهُ « موسم الترجمة »

أمامي عشرة كتب في الادب، والفلسفة، وعلم النفس، وفن الرواية ترجمها ادباء أفاضل عن اللغات الاجنبية لاعاظم أعلام الفكر من معاصرين وخالدين. قرأت بعضها، وإذ كنت أتصفح البعض الآخر، حضرني خاطر وقلت: اليس واجب الناقد أن يقف طويلاً حيال هذه الكتب المترجمة يأخذ مترجميها بالتسخط، يحاسبهم بالدقة والضبط، لا يتهاون إلا فيما لا حيلة لهُ الا فيه؟ وهل يحول بعد حيث المؤلف والمترجم دون مناقشتهما وقد ساهما في زيادة ثروة المكتبة العربية؟ وهل اذا انتصب شيطان الشك وقامت قيامة الظنون فلا ادفعها او أردها الا بنهوض الدليل على صدق الترجمة وصحتها وهي الاصل في عمل المترجم؟ هذا ما سألتزمه مع صديقي الفاضل الاستاذ فليكس فارس مترجم « اعترافات فتى العصر » لالفريد دي موسيه و« هكذا تكلم زرادشت » لفريدريك نيتشه

لقد وقفت من قبل مع الاستاذ فارس حين ترجم قصيدة « رولا »[1] لموسيه، ولقد وقفت طويلاً عند هذين الكتابين اراجع الاصل الفرنسي واقارنهُ بالترجمة العربية لنظير ما فعلت من قبل، فتبيّن لي ان مترجم « رولا » الصادق، الذي استطاع ان يتداخل روح الشاعر ويلبس ذاتيته، ويسير معهُ على نفس واحد في مراحل القصيدة الكبيرة كلها، لم يوّاته التوفيق كلّه في هذه المرة، ولم يسعفهُ الاستعداد النفساني، فاختفى المؤلف وبرز المترجم

تسألت عن بواعث هذا الاضطراب، فبدا لي ما يبرر عمل الاستاذ فارس في ترجمة نيتشه، وما يضاعف تبعتهُ في ترجمة موسيه. لقد الصاق صاحبنا، ولا أدري كيف تمّ ذلك، الى ترجمة « هكذا تكلم زرادشت » دون الرجوع الى كتب نيتشه الذي يعدها كبار النقاد كمفاتيح لابواب المسالك المؤدية الى كتاب زرادشت، فاختراله الطريق بتخطي الحواجز، ألقاه وجهاً لوجه أمام نيتشه الشاعر المجنح الرمزي الموسيقي، الفيلسوف العميق المعقد المتمرد والثائر الذي « لم يكن مفكراً منطقياً وانما كان مفكراً يرسل الكلمات مجنحة والحكم الجامعة في أسلوب قوي حار تشرق في جوانبه لمعات البصيرة واضواء الالهام » فأخذ يعاني نيتشه الجبار العملاق وآثار الاعياء

(١) المقتطف شهر مايو ١٩٣٨

بادية في خطواته . واكبر الظن انه لو تيسر للاستاذ فارس قراءة بعض مؤلفات بيتشه «كفجر الاصنام» و«المسيح الدجال» وماوراء الخير والشر» ومشيئة القدرة» و«المسافر وظله» و«انسان كثير الانسانية» لاستطاع بسهولة مما شاء بيتشه الجبار الملاق جنباً الى جنب بعض المرحلة لا كلها إذ يتعذر انسجام انسان منكر، ملحد، خالق مع من تكون خواصه النفسية والثقافية عكس ذلك

أما ما لا يمكن تسويغهُ، فهو تهاونه في ترجمة «اعترافات فتى العصر» تهاوناً لا يرضاه مترجم قصيدة «رولا» الخالدة، وليس لناقد مهما تكن صلة الود وثيقة المرى بينه وبين صديقه المترجم ان يصيخ بسمعه الى الاعتذار (بالوقت) لانه كان يترجم الفصل بنصف ساعة تلبية لداعي النشر، وأحسب ان الاستاذ فارس سيغير ويبدل جملاً برمتها من كتاب الاعترافات متى تيسر له طبعه طبعة ثانية وعسى ان يتاح له ذلك

بقي لي ان اقول انهُ طاب لصديقنا الاستاذ فارس أن يمهد للكتابين بما لا نقره على بعض ما جاء فيهما، فحالة جيلنا الحاضر بشهادته الجديدة ليست في مثل ما كانت عليه الناشئة الفرنسية قبل مائة عام في حيرة وألم، وان جيلنا لم يلابسهُ روح الالحاد واليأس والشكوك كذلك الروح الذي بثهُ فولتير، وجيته، وبيرون في القرن الماضي وما قبله

والذي يهمني ان اقوله في التمهيد لكتاب بيتشه أن ليس للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ولا لسواه ممن ذكر من اسماء ادباء معاصرين ان يكونوا حائزين على ترجمة كتاب زرادشت، فان كان ثمة من واجب لذكر الحائز فرجمه بلا ريب الى الاديب الفاضل المرحوم فرح انطون فرح الذي عدانا الى بيتشه وريتان واضرابهما من جبابرة الفكرة وأما في ما خلا ذلك فكتاب زرادشت سيبقى منهلاً صافياً عذباً يرده آلاف من العطاش لا تروي سوى الكتب المترجمة حبيب الزحلاوي

القوّاديات

للمرحوم فؤاد محمد بك — صفحاته ١٥٩ من القطع الوسط

جمع الاديب عبد القادر يوسف شهاب الدين الطالب بكلية الحقوق للملكيه قصائد المرحوم فؤاد محمد بك في ديوان اسماه القوّاديات استهلها بكلمة عن حياة صاحب الديوان وشعره وثقافته ونظرة في الديوان تدلنا على شاعرية صاحبه وأريحيته وشدة حبه وتفانيه في خدمة اهله وأصدقائه ونذكر على سبيل المثال ابياتاً قالها تدل على سمو أخلاقه

أيلذ لي يسري وغيري معسر ... ويطيب لي نومي وغيري يسهر؟
وأبيت ما بين الحرير منعماً ... وسواي يفترش التراب ويصبر؟
سبحانك اللهم انك مالك ... الملك تعطي من تشاء وتقدر

فهرس الجزء الاول

من المجلد الرابع والتسعين

وجه

١ الديمقراطية في العصر الحاضر [محاضرة رئيس تحرير المقتطف في سهر يورت بالقاهرة]

١٢ الشيوخ والشبان بين المطرقة والسندان : للدكتور امير بقطر

١٧ محسنة الى الانسانية : مشاهد رائعة من حياة مدام كوري

٢٢ الالكترون نشوء فكرته وتحقيق وجوده : لمصطفى نظيف بك

٣٦ الدولة والفرد : توطئة لبحث المذاهب السياسية في هذا العصر : لعلي ادهم

٤١ ثقافة الغرب وثقافة الشرق الادنى : للدكتور ستيوارت ضد د . ف .

٥٠ تحويل العناصر : اسلوب المختبرات العلمية في صنع ذرات جديدة

٥٤ خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم

٦٤ العودة (قصيدة) : للهمشري

٦٥ عالم الروح والعلم الحديث : لاحمد فهمي ابو الخير

٧٢ السكون بعد النغم (قصيدة) : لعبد الرحمن شكري

٧٣ ضباط اميركيون في الجيش المصري : لليوزباشي عبد الرحمن زكي

٧٧ السرطان والمرأة اعراضه وتشخيصه : للدكتور فيليب الاشقر

٨٢ المشادة بين الانتداب والاستقلال : لانيس المقدسي

٩٩ حديقة المقتطف * باقة أشعار . ابهال . القيود . افراح عامة . على ضفة الماء . اذا استطعت : للشاعر الفرنسي سوللي برودوم . نقلها خليل هنداوي

١٠٣ سير الزمان * الشؤون الدولية في سنة ١٩٣٨ . حوادث فبراير . استقالة ايدن واتفاق روما . الانشلوس . اضطراب الوزارات الفرنسية . الطريق الى مونيخ وسنها . من وشنطن الى ليما . الحربان في اسبانيا والصين . جنون التسلح . اقطاب الرجال

١١٥ المراسلة والمناظرة * الطبيعة الميتافيزيقية والعلوم التجريبية : لعلي حافظ

١١٧ باب الاخبار العلمية * اتفاق كامل جيرلومي . جائزة نوبل الطبيعية ١٩٣٨ العالم الايطالي أنريكو فرمي . جائزة نوبل الكيميائية . جائزة نوبل الادبية . زرع سرطان بشري في عيون الارانب

١٢١ مكتبة المقتطف * رائدان . وزارة الدفاع . أناشيد عسكرية . نشوء اللغة العربية . مقدمة لدرس لغة العرب . مروج الذهب ومعادن الجوهر . اختراقات في العصر . هكذا تكلم زرادشت . النوادر

JUNE—DECEMBER 1938 يونيو الى ديسمبر سنة ١٩٣٨

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

انشئت سنة ١٨٧٦

المجلد الثالث والتسعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by FUAD SABRUF

VOL. 93

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد الثالث والتسعين

من المقتطف

	صفحة
(ا)	
* الآخر (قصة)	٣٦٣
أبو العلاء المعري ونظرهُ في الحياة	٤٧
* أبو العلاء المعري (قصيدة)	٤١٣
ابن البطار	٣٣٧
ابن سينا	٣١٦
ابن سينا مؤلفاته	٣٤١
ابيقور	٣٥٣
الادب الفارسي الحديث صفاته	٥٧٣
الاسكندري احمد علي	٥٩
الاسلام أسرهُ الحاكمة وأحداثهُ	٤٦١
الاسلام والرفق بالحيوان	٢٠٥
الاشعة السينية في الحوانيت	٣٩٢
الاشعة الكونية أصلها	١١٥
الاقدمون آثارهم الروحية	٥٧٨

	صفحة
الأمراض المتوطنة والجندي المصري	٩
الانتخاب الطبيعي واصلاح النسل	٥٨٦
الانسان المجهول	١٦٩
الانسولين صدمتهُ في علاج الجنون	١٥٧
الاوبئة والتاريخ	٣٠٢
ايران الحديثة	٢٤١
* ايران : مفاخر فنونها	٣٢٩
* اينشتين متحديه في الهند	٤٤١
(ب)	
* البحر المتوسط توازن القوات الحربية فيه	٤٩٥
بدوي حسين الرسام	٤٧٩
بريطانيا والحاكمون بأمرهم	٤٥٧
البعثة الصينية	١١٠
البعث الالماني وانهيار تسوية الحرب الكبرى	٩٧
بلوطو ما يغشى سطحهُ	٣٧٥

	صفحة
بومي الدكتور وكلية الجراحين	٣٧٦
(ت)	
* تصوير ما يتم	٦٢٣
التصوُّف في الاسلام	١٨٠
تولستوي واحاديثهُ	٥٦٧
(ج)	
* جامع السلطان حسن	٥٢٥
الجزيء اكبره في الجسم	٣٧٥
* الجو ظواهره واحواله	١
(ح)	
حديقة المقتطف ٨٥، — ٤٩٦، ٣٦٣ — ٣٧١، و٦٠٣ — ٦٠٨	
الحروق علاج جديد لها	١٨٠
الحلم الحالم (قصيدة)	٣٤٠
الحياة الفكرية في عصر السادة وعصر الاستقرار	٢٩
حيوانات مشهورة	٣٤٨
(د)	
دائرة الحياة (قصيدة)	٣٢٤

صفحة

الدماغ ازالة جزء منهُ ١١٤

(ذ)

الذهب في مصر ١٧٧

(ر)

رسالة المنبر ٢٩٩

رؤية ما لا يرى ٣٨٩

(ز)

زهرة (قصيدة) ٥٨٥

(س)

الساسة الشر ٤٥٣

السرطان والسيكلوترون ١١٣

السرطان والمرأة ٥٩٨

*سليمان السر محمد شاه ٤٤١

(ش)

الشحم وضرره به ١٠٥

الشعر والحياة (قصيدة) ١٧

الشعر والفلسفة ملتقاهما ٤٠٤

الشمس اكبر النجوم ٣٧٧

(ص)

الصابون شجرتهُ ٤٠٠

صديقي (قصة) ٤٨٥

الصوباء، فول ١١٠

(ض)

الضغط العالي تأثيره في المادة ٣٩٥

(ط)

الطائرات الطحرورية ٥٢١

صفحة

الطب تقدم علومه ١٤١، ٣١٧

الطبيعة نشوء علمها ٦٣

طيماطم بلا بذور ١٧٩

الطيران حول الارض ٣٧٧

(ع)

العامية والفصحى ٢٩٢

العرب يقظتهم تاريخها ٦٠٩

العرق في الجسم فلسفتهُ ٢٨٧

العشاق الثلاثة (قصيدة) ٢٩٩

العطور من قطران الفحم ٥٨٩

العلم الحديث مصادره ٥٤٢

العلماء عيونهم ١٧٨

العلم والمجتمع ٤٤٩

علم النفس مؤتمره الدولي ٣٣٣

العلم واذاعته وفوائدها ٣٧٢

*العناصر تفسير طبائعها ١٣٣

العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث ٣٣ و١٤٩ و٢٧٧ و٤٢١ و٥٤٦

(غ)

الغازات استعمال في السلام ٥٩٤

(ف)

فكرة ضائعة (قصيدة) ٥٤٥

فلسفة الاخلاق والسياسة ٤٤٦

الفلك بعد عهدي به ٥١

الفن آلتهُ ٣٠٨

الفن الاكبر ٢٣

صفحة

قباحين الخصب والعقم ٣٩٨

(ق)

قبل ان تسكت الحياة (قصيدة) ٢٠٤

قبلة الروح (قصيدة) ١٩٧

(ك)

الكاف والاشعة الكونية ٢٧٤

كلية الجراحين الملكية ٣٧٦

كوري مدام ٢١٣

* الكون حجمهُ وعمره ٢٦١

الكيمياء الصناعية ٤٧٦

(ل)

اللغة العربية تيسير قواعدها ٤٠١

(م)

* مجلان، قاهرة البحار ٧٣

مجمع اللغة العربية مجلتهُ ٦١٩

مخطوطتان ثمينتان ٢١٠

المذاهب الاشتراكية ٦٥

المذاهب الاشتراكية وأثرها في الادب ١٦٠

المستشرقون مؤتمرهم العشرون ٤٨٣

*مصح ضهر الباشق ٤٣٧

المدة والانقطال ١٩

مكتبة المقتطف ١١٦ — ١٣١، ٢٤٩ — ٢٥٩ — ٣٧٨ — ٣٨٧، ٥٠٤ — ٥١٥ — ٦٢٩ — ٦٣٩

صفحة		صفحة		صفحة
موت سوسو (قصيدة)	٤٦٠	النباتات تجاورها وتأثيره		(هـ)
الميانيون حضارتهم	١٩٨،٤٢	في نموها	٣٧٣	هيجو فكتور ١٥٦
ليكانيكا الكلاسيكية	٤٧١	نجم الغز العجيب	١٧٣	الهيكل العظمي يتكلم ٤١٦
ليكروبات قتلها باشعة	١١٤	النحاس الاحمر نوائده	٦٢٥	(و)
(ن)		النسبية الكلاسيكية	٥٧٠	* وزارة المعارف والثقافة العامة ٣٢٦
النبات انواره	٥١٧	نيوتن سيرة جديدة له	٥٥٨	

(النجمة امام الموضوع تدل على انهُ مصوَّر)

هديتا المقتطف سنة ١٩٣٨

صقر قريش

تأليف علي ادهم

دراسة لحياة الامير عبد الرحمن الاول الملقب بالداخل مؤسس الدولة الاموية بالاندلس وقد نهج المؤلف في كتابة هذا الموضوع منهجاً موثقاً عصرياً فذكر حياة وتاريخ وسيرة الامير عبد الرحمن ورحلته الى افريقية ويأسه من تأسيس ملك بافريقية ثم دخوله الى الاندلس وأعماله المجيدة فيها وتنقاً من أشعاره وقدرته الخطابية وقوة عزيمته

١٣٠ صفحة كبيرة — ثمنه ١٠ قروش مصرية يضاف اليها اجرة البريد

نواحٍ مجيدة من

الثقافة الاسلامية

١ — التصور واعلام المصورين في الاسلام للدكتور زكي محمد حسن

٢ — تأثر العربية بالثقافة اليونانية للاستاذ اسماعيل مظهر

٣ — الأثر العلمي للحضارة الاسلامية واعظم علمائها للاستاذ قدري حافظ طوقان

٤ — الصلات بين العرب والفرس وآدابها في الجاهلية والاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام — ١٦٧ صفحة كبيرة و١٦ صفحة بالروتوغرافور

ثمنه ١٥ قرشاً مصرياً يضاف اليها أجرة البريد

ملحوظة : ارسلنا هاتين الهديتين الى جميع مشتركي المقتطف الذين سددوا اشتراكاتهم لآخر ١٩٣٨

بادر الى تسديد اشتراكك تصلك الهديتان مع شكرنا

مؤلفات الامير شكيب ارسلان

يسألنا القراء عن مؤلفات عطوفة العلامة الامير شكيب أرسلان أين تباع ، وها نحن نسردها فيما يلي ونذكر ثمنها : —

	ص		ص
٨٠ حاضر العالم الاسلامي مجلدين ضخمين		١٥ آخر بني سراج في تاريخ الاندلس	
٣٠ الحلل السندسية في تاريخ واخبار الاندلس		٨ الامام الاوزاعي	
١٥ السيد رشيد رضا او أحاد اربعين سنة		١٢ اناطول فرانس في مباذله	
١٠ أحمد شوقي بك او احاد اربعين سنة		٢٥ تاريخ غزوات العرب وفتوحاتهم في اوربا	
١٠ ديوان الامير شكيب ارسلان		١٥ تعليقات وحواشي الامير شكيب على تاريخ ابن خلدون	

وهذه الاسعار غير أجرة البريد . وتطلب مؤلفات الامير الجليل من المكاتب الكبيرة في القطر المصري

لا غنى ...
للسيدة في بيتها
والفتاة في معهدها
عن صديقتهما

الطالبة

مجلة شهرية

تبحث في شؤون المرأة والادب
— والعلم والفن والرياضة
الاشتراك السنوي
عشرون قرشاً
الادارة — ٣ ميدان سوارس بمصر

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية لنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة باللغتين العربية والاسبانية

أنشأها الاستاذ موسى يوسف عزيزه في ١٢ ك ٢ سنة ١٩٢٩

مديرها الحالي: امين قسطنطين

رئيس تحريرها المسؤول في القسم العربي : الياس قنصل

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرّة عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 359

Buenes Aires Rep. Argentina

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدفاع عن الشؤون البرازيلية وما آلي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من أكبر ادباء العربية في البرازيل ويبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً وعنوانها :

Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

شركة التمدن الصناعية

١٤٦ بشارع محمد علي — تليفون ٤٤٨٨٧

حروف المقتطف من مصنوعات مسبك التمدن الذي يقوم بتوريد جميع الحروف للجرائد المصرية والشرقية

وكيل الشركة

أحمد فهمي

خطاط الملوك

الاستاذ نجيب هواويني

يتولى فحص الاوراق المطعون فيها بالتزوير بمصر وغيرها من البلاد ويطلب منه كتابه « التزوير الخطي » لمعرفة الخطوط والاختام المزورة والصحيحة عربية وافرنجية ثمنه ٥٠ قرشا صاغا . وتطلب منه كراريسه « السلاسل الذهبية » التي تعلم الخطوط الجميلة بوقت قصير واسلوب مبتكر ومقررة في جميع المدارس ، وكتاب « المجلة » وهو مجلة الاحكام العدلية الصحيحة الوحيدة المصدق على صحتها من باب المشيخة الاسلامية مشروحة ومشكلة بقلمه

وهو يتولى عمل كليشهات وأختام وغيرها . ويكفي كتابة كلمة « مصر » عند مخابرته ، أو مخاطبته بتليفون ٥٠٣٣٠

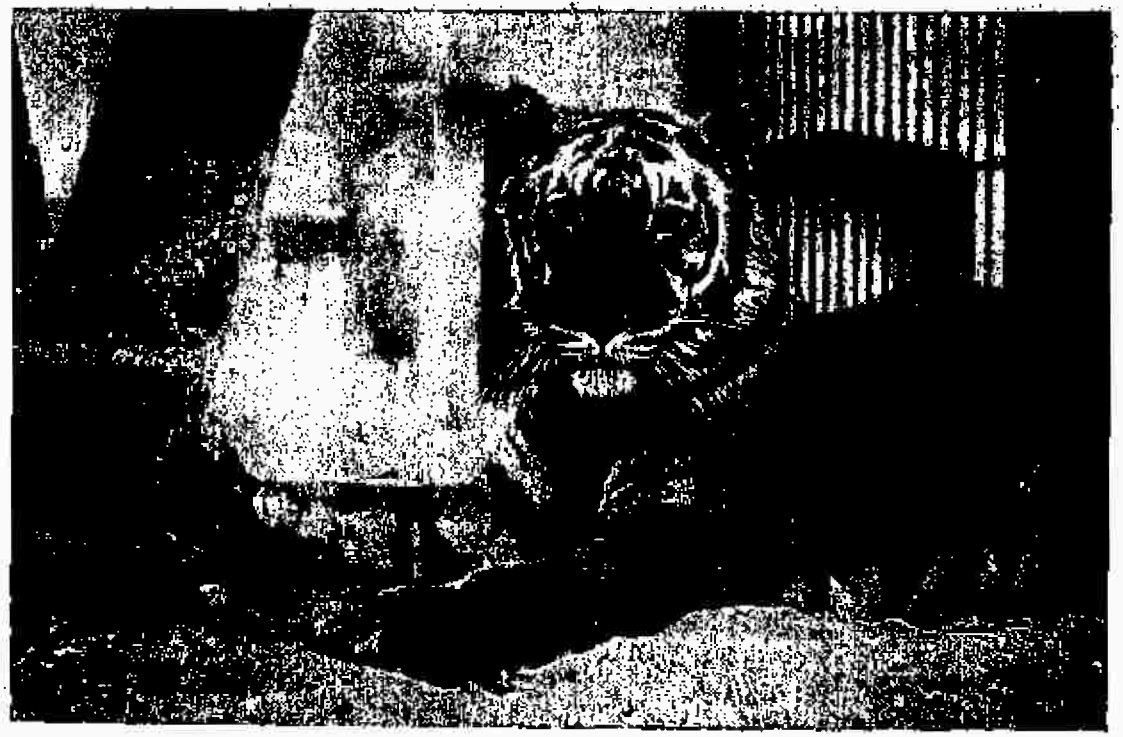

« في الاسر »

إحدى صور «التاريخ الطبيعي» في معرض التصوير الضوئي لجمعية محبي الفنون الجميلة وهي من تصوير بديع فهمي